

Doc-5111.1-05

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الأدب والعلوم

جامعة أبي بكر بلقايد

الإنسانية والاجتماعية

تلمسان

FAC. L. T

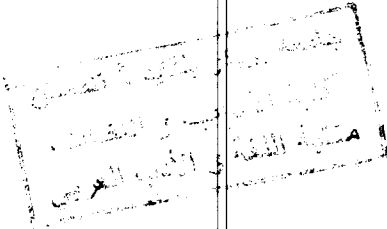
02/F11

2015

أطروحة جامعية علمية

لنيل شهادة دكتوراه دولة

في اللغة



« تركيب الجملة في العامية الجزائرية »

المثل الشعبي نموذجا

إشراف الأستاذ الدكتور

اعداد الطالب

عبد الجليل مراتاض

لحسن بلبشير

بمساعدة الأستاذ الدكتور

عكاشة شايف

السنة الدراسية

2002-2001

الإهداء

الى تلك الروح الزكية النقية الطاهرة التي فضلت الاستمساك في عزّ شبابها
في تحد وكبرياء فكانت لي مثلاً يمتدني وطريقاً يمتدني وتعلمتني كيف تكون
معبدة الأوطان .

الى روح والدي الثائرة المتمردة في وجه الظلم والظلامية، الذي عشت منذ
صباي أفتش عنه في مخيلتي فوق صفحاتي كتبي في هذا الكون العجيب
الغريب علمني أصل الى معرفة عمق أولئك الذين يموتون في صمت ووقار من
أجل أن يحيى غيرهم في عزّ وكبرياء.

هذا لا يتركني أبداً أنسى تلك المرأة البسيطة البريئة النقية التقيّة (أمي)
التي تحمّلتني بحنانها وعطفها وعمّقتني عن كل شيء . وصنعت مني ومن
اخوتي ما تعجز عنه أعظم النساء وتخرست في أعماق أنفسنا حب الدراسة والعلم
وسرّ محبة الوطن .

الى تلك التي كانت لي سنداً فميأت لي الظروف الملائمة وشجعتني عندما كان
العالم يطمئني واليراع يتناقل بين أناملني .

والى أمرائني وأمراتي حياء وحكيم ووسيم * آمال سومية وجمينة رمز البراءة
والأمل والمستقبل . الى تلك التي فضلت الإختراجه حباً في وطننا تحمل الآلام
والدموع والآمال على أن تعود يوماً فتراه كما أرادته الشمعاء.

الى إخواتي وأملني وأصدقائني . وكل من تمرد واستشهد وترك بذرة سليمة
صالحة نمت وترعرعت فأثمرت رغم جفاف الطبيعة الى كل شمعاء الوطن .

أمدي جمدي وفكري وأعمالني العلمية الى كل من علمني وسامه في تكويني
خاصة معلمي واماتختني .

مقدمة

اهتم الكثير من الباحثين من علماء اللسان بدراسة اللهجات العربية التي انحدرت من اللغة الأصلية الأم وهي تسير جنبا إلى جنب معها وأولوها اهتماما كبيرا ساعد على ظهور دراسات عديدة ومتنوعة في هذا المجال عرفت بعلم اللهجات وقد وجه هذا العلم أنظار دارسي العربية آلي إعادة النظر في دراسة اللهجات العربية القديمة وعلاقتها بالفصحى (لغة القرآن) ثم اللهجات العامية أو المحلية التي يتميز بها كل قطر عربي...

وقد اقتضى منهج دراسة هذا البحث الوقوف على جهود القدماء والمتأخرين من نحاة وبلاغيين ولسانيين في الموضوع محاولا التوفيق والإنصاف دارسا ومحللا ومعللا.

فباستثناء بعض المجهودات المخلصة والمبعثرة هنا وهناك على مستوى الوطن العربي عموما والمغرب العربي خصوصا والتي ولت اهتمامها آلي مثل هذا الموضوع فإن هناك عدة تساؤلات لا تزال تفرض نفسها بقوة عليه.

إن أحدا لا يستطيع أن ينكر المجهودات التي برزت في هذا الموضوع لكن في الجانب الأدبي والفني والجمالي المتعلق بالدراسات الأدبية الشعبية، أما في المجال اللساني فلا نعرف مما نعرف دراسة تناولت هذا الموضوع لغويا بهذا الطرح الذي نقترحه هنا في هذا العمل .

إن تطور الدراسات المنهجية في المجال اللغوي المعاصر يجعلنا اليوم مقتنعين بالالتفات آلي الدراسات الشعبية من خلال مدونة نموذجية محددة تحديدا صارما لنتناولها تناولا علميا ببعض الإجراءات والأدوات الميسرة لنا ومن هذه الأدوات حتمية كانت تتميز بالبداهة والفراسة حينما والعفوية والسذاجة حينما آخر.

إننا لا نحسب مطلقاً بأن هذا التصور الذي اخترناه يعد الأمتثل لهذا الموضوع ولكن هكذا اقتنعنا فقط ونحن نقدم رجلاً ونؤخر أخرى طمعاً في اقتحامه الأمر الذي حدا بنا إلى تصوره على مرحلتين مرحلة نظرية ومرحلة عملية.

ومن الواضح أن مثل هذه الدراسات منذ مدة وخاصة بعد ظهور اللسانيات علماً مستقلاً قائماً بذاته تطرق عقولنا وأفكارنا من عدة جوانب ومن الصعب إن لم نقل من المستحيل أن نحيط بكل هذه الجوانب مرة واحدة وفي موضوع واحد مما جعلنا نركز على جانبين أساسيين جانب نظري عام وجانب لساني أو لغوي خاص. إن ميدان الدراسات اللهجية قد طرق منذ عهد طويل من باحثين عرب ضالعين لكن دراستهم كانت دراسة تقليدية خالية من النقد والتحليل والآراء.

واتصل بعض هذه الدراسات باللهجات العربية القبلية مباشرة وبعضها لم يحفل بهذه اللهجات إلا من باب اتخاذها حجة في القراءات القرآنية واهتم بهذا الموضوع نحاة ولغويين ومفسرين - وخاصة أولئك الذين اهتموا بالقراءات القرآنية.

وهو موضوع غير جديد لاعتداء علماء العرب المحدثين أو علماء الغرب بالرغم من أن هؤلاء الغربيين فاقونا بمنهجيتهم الدقيقة والنظريات العلمية في مجال الدراسات اللغوية نتيجة تجدرهم العاطفي والديني، ولم تخلو هذه الدراسات الغربية من شوائب ومغالطات خاصة حين يتعرضون إلى الحديث عن العربية التاريخية وعلاقتها باللهجات العربية - بحيث يطبقون نظريات غريبة عن طبيعة العربية وشعوبها.

فبالرغم من الدراسات الغزيرة والثرية التي اهتمت بمثل هذه الموضوعات الجديرة بالبحث والاهتمام، فإني وجدت بان هذا الحقل مفتوحاً لمن يريد أن يلجبه وأن فضائه واسع رحب من أي وقت مضى، تزامناً مع ما جرى في مجال الدراسات

اللغوية الحديثة المقارنة والوصفية والمناهج العلمية التي برزت في ميدان الدراسات اللسانية الحديثة والنظريات المعاصرة - الأمر الذي لم تعرفه اللغة العربية ولهجاتها.

فلم يهتم اللغويون العرب قديماً لموضوع من هذا القبيل بل عالجت كتبهم التي وصلت إلينا موضوع اللهجات العربية من الجوانب التاريخية و الاجتماعية و الأنتروبولوجية و تناولت موضوع اللهجات العربية القديمة واستفاضت في الحديث عن شعوبها وأحداثها ولم تذكر إلاّ النذر القليل عن الألحان اللغوية.

وعلى هذا الأساس قسمت بحثي آلي ثلاثة فصول فصل نظري تطرقت فيه آلي تعريف الجملة بحيث لم يكن هناك اتفاق بين النحويين العرب سواء القدماء منهم أو المحدثين، والمتفق عليه أنها مكونة من وحدات أصغر منها هي الكلمات، والتركيب وعلاقته بعلم النحو، كما تكلمت عن الإعراب لما له من أهمية في الوقوف على المعاني الغامضة فاللغة قبل التقعيد كانت سليمة صحيحة لم تشوبها شائبة بإعرابها وحين اختلط العرب بغيرهم من الأمم دخلها اللحن وفسدت الألسنة مما أجبر علماء اللغة على وضع قوانين عاصمة من الزلل فجنبوها بذلك تفشي اللحن فيها، فعربية ما قبل التقعيد المقعدة بسليقتها وعفويتها تتلاقى مع العامية المعاصرة المنتشرة في مختلف الأقطار العربية.

بالرغم من أنها لا تعترف بالحركات الإعرابية لكنها ببقائها على صورة ثابتة لا تتغير جعلت لنفسها قاعدة يشترك فيها المتكاملين بالعامية.

بحيث يعتبر النحاة الإعراب أساس الفهم ولولاه لما استطاع المرء أن يفرق بين المرفوعات والمنصوبات والمجرورات، هذه الظاهرة التي تفتقد إليها اللهجات العامية، حاولت الوقوف على نتائجها.

ثم درست اللهجات العربية القديمة وحاولت إيجاد وضع يشابه وضع اللهجات الحالية المنتشرة في الأقطار العربية على اختلافها فوجدت أن هذه اللهجات القديمة والحديثة تتشابه آلي حد بعيد ولو اختلفت قليلا فيما بينها، فاللغة الأم لا بد أن تترك بصماتها الواضحة في اللهجات المتفرعة عنها .

أخذت من العامية الجزائرية نموذجا للعاميات العربية التي أعتبرها جزء لا يتجزأ منها، فوجدت أن العامية الجزائرية جاءت نتيجة تحوير في اللغة الأصلية مما أدى آلي قيام خطاب جديد يصلح للاستعمال في ظروف الحياة اليومية ولا يرقى آلي مرتبة اللغة القومية.

ولا يعدو هناك اختلاف بين اللهجة واللغة إلا من الناحية الأسلوبية. ونتج عن الاستعمال العامي في الجزائر ما يعرف بازواجية اللسان تشكل نتيجة خليط من مفردات عربية محرفة وأخرى أعجمية .

ثم خصصت فصلا كاملا تكلمت فيه عن الجملة العربية والمراحل التي قطعتها والتطورات التي عرفتها بدءا بسيبويه معرّجا على أهم الأعلام والمشاهير اللغوية . فوجدت أن المكونات الأساسية للجملة العربية تتفق تماما و تلك الجمل المستخدمة في العاميات العربية بعددها وأنواعها ووظائفها . الجمل المستخدمة في الأمثال الشعبية هي نفسها المستخدمة في العربية الفصحى بأنواعها وأشكالها وأقسامها، بشيء من التحريف والتحوير.

وخصصت الفصل الأخير للدراسة البلاغية في الأمثال الشعبية حيث تطرقت آلي أهم الخصائص اللفظية والمعنوية في الأمثال الشعبية فدرست الإيجار والإطناب

والاقتباس في الجانب المعنوي والسجع والجناس في الجانب اللفظي، كما تناولت أيضا في نفس الفصل الجملة الخبرية والإنشائية في الأساليب البلاغية الشعبية. ومما لا شك فيه أن جميع الأبحاث العلمية يتلقى أصحابها صعوبات قاسية وتتطلب منهم جهدا لا يستهان به قصد إخراج هذه الأبحاث آلي الوجود خدمة للعلم وإثراء للحقول المعرفية، والبحوث التي تعرف مثل هذه الصعوبات هي التي يكتب لها البقاء والخلود كما حدث لأبحاث أعلام أصبحت مصادر ومناهل ومنابع لا يستطيع لأي باحث مهما كانت مكانته ألا يتخذ منها مادة علمه.

وأنا لست من الذين لم تعترض طريقهم نوع من الصعوبات بل رافقتني في مشواري منذ البداية آلي النهاية وتتمثل في الطرق المنهجية في تناول المحاور الأساسية وفي بعض الأحيان وصلت آلي حدّ الوسائل التقنية المعدة للبحث العلمي.

ومن جهة أخرى الافتقار آلي المراجع اللغوية العلمية بالرغم من غزارة المادة وثرائها في حدّ ذاتها، فالبحوث التي تناولت هذا النوع من الدراسات تناولت معاصرا قليلة جدًا خاصة في المستويات اللغوية، النحوية والصرفية والصوتية والدالية والمعجمية والسانتكتسية... ولا تفي بالقدر الذي يسمح لا ثراء وإخراج بحث في مستوى رفيع.

فإني لم أقف في أثناء تنقيبي على المعلومات المساعدة في تطعيم وتدعيم بحثي على مرجع عربي أو أجنبي قد تناول هذه المادة مجتمعة ممنهجة بطريقة محكمة.

وفي نهاية مقدمتي هذه لا يسعني إلا أن أقدم تشكراتي القلبية الخالصة آلي كل من قدم لي يد العون والمساعدة لإخراج هذا البحث آلي النور على هذا النحو، وفي مقدمتهم أشكر الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض الذي قبل مخلصا الإشراف على

هذا البحث خدمة للبحث العلمي النزيه وخدمة للغة الضاد فكان بمثابة الأخ الأكبر والصديق الأحم والأستاذ الأكرم .

دون أن أنسى بإسداء الشكر كل الشكر آلي ابنتي آمال العزيزة آلي قلبي التي أررتني وساعدتني في كتابة البحث على جهاز الكمبيوتر وحمّستني كثيرا لإنهائه أتمنى لها كل سعادة في حياتها التي أرجو أن تكون مليئة بالنجاح، كما لا يفوتني أن أوجه شكري للأخر الكريم لحبيب يوسف على قدّمه لي من مساعدة يستحق مني كل التقدير.

كما نأمل في هذا البحث محولين فيه جاهدين مخلصين أن يساهم في إثراء المكتبة العربية وان يفتح أبوابا لأبحاث جديدة تكمل ما قد عجزت عليه.

ولست اختم هذه المقدمة قبل أن أقرر اعترافي بالقصور فعذرا إن بدا في هذا البحث هفوات أو نقائص فالكمال لله وحده أسأله سبحانه أن يجعله عملا صالحا نافعا بقدر ما أرجوه وأتمناه .

والله تعالى ولينا وهو نعم المولى ونعم النصير

- الجملة عند النحويين -

إن الدراسات اللغوية المتعلقة بالتركيب الجملي داخل نظام لغوي له دلالات نحوية بلاغية، يتطلب منا أن نعرّج على أهم المراحل التي قطعها الجملة العربية منذ نشأة الدراسات النحوية وضبط قواعد اللغة العربية، وكذا المحطات التي توقفت عندها والدلالات التي تضمنتها الجملة حتى صارت على ما هي عليه اليوم، وما تحمله من معاني نحوية وما عرفته من أنواع وأقسام سواء كان ذلك بالنسبة للفصحى أو اللهجات العربية العامية على اختلافها.

فالدراسات اللغوية المتعلقة بالجملة بمجموعة متناسقة من الكلمات غايتها تأدية معنى معيناً ومفيداً يحسن السكوت عليه، ومن حيث ترابط أجزائها بواسطة مميزات الجنس والعدد والشخص والإعراب، وما قد يحدث أثناء التأليف من تقديم وتأخير وذكر وحذف وإضمار وإظهار وكذلك من حيث التغييرات التي تلحق بها حسب أحوال الانفعال كالاستفهام والنفي والتوكيد والعرض والتحضيض والتمني والترجي والنهي ... وكذا من جانب البساطة والتركيب والتعقيد.

ونقصد بالجملة الكلام الذي يخضع لتنظيمات معينة تجتمع فيها مفردات مرتبطة بواسطة علاقات صوتية توزع فيها الأصوات بشكل لا يتعارض فيه صوت بآخر، ومعجمية تولد المفردات بموجب قواعد معينة وصرفية تميز الصيغة وتفصلها عن شقيقتها، ونحوية تدخل الاسم في باب من أبواب الوظائف اللغوية، هذا التنظيم يجعل من المفردات سياقاً مترابطاً وتركيباً متماسكاً، في تنظيم الجملة النحوية العربية . (1)

من خلال قراءتنا لأمات الكتب العربية النحوية منها واللغوية، لا نكاد نجد سوى إشارات متفرقة في ثناياها تشير آلي الجملة العربية، مما يدل دلالة واضحة أن علماء العربية القدماء لم يعطوا هذا الجانب من الدراسة حقه من العناية والاهتمام، كما حدث بالنسبة للفرعيات الأخرى، حيث انصبت دراستهم أساسا على الأبواب النحوية والصيغ الإفرادية، كالفاعل والمفعول، والمبتدأ، والخبر، والتوابع و المنصوبات والمشتقات، وغيرها.

فلم نعثر من خلال ما وصل إلينا من مؤلفات عربية قديمة في ميدان النحو على وجود دراسة واسعة مفصلة خاصة بالجملة النحوية هذا لا يعني أن قدماءنا أهملوا هذا الجانب الهام في الدراسة اللغوية، فكل ما جاء في مرحلة لاحقة كان نتيجة دراسات سابقة، قام بها علماء نذروا أنفسهم خدمة لبناء صرح هذا العلم غير أنهم لم يفرّدوا له أبوابا خاصة.

فالدراسات اللغوية كانت علما عربيا زاخرا بفنون العبقريات " بناه العرب جيلا بعد جيل يستقرئون ويستنبطون ثم يضيفون ويعلمون، حتى أضحى هذا العلم مفخرة للغة والعرب معا (1) "

كل ما في الأمر أن علماء العربية القدامى قد ذكروا تلك القضايا متناثرة ومتفرقة في مؤلفاتهم لا يكاد يجمعها باب واحد ولا فصل مستقل.

وعلى الرغم من هذا فإن ما قام به النحاة القدماء وما بذلوه من جهد في هذا الميدان لا يخلوا من فائدة، فإلى جانب أحاطتهم بجميع الوحدات التي تدخل في تركيب الجملة، وضبط الأحكام المتعلقة بكل منها وقيامهم بدراسة تحليلية وصفية شاملة للغة العربية تمكنوا من الوصول

1- المرجع نفسه ص50

2- النحو العربي والدرس الحديث ص12

إلى تلك الغاية التي كانت نصب أعينهم فحافظوا بذلك على سلامة اللغة من جهة، وعلى النص القرآني من جهة ثانية، والذي كان يخشى عليه من خطر تفشي اللحن فيه (1). نتيجة تلك الدراسات للغة العربية، نحوها وصرفها وسائر علومها، قسم النحاة الكلمات آلي مجموعات كبيرة، وصنفوها إلى اسم وفعل وحرف، غير منطلقين من معناها فقط، بل وبالاستناد إلى خصائص مميزة لكل نوع منها..

فالأسماء والأفعال مستقلة بالفهم، أما الحروف فهي غير مستقلة بالفهم وقد انكبت معظم دراساتهم النحوية على هذه الأصناف من الكلمات، ولم يهتموا بالجملة كتركيب مع أنهم يدركون أنها لا تكون من جزء واحد، بل تتألف حتما من مسند ومسند إليه، وهي أصغر بنية نحوية تعتبر كلاما تاما يمكن السكوت عليه لاشتمالها على عنصري الإسناد . (2)

فالجملة إذن هي أساس التركيب اللغوي في جميع لغات العالم بما في ذلك اللهجات العامية الأمر الذي جعلنا نحاول تتبع آراء كبار علماء النحو حول مصطلح الجملة في اللغة العربية، ونبدأ برأي سيبويه باعتباره عميد علماء النحو كونه أول من وضع كتابا في هذا الميدان علم النحو، حيث أفرد بابا خاصا في كتابه للمسند والمسند إليه قائلا : ((هذا باب المسند والمسند أتليه وهما لا يستغني عنهما واحد عن الآخر ولا يجد المتكلم

1-الموجز في شرح دلائل العجاز ص13-14

2-الجملة العربية دراسة نحوية ص 37-38

منه بدأ فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو في قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك قولك: يذهب زيد، فلا بد للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء (1)

والظاهر في كلامه أنه يوضح كيفية بناء الجملة حين يتحدث عن الإسناد، فالشواهد التي ساقها كلها جمل تامة مفيدة، لا تحتاج إلى متمم يتم معناها. وما يمكن استخلاصه من كل هذا أن الجملة عند سيبويه عملية أسنادية، وهذه فكرة سائدة في جميع لغات العالم منذ أقدم العصور وطبيعة تقوم عليها الجملة العربية، وقطب دارت حوله كل التعريفات التي وصلتنا حول الجملة.

فالكلام عنده هو الجملة المفيدة فائدة تامة يحسن السكوت عليها ولا يتحقق ذلك إلا حين يتوفر الإسناد الذي هو أساس الجملة، فالإفادة لا تكون في الفعل وحده لأنه يحتاج إلى اسم يتعلق به هو مسند، والكلام لا يتألف من جزء واحد إذ لا بد من مسند أتليه حتى يكتمل الإسناد.

والعملية الاسنادية قد تتم بواسطة الأسماء دون الأفعال، في حين أن الأفعال لا يكون بها الإسناد إلا إذا استعملت مع الأسماء. (2)

1-الكتاب ج 1 ص23

2-الجملة البسيطة ص13

وقد أشار سيبويه إلى ذلك في معرض حديثه عن الأسماء والأفعال حين قال: "ألا ترى أن الفعل لا بد له من الاسم وإلا لم يكن كلاما والاسم يستغني عن الفعل تقول: الله إلهنا، وعبد الله أخونا. (1)"

ولم يستعمل سيبويه في كلامه لفظ الجملة بصريح العبارة، لكن ما ذهب أتليه من تفسير وما ساقه من أمثلة لا تختلف عن مضمون الجملة التي أطلقها علماء النحو، الذين جاءوا بعده.

ونجده في مقام آخر يستخدم مصطلح الكلام، ففي باب الاستقامة من الكلام والإحالة، (فمنه مستقيم حسن، ومحال، مستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك: (أتيتك أمس وسأتيك غدا).

وأما المحال فإن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسأتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه. وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكى زيدا يأتيتك، وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فإن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس. (2).

فالكلام الذي يخضع لتنظيم لغوي معين تراعى فيه جميع القواعد

وغايته أن يؤدي معنى معيناً مفيداً هو المقصود من كلام سيبويه المستقيم الحسن.

1-الكتاب ج 1 ص 21

2-المرجع نفسه ص 25- 26

أما إذا لم تراع أنماطا خاصة في وضع الكلام وبلوغ تلك الغاية المرجوة، كأن نغيّر مثلا رتب المفردات وعلاقتها ورصصناها دون نظام سواء قدمنا أو أخرنا زالت الفائدة وفقدت المعنى لارتباك العلاقات في السياق التركيبي، ضف إلى ذلك أن الأصل في وضع الكلام المفيد إفادة تامة يشتمل على أصول أخرى، كالذكر والإضمار، والوصل، والربط إلى جانب الرتبة والعامل، بالإضافة إلى هذه العناصر الأساسية في وضع الكلام المفيد فلا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهل الحركات الإعرابية التي بفضلها أيضا نستطيع الوصول إلى المعاني الحقيقية للجملة.

وهو ما ذهب إليه سيبويه بقوله بالمحال، والذي لا ترجى منه فائدة على الإطلاق ولا يتقبل العقل فهو ما يسميه بالمستقيم الكذب .
وسار بعض العلماء على نهج سيبويه في الكتاب، واستخدموا الكلام الذي يقابل الجملة في اعتقادنا .

نجد أبا زكريا الفراء أحد علماء الكوفة يطلق مصطلح الكلام في مواضع متفرقة في كتابه:

(معاني القرآن) قال: " وقد وقع الفعل في أول الكلام. (1) "

والفعل لا يستقل بدلالته دون الذات، وإذا بحثنا عن الذات وجدناها متصلة بالفعل في تركيبه الأصلي، وهو ما يطلق عليه الآن بالجملة الفعلية عندما يقع في أول الكلام.

1-الجملة النحوية ص25

ويذهب المبرد أيضا مع سيبويه في هذا الشأن غير انه لم يفرق بين الكلم والكلام، والجملة، فهو في أثناء تعريفه للكلام يقول: " فالكلام كله

اسم وفعل وحرف، جاء لمعنى لا يخلو الكلام عربيا كان أو أعجميا
(1).

واستخدم المبرد الكلام في حين استخدم سيبويه الكلم غير أنهما يلتقيان
في مفهوم الكلام العربي الذي لا يخرج عن اسم وفعل وحرف .

ويظهر أن تعريف سيبويه أكثر دقة من تعريف المبرد، غير أن هذا
الأخير هو أول من استخدم مصطلح الجملة من النحاة في كتابه
(المقتضب)، وقد جاء في أثناء حديثه عن الفاعل هذا باب الفاعل، وهو
رفع وذلك قولك: قام عبد، وجلس زيد، وإنما كان الفاعل رفعا لأنه هو
والفعل جملة يحسن عليها السكوت، ويجب بها الفائدة للمخاطب فالفاعل
والفعل بمنزلة الابتداء والخبر إذا قلت : قام زيد، فهو بمنزلة قولك :
القائم زيد. (2)

فالمبرد قد عرف الجملة اصطلاحا وتحدث عن بنيتها فالفعل لا يستغنى
عن الفاعل، والمبتدأ عن الخبر، كما ذكر أقسامها فان صدرت بفعل كانت
فعلية وان صدرت باسم كانت اسمية، وان لم يذكر ذلك علانية.

1-المرجع السابق ص20

2-المرجع نفسه ص 21

وأول من توسع في استعمال مصطلح الجملة في النحو العربي هم نحاة بغداد، وفي الوقت نفسه لم يغفلوا مصطلح الكلام، وقد ظهرت لأول مرة عند هؤلاء النحاة مؤلفات تحمل هذا الاسم، ككتاب الجمل للزجاجي ويبدو أنه أول كتاب ظهر بهذا الاسم، وهو كتاب واسع الشهرة، وقد وصفه القفطي قائلاً: " وهو كتاب المصريين وأهل المغرب، وأهل الحجاز واليمن والشام إلى أن اشتغل الناس باللمع لابن جنى، والإيضاح لأبي علي الفارسي. (1) "وقد وضع له في المغرب مائة وعشرون شرحاً.

وهناك كتب أخرى تلت جمل الزجاجي، منها على سبيل المثال، الجمل لابن خالويه، والجمل لابن هشام، والجمل للجرجاني(2)

وقد ظل الكلام والجملة اصطلاحين لشيء واحد، قال ابن جنى " أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل نحو زيد أخوك، وقام محمد، وضرب سعيد، وفي الدار أبوك وصه ومه.(3) "

لقد سار ابن جنى على نفس النهج الذي سار فيه سابقوه في خلطهم بين المصطلحين، والذي يفهم من كلام ابن جنى أن الكلام والجملة مترادفان، وقد قصر الكلام على الجمل التامة المفيدة، فالكلام يؤدي معنى مفيداً مستقلاً بنفسه والجملة أيضاً.

1-المرجع نفسه ص26

2-المرجع نفسه ص27

3-الخصائص ج 1 ص17

وقد أورد ابن جني أمثلة متنوعة ومختلفة للجملة الاسمية، وكذا الجملة الفعلية دون الإشارة إلى التمييز بينهما.

وكل ما هو خارج عن هذا النطاق فقد سماه قولاً، إذ القول عنده أعم وأشمل من الكلام، فالتركيب الذي يضم وحدات كلامية غير مستقلة بمعنى لا تسمى كلاماً إنما هي عنده قولاً " وأما القول فأصله كل لفظ مزل به اللسان تاماً كان أو ناقصاً فالتام هو المفيد، أعني الجملة وما كان في معناها، من نحو صه واياه والناقص ما كان بضد ذلك، نحو: زيد، وأحمد، وأن... فكل كلام قول وليس كل قول كلاماً (1). " فالكلام عنده " هو الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها. (2) "

1-المرجع نفسه ج 1 ص 17

2-المرجع نفسه ج 1 ص 18

أما القول عنده لا يستحق هذه الصفة، وهو يسوق لنا هذا المثال ينجلي الفرق فيه بكل وضوح بين الكلام والقول، يقول : " فعلى هذا يكون قولنا: قام زيد كلاما فان قلت شارطا :إن قام زيد، فزدت عليه (إن) رجع بالزيادة إلى النقصان فصار قولا لا كلاما، ألا تراه ناقصا ومنتظرا للتمام بجواب الشرط. (1) "

وسار على هذا النهج صاحب دلائل الإعجاز الذي نجده يستخدم مصطلح الجملة بدل الكلم والكلام، حيث نجده يؤلف كتابا ويطلق عليه جمل الجرجاني حيث تحدث عنه قائلا " هذه جمل رتبها ترتيب قريب المتناول، وضمنتها جميع العوامل، تهذب ذهن المبتدئ وفهمه وتعرفه سمت الإعراب ورسومه، وتقيد في حفظ المتوسط الأصول المتفرقة والأبواب المختلفة لنظمها في أقصر عقد وجمعها في أقرب حد وجعلتها خمسة فصول (2) . "

ويبدو لقارئ الكتاب أنه ذهب إلى التفسير اللغوي دون الاصطلاحي للجملة، غير أن هناك إشارة صريحة في نهاية الكتاب إلى اصطلاحية الجملة وترادفها بالكلام، إذ قال " اعلم أن الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة، فإذا ائتلف منها إثنان فأفادا نحو: خرج زيد سمي كلاما وسمي جملة. (3) "

1-المرجع نفسه ج 1ص 18

2-الجملة النحوية ص14

3-أسرار البلاغة ص08

وهي في نظره أصغر بنية نحوية تعتبر كلاما تاما يمكن السكوت عليه لاشتماله على المسند والمسند إليه في أبسط صيغة لهما مجردتين من جميع ما يتعلق بها من كلمات فالجملة عندما يبني عليها يتغير معناها في ذاته.(1)

والجملة تقوم عنده أساسا على عملية الإسناد مجردة من الفضلات والمتممات، فإن استوفت أركان الإسناد الأساسية كانت جملة وكانت كلاما وهو بذلك يؤكد على ترادف مصطلحي الجملة والكلام، ولم يكتف الجرجاني بالحديث عن الجملة والكلام وترادفهما، بل يطالعنا بنظرية النظم، التي يراعى فيها بالضرورة وضع الكلمات في سياق معين من الترتيب والتأليف لتحديد دلالاتها العقلية ومعانيها النحوية،" فالنظم والتأليف يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها، وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الأصباغ المختلفة فيتوخى فيها ترتيبا يحدث عنه ضرب من النقش والوشى.(2)"

فالكلمة المفردة عنده لا فائدة منها إلا إذا ركبت وانتظمت مع غيرها، فالتركيب بالنسبة إليه هو المنطلق الأساسي في الدراسة اللغوية، فالفعل وحده أو الاسم وحده لا يستشف منهما فائدة ولا مزية، وإنما مما يتألف فيه مع غيره، فلو جاء المتكلم بفعل مثلا دون تقدير ضمير " لكان ذلك وصوتا تصوت به سواء(3)"

1-الموجز في شرح دلائل الاعجاز ص 107

2-دلائل الاعجاز ص 359

3-المرجع نفسه ص 316

والكلام عنده مؤتلف وغير مؤتلف، والأول هو الاسم مع الاسم، أو الفعل مع الاسم، إذا جنبت منه فائدة واستنبطت منه معنى والثاني هو الفعل مع الفعل الذي لا يؤدي معنى، ويوضح هذه الحقيقة عندما نجده يشبه عمل المتكلم بألفاظه كالصائغ مع مادته الخاصة إذ يقول " اعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعاً من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة. (1) "

فالحسن لا يكمن في كون القطعة ذهباً أو فضة، وإنما في الأشكال التي تعطى لها، فالمعنى يصاحب الكلام ولا نجد كلاماً بدون معنى، وإلا كان لغواً أو صوتاً يصات به فالحسن والجمال أمور تخرج عن نطاق الألفاظ وهي تلتبس في ترتيب أمور الكلام حسب مضامينه ودلالاته في النفس وهي معان ترجع إلى الإسناد وخصائص مختلفة في المسند والمسند إليه.

وبهذا يكون أول عالم لغوي يشير إلى أن معنى الكلمات لا تعرف إلا من ضمها إلى بعضها، وإن الكلام لا بد أن يشتمل على جزأين .. ومختصر كل القول أنه لا يكون كلام من جزء واحد، وأنه لا بد من مسند ومسند إليه. (2) فاللغة هي نظام إذن، لربط الكلمات بعضها ببعض و يقوم ذلك النظام اللغوي على تناسق الدلالات و تلاقي المعاني على الوجه الذي يقتضيه العقل وفقاً لمقتضيات دلالاتها، و هي بذلك تتمكن من القيام بوظيفتها كوسيلة لاتصال الناس ببعضهم .

1-دلائل الاعجاز ص316

2-المرجع نفسه ص317

و نجد الحريري في مطلع القرن السادس الهجري يؤلف كتابا بعنوان (ملحة الاعراب في صناعة الاعراب) يتعرض فيه الى تعريف الكلام فيقول : " الكلام عبارة عما يحسن السكوت عليه و تتم الفائدة به، و لا يتألف من أقل من كلمتين . (1) "

يؤكد الحريري من خلال تعريفه للكلام أنه لا يتألف من جزء واحد، بل لابد من اشتماله على جزأين، هما ما يعرفان بالمسند و المسند إليه اللذان يعتبران عمدة الكلام، و بغيرهما لا ينعقد، و لا تحصل منه فائدة . و قد استخدم مصطلح الكلام بدل الجملة على غرار ما ذهب إليه السابقون من النحاة في تعريفاتهم المختلفة للجملة أو الكلام، أو الكلم . و هذا الاختلاف الحاصل في الاستعمال لا يؤثر كثيرا على المعنى المقصود، بل نستطيع القول أن كل هذه الاستعمالات تسير في الاتجاه نفسه .

ومن العلماء الذين عالجوا موضوع الجملة في مرحلة لاحقة، نقتصر على ذكر عالمين لما لأبحاثهما من أهمية كبرى في ميدان الجملة العربية و أولاهما أبو البقاء العكبري الذي يرى " أن الكلام عبارة عن الجملة المفيدة فائدة تامة، كقولك : زيد منطلق و أن تأتيني أكرمك و قم و صه، و ما كان نحو ذلك . (2) "

1-ملحة الإعراب في صناعة الإعراب ص2

2-التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين ص113

3-المرجع السابق ص119

فهو يجمع بين الكلام والجملة في معنى مشترك متساوي الأطراف
فالكلام بالنسبة إليه يطلق على الجملة المفيدة بالوضع، سواء تركبت من
عنصري الإسناد، أي من الفعل والفاعل، أو المبتدأ والخبر، أو من
الشرط والجزاء.

وهو بذكره الجملة الشرطية يماثل بين الجملة المفيدة إفادة تامة لغاية
الفهم والإفهام والجملة الشرطية لا تتحقق غايتها إلا بذكر الجزاء، فإن
كان المسند والمسند إليه في الجملة الاسمية التامة هما المبتدأ والخبر، فإن
المسند والمسند إليه في الجملة الشرطية هما الشرط والجزاء.

ويتكون الكلام عنده من مجموع شيئين فصاعداً، أما الكلمة، اللفظة
المفردة " وان أريد بالكلمة الجملة المفيدة فإن وقعت الكلمة على الجملة
جاز أن يقع الكلام على المفرد نحو قوله تعالى : (تمت كلمة ربك صدقا
وعدلا (1))

المقصود بالكلمة في هذه الآية الكلام وهو تعبير مجازي، ودليل
المجاز ظاهر، لأن كلمة الله لا تتحقق في لفظة واحدة، وإنما يتصور فيما
هو خبر، والخبر لا يكون مفردا .

والكلمة المفردة لا يمكنها أن تخضع لتأثير لغوي إلا بانضمامها إلى
غيرها " وعزل الكلمة عن غيرها يؤدي إلى فقدان المعنى، ولا يمكن أن
تحدد معنى الكلمة إلا من علاقة هذه اللفظة بما يجاورها من ألفاظ. (2) "

1-المرجع نفسه ص119

2-الصورة البلاغية عند الجرجاني ص86-87

أما ابن هشام فقد أشار إشارة واضحة لاصطلاحية الجملة في دراسة مفصلة واسعة خالف بها تعريفا وإعرابا وتقسима النحاة الذين سبقوه بحيث ارتسم اتجاهين واضحين في مفهوم الجملة النحوية وتقسيمها وإعرابها . فقد أفرد في كتابه (مغني اللبيب عن كتب الأعراب) بابا خاصا للجملة، تعرض في بدايته إلى التفرقة بين مصطلح الجملة ومصطلح الكلام.

فالكلام في رأيه يمكن السكوت عليه إذا جنبت منه فائدة، أما الجملة فهي " عبارة عن الفعل وفاعله كقام زيد، أو المبتدأ وخبره، كزيد قائم، أو ما كان بمنزلة أحدهما نحو : ضرب اللص وأقائم الزيدان، وكان زيد قائما، وظننته قائما (1) " وبهذا يظهر لنا أنهما ليس مترافدين، كما يتوهمه كثير من الناس وهو ظاهر قول صاحب المفصل، فإنه بعد أن فرغ من حدّ الكلام قال : " ويسمى جملة والصواب أنها أعم منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها، ولهذا تسميهم يقولون : جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيدا، فليس بكلام (2) . "

1-مغني اللبيب ص490

2-المرجع المرجع نفسه ص490

فابن هشام يثير مشكلة جدية بالدراسة والاعتبار فبعد أن رأى تعريف علماء النحو ناقصا ليس جامعا ولا مانعا، إنما فيه تباين في الآراء وخط في الاستعمال بين مصطلحي الجملة والكلام، وعلى هذا الأساس قدم دراسة ميدانية واسعة تخص الجملة وصل فيها حسب رأينا إلى تحديد القاعدة العلمية للجملة، بعدم ترافدها لمعنى الكلام، وهي نتيجة مغايرة لما قد ذهب إليه النحاة الذين سبقوه في إطلاق الجملة على الكلام كونهما مترافدين. (1)

وعلى العموم فقد تحدث عن الجملة النحوية لغويا واصطلاحا علماء كثيرون، منذ سيبويه، وأفردوا لها في مؤلفاتهم أبوابا وأقسامًا، وذكروها في سياق كلامهم ومع ذلك يمكن القول أنها لم تتل حظا وافرا من الدراسة المفصلة الشاملة، كما أن النحاة القدماء استخدموا مصطلحات لا يمكن إغفالها من درس النحوي تدور في فلك الجملة، كالكلام والكلم والكلمة والقول غير أننا لمسنا في آرائهم تباينا وتضاربا، فقد بينوا الفوارق الحاصلة في المعاني ووظيفة كل مصطلح، وظلت هذه الآراء محل خلاف دون تحديد مفهوم شامل ومتكامل.

ولم يقتصر الاختلاف عند هذا الحد، بل قالوا أن الكلام خبر وطلب وإنشاء وزاد بعضهم إلي أن وصل إلى عشرة أنواع (2) وحصره بعضهم في الخبر والإنشاء إذ كلها ترجع إليهما. (3)

1- مغني اللبيب ص 491

2- همع الهوامع وجمع الجمع الجوامع ج 1 ص 12

3- شرح شذور الذهب ص 32

وقسمت الجملة من حيث تركيبها إلى أقسام، فإن بدئت بفعل سميت جملة فعلية وإن بدئت باسم سميت جملة اسمية، وإن بدئت بظرف سميت ظرفية، وإن بدئت بشرط سميت شرطية، وهذه قسمة أبي علي الفارسي "وأما الجملة التي تكون خبرا فعلى أربعة أضرب :

الأول أن تكون جملة مركبة من فعل وفاعل، والثاني أن تكون مركبة من ابتداء وخبر والثالث أن تكون شرطا وجزاء والرابع أن تكون ظرفا(1)

وسار في ذلك الجرجاني ومن تبعه، بينما نجد آخرين ينفون الجملة الشرطية وييقون على الأنواع الأخرى.

فأنواع الجمل أربعة عند بعض العلماء، وثلاثة عند بعض آخر، وعند جمهور النحاة اثنتان، فعلية واسمية " فقد حصل لك أربعة أضرب من الجمل وهي في الأصل اثنتان، الجملة من الفعل والفاعل، والجملة من المبتدأ والخبر. (2) "

وهذا ما تحدث به ابن يعيش المتوفى 643 هـ عند تعرضه للجملة حيث اعتبر قسمة أبي علي الفارسي للجملة على أربعة أضرب فعلية واسمية وشرطية وظرفية قسمة لفظية.

1-المقتصد في شرح الإيضاح ج 1 ص 271

2-الجملة العربية ص 150

وهي في الحقيقة ضربان فعلية واسمية، لأن الشرطية في التحقيق مركبة من جملتين فعليتين، الشرط فعل وفاعل والجزاء فعل وفاعل والظرف في الحقيقة للخبر الذي هو استقر وهو فعل وفاعل . (1)

فالجملية الشرطية في نظره وإن كانت من أنواع الجمل الفعلية، وكان الأصل في الجملة الفعلية أن يستقل الفعل بفاعله نحو قام زيد إلا أنه لما دخل هاهنا حرف الشرط، ربط كل جملة من الشرط والجزاء بالأخرى حتى صارتا كالجملية الواحدة، نحو المبتدأ والخبر، فكما أن المبتدأ لا يستقل إلا بذكر الخبر، كذلك الشرط لا يستقل إلا بذكر الجزاء وبصيرورة الشرط والجزاء كالجملية الواحدة، جاز أن يعود إلى المبتدأ منهما عائد واحد نحو :

زيد إن تكرمه يكرمك عمرو، فالهاء في تكرمه عائدة إلى زيد، ولم يعد من الجزاء ذكر، ولو عاد الضمير منها جاز وليس بلانم نحو : زيد إن يقم أكرمه، ففي يقم ضمير من زيد وكذلك الهاء في أكرمه تعود إليه أيضا.(2)

ومهما اختلفت آراء علماء النحو في مفهوم مصطلح الجملة ومصطلح الكلام فإن هناك قدرا مشتركا بينهما يمكننا من الوصول إلى النتائج التالية

1-لقد أجمع علماء اللغة أن الجملة أو الكلام ليتألفان من جزء واحد، إذ لابد أن يشتملا كلمتين على الأقل.

1-المرجع السابق ص151

2-المرجع نفسه ص 151

2- كل منهما يجب أن يتوفر على مسند ومسند إليه، وبغيرهما لا يستقيم كلام، ولا تتحقق فائدة.

3- الفرق الحاصل بينهما يعود إلى أن بعضهم يرى أن الكلام أعم من الجملة، ويطلق على المفيد وغير المفيد. (1)

فأنواع الجمل أربعة عند بعض وثلاثة عند بعض آخر، وعند جمهور النحاة اثنتان فعلية واسمية ومهما اختلفت دراسات وبحوث النحاة في رحاب الجملة النحوية قصد تحديد مفهومها وأقسامها وإعرابها، منذ عهد الخليل وسيبويه حتى الآن فهي وافية كل الوفاء للدرس النحوي الذي لا يزال بابه مفتوحا ينتظر المزيد من الدراسات في المجالين النحوي واللغوي وإن كانت الدراسات النحوية أو اللغوية القديمة، أظهرت جملة من التساؤلات والتأملات لدى الباحثين المحدثين من خلال مصطلحات لغوية ونحوية قديمة، حملت معان مختلفة واستتجت من خلالها مفاهيم جديدة ومن هذه المصطلحات ما يصب في خانة الجملة، كالإسناد، والكلام، والكلم، والكلمة، والقول، ثم الجملة أخيرا. (2)

ومن المصطلحات الحديثة نذكر التركيب، والأسلوب، والبنية، الترتيب، النظم، والتعليق... هذه المصطلحات شغلت المفكرين اللغويين وفتحت أمامهم أبوابا واسعة في مجال الدراسات والأبحاث اللغوية الحديثة

...

1- المرجع السابق ص 150

2- المقتصد في شرح الإيضاح ج 1 ص 277

الجملة العربية في نظر المحدثين

لم تحظ الجملة النحوية بالعناية والاهتمام من قبل علماء اللغة ونحاتها قديما بل كان اهتمامهم البالغ بالصيغ الإفرادية، كما أنها لم تتل حظا وافرا من البحث عند المحدثين رغم أنهم لم يكونوا راضين كل الرضا عما وجدوه عند القدماء، فقد اكتفى معظمهم في تعريفه للجملة بالتركيز على العناصر التي ركز عليها القدماء تعريفاتهم لها، كالتركيب والإسناد والإفادة للمعنى الذي يحسن السكوت عليه (1)

ومن هنا كان تأثر علماء العرب بهذه الدراسات الداعية إلى تغيير النحو القديم بما يوافق البحث العلمي الموضوعي، غير أن كل محاولاتهم الرامية إلى التجديد والتغيير باءت بالفشل في مهدها لأنهم ببساطة قد وجدوا علم النحو العربي قائما مستقر الأركان لا يزال منذ قرون بعيدة، حين قامت تلك الدراسات التحليلية الوصفية الشاملة للغة العربية، وقد نال علم النحو من هذه الدراسة ما نالته بقية العلوم الأخرى لأنه كان جزء منها، فكتاب سيبويه ليس كتاب نحو فقط وإنما هو أول كتاب في علوم العربية الذي حفظه لنا التاريخ . (2)

فإن اللغة العربية تمتاز بأنها واحدة من لغات قليلة في هذا العالم أتيح لها أن تدرس دراسة تحليلية وصفية شاملة، فمن الطبيعي إذن أن يكون علم النحو الذي هو جزء منها مكتمل البنين قائم الأركان (3)

1-الجملة العربية ص 9

2-الموجز في شرح دلائل الإعجاز ص 13-14

3-المرجع نفسه ص 15

ومادام الاعتقاد سائدا لدى بعض علماء اللغة المحدثين أن النحو العربي قد تأثر في بداية نشأته بالمنطق الأرسطي والنحو اليوناني، ويرى آخرون فساد الاعتقاد، وأنه عربيا قد نبت عند العرب كما تنبت الشجرة في أرضها وأنه أنقى العلوم العربية . (1) وهذا ما ذهب إليه العالم المستشرق بروكلمان عندما نجده يقول:

أن أوائل علم اللغة العربية سيبقى دائما محوطة بالغموض والظلام، لأنه لا يكاد ينتظر أن يكشف النقاب بعد عن مصادر جديدة تعين على بحثها ومعرفتها . ومن ثم لا يمكن إصدار حكم قطعي مبني على مصادر ثابتة للحسم برأي في إمكان تأثر علماء اللغة الأولين بنماذج أجنبية ... والرأي الذي يتكرر دوما عند علماء العرب، وهو أن علم النحو انبثق من العقلية العربية المحضة، بغض النظر عن الروابط بين اصطلاحات هذا العلم ومنطق أرسطو، وفيما علا ذلك لا يمكن إثبات وجوه أخرى من التأثير الأجنبي، لا من القواعد اللاتينية ولا من الهندية " (2)

ومن اللغويين المحدثين نجد عبده الراجحي يقرر هذه الحقيقة في كتابه فقه اللغة في الكتب العربية " وخالصة القول أن المنهج النحوي لم يكن نقلا محضا ولم يكن عقلا محضا " . (3)

سواء تأثر العرب بغيرهم أو لم يتأثروا في بناء صرح هذا العلم، فإننا لا نرى هناك دافع الأهمية لإثارة هذه القضية فالعقليات على اختلاف أنواعها وأجناسها تؤثر وتتأثر على حد سواء .

1- النحو العربي والدرس الحديث ص 9

2- المرجع نفسه ص 10

3- المرجع نفسه ص 10

فقد تأثر الغرب بعلوم العرب لكن من المستفيد من هذه العلوم ومن بنى بفضلها مدينته؟ فالمهم هو كيفية الاستفادة من هذا العلم في المحافظة على اللغة العربية من جهة وكيفية استيعاب أحكامه وقوانينه بسهولة تامة لتصبح في عقول الناس، وبذلك نكون قد ضمنا سلامة لغتنا من الدّيوغ وحافظنا على عذوبتها ونقاوتها.

فصناعة النحو قد تجاوزت الغاية التي قامت من أجلها، فاللغة هي مهارة يكتسبها الإنسان ويمارسها في حياته اليومية أما النحو فهو علم يتأتى للمرء نتيجة الدراسة والتأمل لا نتيجة الممارسة " ولو كان النظم في معاني النحو لكان البدوي الذي لم يسمح بالنحو قط ولم يعرف الفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر لا يتأتى له نظام الكلام، وإن لنراه يأتي في كلامه بنظم لا يحسنه المتقدم في النحو. " (1)

فكثرة الشروح وشروح الشروح قد جعلت من علم النحو بناء معقدا متاخلا لا يدري المرء من أين يدخل إليه، ونتيجة لهذا حاول بعض النحاة أن يقدموا دراسة جديدة تدور في فلك الجملة النحوية وقد عللوا محاولاتهم بأنها تستهدف إلى التيسير في الدراسة النحوية ولم يستطع أحدهم أن يأتي بجديد في موضوع الجملة، بل سار معظمهم في ركب السابقين وتتبع خطاهم، وآخرون اختلط عليهم الأمر فابتعدوا عن تعريف الجملة وتحليلها ابتعادا تاما.

والأستاذ عباس حسن ممن سار في نهج القدماء، عندما يعرف الجملة بقوله " الكلام أو الجملة هو ما تتركب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد

مستقل " (1) فهو يرى أن الكلام والجملة مترادفان وأنهما ما يؤدي معنى مفيدا مستقلا، فالكلمات المفردة والمركبات التي لا تتضمن معنى مستقلا لا تسمى جملة ولا كلاما . " (2) وهذا ما ذهب إليه ابن جني عندما قال " أما الجملة فهي كلّ كلام مفيد مستقل بنفسه . (3)

وأضاف الأستاذ عباس حسن أن الجملة الخبرية إذا وقعت صلة لموصول أو نعتا، أو حالا، أو تابعة لشيء آخر كجملة الشرط لا جوابه فإنها لا تسمى جملة خبرية، إذ لا يكون كلام مستقل بالسلب أو الإيجاب تنفرد به ويقتصر عليها وحدها، بل هي لذلك لا تسمى كلاما ولا جملة، ومثل هذه الجمل الجملة الواقعة خبرا إذ ليس لجملة من تلك الجمل كيّان مستقل له معنى، ولم ينفرد بهذا التفصيل بل أشار إليه الصبان نقلا عن السيد في شرح المفتاح (4)

ينص الأستاذ حسن عباس على أن يكون للجملة كيّان مستقل معنوي فإذا كان المركب الإسنادي من فعل وفاعل، أو مبتدأ وخبر يمثل عنصرا في تركيب لغوي أطول لا يسمى جملة .

وهذا التعريف للجملة يطابق تعريف بلوفيلد إذ عرف الجملة بأنها " الشكل اللغوي المستقل الذي لا يكون متضمنا في تركيب نحوي أو في شكل لغوي أطول " . و لم يتعرض إلى تعريف هذه المركبات الإسنادية، غير أن السيوطي الذي نعتبره من القدماء قد تعرض لذلك في الهمع عندما قال .

1-النحو الوافي ص 6-7

2-المرجع نفسه ص 7

3-الخصائص ص 17/1-18

4-المرجع السابق ص 18/1

وأما إطلاق الجملة على ما ذكر من الواقعة شرطاً وجواباً أو صلة
بإطلاق مجازي لأن كل منهما كان جملة قبل، فأطلقت الجملة عليه
باعتبار ما كان (1)

وسار تمام حسان على درب القدماء في تقسيم الجملة إلى خبرية وانشائية
وكل قسم جعل له أقسام أخرى، وفي كل ذلك لم يهمل ما يتعلق بالمعاني
والتركيب، وإضافة إلى ذلك اعتبر الكلمة المفردة وحدة الجملة بحكم
تعريفها، لفظ مفرد، ودلالاتها على معنى مفرد فإفرادية الكلمة هي
المساعدة على بناء الجملة من الكلمات دون غيرها من وحدات التحليل

1- همع الهوامع وجمع الجوامع ص 12/1

وطبيعة الإفراد هي التي جعلت اللواحق والزوائد تلصق بها، وظاهرة الإعراب ترتبط بها، وبإمكان تأخير الكلمة وتقديمها ويمكن أن تقام الكلمات الأخرى أو تفصل عنها وبهذا يتحقق وجودها النظري باعتبارها وحدة تحليلية (1) وهو يرى على غرار سابقه أن الكلمة أقسام ثلاثة، اسم وفعل وحرف، وهذا التقسيم مبني على مسمى، والفعل ما دلّ على حدث وزمن، والحرف ما دلّ على معنى متعلق بغيره، أما من حيث المبنى فالأمر واضح من قول ابن مالك:

بالجر والتثوين والنداء ال ومسند للاسم تمييز حصل

بناء فعلت وأنت ويا افعلي ونون أقبلن فعل ينجلي (2)

وكشف علماء النحو عن المعرب والمبني، وبينوا بعض المعاني الوظيفية التي تؤديها العناصر اللغوية بالتذكر والتأنيث والتعريف والتكثير والإفراد والتثنية والجمع (3)

والمعروف في ميدان علم النحو ومنذ أن ظهرت البوادر الأولية في وضع القوانين اللغوية لمعرفة أصالة المفردة العربية من هجانتها فإن للجملة النحوية ركنان أساسيان لا يمكن الاستغناء عنهما، المسند والمسند إليه ففي الجملة الاسمية المبتدأ مسند إليه والخبر مسند، وأما في الجملة الفعلية فالفاعل أو نائبه مسند إليه والفعل مسند وكل ركن من هذين الركنين عمدة في الكلام لا تقوم الجملة إلا به، وما عداهما فهو فضلة يمكن الاستغناء عنه في تركيب الجملة.

1- اللغة العربية معناها ومبناها ص 242

2- اوضح المسالك في ألفية ابن مالك ص 164

3- في اللغة العربية نحوها وصرفها ص 110

ويرى بعض اللغويين المعاصرين أن الجملة ليست عملية إسنادية كما تعتقده بعض الدراسات النحوية، إنما هي علاقات فكرية من الكلمات وكذا، تأثيرات نفسية، وهي بذلك تسمو عن فكرة الإسنادية، فهي ألفاظ ومعنى تراعى فيها الضوابط النحوية والدلالية المعنوية.

وانطلاقاً من هذا المفهوم نجد المهدي المخزومي يعارض في كتابه "النحو العربي نقد وتوجيه" نظرية الجملة الشرطية وجوابها، إذ يعتبر الشرط وجوابه شرط واحد ما دامت تعبر عن فكرة واحدة، وذكر جزء منها يدفع السامع إلى التشوق للجزء الثاني، إذن هي جزء لا يقبل التقسيم ولا تعدّ مجموعة أفكار بل إن المتكلم يعبر بها عن فكرة واحدة (1)

واعتبر أن الجملة هي نقطة البدء في الدراسة النحوية "لأن النحو نظم وتأليف" (2) وهي عنده أصغر وحدة تؤدي معنى محددًا في شكل كلمات ذات علاقات داخلية، وكل ما يطرأ عليها من تغيير كالتقديم والتأخير والحذف، يعدّ من صميم دراسة الجملة النحوية.

ونظراً لعدم وجود دراسة واسعة مفصلة خاصة بالجملة النحوية عند النحاة القدماء باستثناء دراسة ابن هشام للجملة والتي تحتاج إلى تفصيل وتهذيب، فقد عاب عليهم المخزومي إهمالهم لموضوعات ذات أهمية في دراسة الجملة "كأحوال المسند إليه والمسند وأحوال متعلقات الفعل وكأحوال التقديم وما يهدف إليه ثم الذكر والإضمار اللذين يعرضان

1- النحو العربي نقد وتوجيه ص 286

2- المرجع نفسه ص 17-31

لأجزاء الجملة وغيرها مما يكشف عن أسرار، فحكمه في ذلك كان قاسياً
علماً أن قدماءنا لم يهملوا هذه القضايا بتاتا فجميع الدراسات اللاحقة
الخاصة بعلم النحو ودراسة الجملة لا شك أنها جاءت نتيجة دراسات
سابقة قام بها علماء نذروا أنفسهم خدمة لبناء صرح هذا العلم، فكان ذلك
العلم تراث عربي زاخر بفتون لعبقريات " بناه العرب جيلا بعد جيل
يضيفون ويعلون حتى أضحي هذا العلم مفخرة للغة والعرب معا " (1)

كل ما في الأمر أن النحاة القدماء قد ذكروا تلك القضايا متناثرة ومتفرقة
في مؤلفاتهم لا يكاد يجمعها باب واحد ولا فصل مستقل على غرار
طريقتهم في التأليف.

أما إبراهيم أنيس فيعرف الجملة في كتابه " من أسرار اللغة ". " فالجملة
في أقصر صورها تتركب من ألفاظ هي مواد البناء التي تلجأ إليها
المتكلم، يرتب بينها وينظم ويستخرج لنا من هذا النظام كلاما مفهوما (2)
فالجملة نظام تسيره وتتحكم فيه قوانين وقواعد معينة فإن تعرض هذا
النظام إلى التشويش والاختلال فقدت اللغة القدرة على الإتيان وذهبت
الفائدة لارتباك العلاقات في السياق.

1-الموجز في شرح دلائل الإعجاز ص 13-14

2-من أسرار اللغة ص 258

فالمفردات خارج نظام تركيبى لا تمثل شيئاً إلا إذا ائتلفت وتألّفت مع بعضها البعض وهذه نظرية قد ذهب إليها الجرجاني في القرن الخامس الهجري.

فالجملّة عنده ما تكونت من كلمات دلت على معنى وقد تقتصر على كلمة واحدة، مع مراعاة سياق الكلام، نحو قولك " محمد " من سألك من القادم ؟ " فان الجمل التي يعتبرها غير تامة أو حذف منها جزء هي في الحقيقة تامة كاملة في السياق الذي وردت فيه " (1)

فكلمة " محمد " لا يمكن اعتبارها بأي حال من الأحوال إلا وهي مرتبطة بسياق كلامي معين، ولذا فقد اعتبر الجملّة أقصر صورة تركيبية يلجأ إليها المتكلم.

فالغاية من اللغة عندما تترايط الألفاظ وتتشابك في علاقات داخلية عضوية " تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل " (2)

والنتائج التي توصل إليها علماء النحو المحدثين أن النحو الغربي لا يكاد يخلو من الصعوبة والتعقيد، وكذا طرق التأويل الملتوية وهذا أمر طبيعي لا بد أن يوجد في قوانين العلوم، لأن علم النحو لم يكن عمل فرد معين، إنما هو عمل أجيال من العلماء تفانت في بناءه طبقة تلو الأخرى تضيف وتعلل، تجمع وتدوّن حتى أعطى هذا العلم أكله.

وهو إلى جانب ذلك تراث علمي زاخر بفنون العبقريات مرتبط بترائثنا التاريخي وبكتابنا الخالد في الوقت ذاته.

1-دلائل الإعجاز ص 35

2-المرجع نفسه ص 35-36

فكانت جميع أبحاثهم عبارة عن محاولات استهدفوا بها تيسير الدراسة النحوية أمام الدارسين إلا أنها لم ترق إلى مستوى النجاح والتوفيق، لأنها لو تكن قائمة على جهود القدماء الذين أضاءوا سبيل المعرفة. ولم تكن رامية إلى تطوير النحو العربي والدرس الحديث، بقدر ما كانت ثورة على النحو القديم، الذي نراه علما كامل البنيان، وطيد الأركان

فمن خلال وقوفنا على بعض الدراسات التي قام بها بعض اللغويين المحدثين محاولة منهم لتيسير قواعد اللغة العربية على المتعلمين بوضع أصول سهلة يسيرة تقربهم من لغتهم القومية . لكن عندما نتأمل هذه الدراسات نجدها إما انتقادات قاسية على القدماء أو محاولات لهدم ما بناه السلف الصالح من هؤلاء، هذه المحاولة لا يرجى من وراءها فائدة كبيرة في تيسير القواعد النحوية خدمة للغة العربية، وليست هي التجديد المطلوب في علم النحو و مكوناته بل، يجب البحث عن محاولة غيرها تحقق هذا التجديد، ولن يتأتى ذلك إلا بفس الجهود المضنية التي عرفها النحو العربي أثناء نشأته، وينبغي أن ينبني على أهداف نبيلة مقدسة توضع في الحسبان .

فالذين عمدوا إلى جمع العلامات الإعرابية وقالوا عن الضمة عن الإسناد والكسرة علم الإضافة، والفتحة ليست بعلم الإعراب - والتتوين علم التتكير، وغيروا في ملامح الجملة النحوية تغييرات جذرية وكذا التعريفات النحوية وذهبوا إلى أن الأصل في اسم إن وأخواتها الرفع وخطئوا النحاة القدامى في فهم هذا الباب، واستخدموا الشذ والنادر وطالبوا بإلغاء نظرية العامل ومحاولات أخرى تهدف إلى الاستغناء عن الإعراب التقديري و الإعراب المحلي، وكانت هناك محاولة لوضع

حركات أصلية للإعراب وأخرى فرعية - ولكل حركة تسمية واحدة في الإعراب والبناء وإهمال التكملة بالنسبة للجملة وتغيير تسمية المسند والمسند إليه بالموضوع والمحمول - كما تعرضت إلى متغنى الظرف وحروف الإضافة و أرادت إلغاء الضمير المستتر وجوبا وجوازاً. وهم بهذا العمل يحاولون إرجاع اللغة العربية إلى سابق عيها عندما كانت لغة يتكلمها الجميع على اختلاف مراتبهم دون الإكترات للضويط والأحكام والقواعد النحوية شأنها في ذلك شأن اللهجات العامية المنتشرة هنا وهناك في الأقطار العربية والتي لا تعترف البتة بهذه القوانين اللغوية.

هذه الدراسات أسالت الحبر الكثير، وأثارت غضب الكثير من العلماء فتصدوا لهذه المحاولات ووجهوا لأصحابها انتقادات لاذعة، واعتبروها محاولة لإفساد اللغة العربية والنيل منها، وبمحاولة هدم هذا العلم الذي وطّد أركانها، " بل عدوها خروجاً عن الدين. " والحقيقة في ذلك واضحة فالنحو العربي أخذ أصوله من كتاب الله، ونما تحت ظلاله، أنشئ من أجله وظله فالمساس به يعتبر ضرراً مباشراً في تراثنا وديننا ولغتنا العربية، وإليه يعود الفضل في حفظ كتاب الله من الزلل والجن. (1)

فجميع الدراسات الغربية التي تقدم بها علماء النحو المحدثين لا جديد فيها يستقطب الاهتمام، فهي إما انتقادات هدامة لا طائل منها أو ثورة على الأصول النحوية دون وجود بديل يضمن حصانة اللغة العربية. إن لم نقل محاولات لإفساد هذه اللغة.

في حقيقة الأمر لسنا في حاجة إلى مثل هذه الدراسات بقدر ما نحن بحاجة إلى دراسة ميدانية متأصلة انطلاقاً من التراث العربي العريق، ولن يتأتى ذلك إلا بالرجوع إلى فهم الصول لتستقيم الفروع، ومن يقتصر الجهد العلمي على الثقافة العربية الإسلامية جملة وتفصيلاً.

فهناك علماء في عصرنا قد تعرضوا في ميدان النحو إلى قضايا جديدة بالاعتبار لكن المؤسف أن هذه القضايا تبقى محل انتظار إلى من ينفخ فيها روحاً جديدة ويدفعها إلى الأمام لتجد من يطورها حتى تصبح بناء قائماً وتراثاً يعتز به (1).

إن النحو العربي ليس بحاجة إلى إصلاح لأنه علم مرتبط بتاريخنا وديننا وحياتنا كل ما في الأمر أن يجتهد المحبون والغيورون عليه بأن يعودوا إلى الأصول ودراستها دراسة المتعمق و" أن يدرس النحو العربي دراسة جديدة لا تمس الجوهر، إنما ينبغي أن تتجه الدراسة إلى التراكم الأسلوبية قصد تسهيلها وتبسيطها وتقريبها إلى الأذهان، والعمل على حذف الآراء الإنفرادية، والشاذة وهي آراء في رأينا زادت النحو العربي تعقيداً لكثرتها وتباينها، أحياء للتراث النحوي العربي القديم وإخراجه إلى حيز الوجود في ثوب جديد لائق بهذا العلم". (2)

1- الجملة العربية دراسة نحوية 213

2- المستفيل ص 81-82

هذه مواضع جديرة بالدراسة والبحث، وهي في حاجة ماسة إلى من يندرها نفسه وينقطع لها خدمة للعلم وبناء لصرحه. فالدراسات والأبحاث العربية والغربية على حد سواء كانت ولا زالت وستبقى متواصلة للوقوف على أسرار هذا العلم الذي حافظ على كتاب الله من ذرع اللحن وخوفا عليه من عوادي الفتنة .

فالقرآن الكريم بقي دستور الإسلام نصا موثوقا بكل تفاصيله بدءا من خروج حروفه إلى علامات إعرابه إلى ألفاظ كلماته إلى تركيب جملة إلى أماكن الوقف من خلال هذه الجمل وفي نهايتها، ثم هو نص معجز سواء من حيث المعنى السامي القصد، ومن حيث المبنى المحكم النسيج.

هذا من جهة أما من جهة أخرى فلازلة الغموض والتناقضات الحاصلة في الشكليات التي طغت على الجوهريات في الكثير من الدراسات تيسيرا وتسهيلا منها لإبعاد عنه التقديرات والتأويلات والتفسيرات الفلسفية المعقدة التي حالت دون تمكين القراء من ناصية اللغة .

التركيب وعلاقته بالإعراب

إن الظروف التي دعت إلى نشأة الدراسات اللغوية العربية جاءت علاجاً لظاهرة كان يخشى منها على اللغة العربية الفصحى وعلى القرآن وهي التي سميت (بذبوع اللحن) فالأخطاء اللغوية التي شاعت على ألسنة الموالي وأصابت عداها ألسنة بعض العرب كان على المستوى الصوتي والصرفي وعلى المستوى النحوي الذي كان يتعدى مجال العلامة الإعرابية إلى مجالات أخرى كالمطابقة والرتبة ... وكذا على المستوى المعجمي كاختيار كلمة أجنبية دون العربية، نستطيع القول انطلاقاً من هذه المعطيات أن الخطأ كان محصوراً في مبنى الكلمة وليس معناها.

ومن هنا اتجهت الدراسات اللغوية العربية إلى المبنى أساساً ولم يكن قصدها إلى المعنى، وتناولت المبنى المستعمل على مستوى الجملة لا على المستوى الجزئ التحليلي لها، كما هو معروف في علمي الصرف والنحو.

وحين تكلم صاحب دلائل الإعجاز عن النظم والبناء والترتيب والتعليق كانت كلها أمور تتصل بالتركيب أكثر مما تتصل بالمعاني المفردة . ولما كان مصطلح التركيب في الدراسات اللغوية هو المقصود بالدرس بمفهوم آخر، نحاول من خلال هذا البحث المتواضع تتبع خطوات ظهور وتطور مفهوم التركيب وعلاقته بعلم الإعراب الذي هو في الحقيقة علم النحو، فالتركيب إذن يختص بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة وحركة العناصر وانسجامها في سياق ظريف وتلاؤمها في نطاق تام مفيد تتلاقى فيه المعاني وتتناسق الدلالات على أساس العلاقات التي تؤلف وحدة متكاملة لها إفادتها اللغوية والنحوية.

فالتركيب اللغوي، بمفهومه الحالي لم تكن له مكانة بين الدراسات اللغوية في القديم، بالرغم من أن علماء اللغة بذلوا مجهودات جبارة لا سبيل إلى نكرانها في مجال دراسة اللغة، إلا أن الجانب التركيبي للجملة لم يحظ إلا بشيء يسير.

ولعل أول من أدرك هذا النقص عبد القاهر الجرجاني فخص جزءاً من كتابه (دلائل الإعجاز) لفكرة النظم، وهو يقصد به التركيب، ويختص هذا الجزء بالبحث في العلاقات المعنوية بين الأبواب النحوية، وهي من أخص خصائص التركيب اللغوي، غير أن هذه الرؤية الجليلية لم يشأ لها النمو والاهتمام، وظلت يتيمة، لم يتابع فيها.

ونعود إلى فكرة النظم، والتي قلنا أنها تعني التركيب في المفهوم الحديث فالجرجاني كان يرمي من خلالها إلى اقتفاء آثار المعاني، وترتيبها في النفس، وهو عنده نظير التأليف والبناء، فالكلام ليس مجرد رصف الكلمات بعضها إلى بعض، ولكن ذلك يكمن في العلاقات بين وحدات التركيب في أثناء التركيب والتأليف بين معانيها في نسق العلاقات يبلورها في شكل نظام لغوي مستقل، حيث يقول: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه، أن لا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبني بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب تلك" (1)

فالنمط الرفيع من الكلام لا يحدث إلا باتحاد أجزاء الكلام وإدخال بعضها في بعض، وأن يشتد ارتباط ثان منها بأول، "فالكلام أو الجملة وحدة متماسكة العناصر، لها نظامها وعلاقتها الداخلية" (2) ويؤكد الجرجاني، أن عملية النظم ليست شيئا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم "وتلاؤم الأجزاء في الجملة تلاؤم الحروف والحركات في الكلمة الواحدة" (3)

فالكلام في اللغة العربية تكوين، له شكله العام، ولهذا التكوين أجزاءه ومكوناته، ولا تكون هذه المكونات جزئيات مستقلة في شكل كلمات فقط بل يجب أن تكون جزئيات مركبة داخل نظام من العلاقات اللغوية النحوية، وهو بالإضافة إلى ذلك ما تتركب من مسند ومسند إليه.

1-دلائل الإعجاز ص76

2-التركيب عند ابن المقفع ص13

3-الأصول ص138

وهذا تحديد عام اتفقت عليه جميع لغات العالم، والبنية التركيبية مكونة من وحدات أصغر منها، هي الكلمات تشكل هيئات تركيبية، لها علاقات ترابطية تسري في عناصرها (1)

فالجرجاني حين تعرض للحديث عن اللفظ والنظم، أشار إلى أن الألفاظ قبل دخولها في التأليف، " لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وان الألفاظ تثبت لها هذه الفضيلة، وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها وانك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر " (2)

فالتركيب المفيد لا بد أن يخضع لعدة عمليات قبل أن يستقر في شكله النهائي، بحيث يكون في أول الأمر مجرد معان متزاحمة في نفس الفرد الذي يقوم بعملية تنسيق داخلي بينها، ثم يبحث لها عن الكلمات المناسبة لها، وأخيرا يمنحها الأصوات التي تؤديها وتعطيها طابعها الفيزيائي والفائدة من هذا النظام هو أن تتو إلى الألفاظ في النطق وتتناسق في الدلالة وتتلاقى في المعاني على الوجه الذي يقتضيه المنطق، لأن اللغة موضوع أساسا للفهم والإفهام، فالفرد حين يتكلم يرتب كلماته على حسب معانيها في نفسه.

1-الموجز في شرح دلائل الإعجاز ص32

2-دلائل الإعجاز ص38

كما لا يمكن دراسة علم التركيب بمعزل عن النحو، فلا معنى للنظم غير توخي معاني النحو، فإذا أهملت هذا الجانب الهام " لم تكن صنعت شيئاً تدعى به مؤلفاً " (1)

ومما ينبغي أن يعمل الإنسان انه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلام أفراداً، أو مجموعة من معاني النحو، فلا يقوم في وهم و لا يصح في عقل أن يتفكر في معنى فعل من غير أن يريد أعماله في اسم، ولا أن يتفكر في معنى اسم، من غير أن يريد أعمال فعل فيه وجعله فاعلاً له، أو مفعولاً، أو يريد جعله مبتدأً أو خبراً أو صفة، أو حالاً، أو ما شاكل ذلك " (2)

لو جئنا مثلاً بأي كلام أزلنا أجزاءه عن مواضعها ولم نراع في مثل ذلك وضع الكلمة إلى جانب أختها حتى تأخذ مكانها من السياق، ووضعناها وضعا يمتنع دخول معاني النحو فيها، لما تعلق منك فكر بمعنى كلمة لأنها مجردة من معاني النحو.

فالنظرية اللغوية التي وضعها عبد القاهر الجرجاني في القرن الحادي عشر الميلادي، قد أتت بنفس الأسس والمبادئ التي قامت عليها الدراسات اللغوية الحديثة بالنسبة للتركيب وبذلك فهي تمثل اتجاهاً متطوراً في علم اللغة العام الحديث.

1-المرجع السابق ص283

2-المرجع نفسه ص314

لم يكن التركيب بمفهومه الحديث يحتل حيزاً من الدراسات اللغوية عند علماء العرب القدماء، ولم يعطوا هذا الجانب حقه من العناية والاهتمام كما سبقت الإشارة إلى ذلك، غير أن دراساتهم لم تكن موجهة إلى طبيعة الجملة وبحث عناصرها المكونة لها على أساس العلاقات التي تؤلف بينها في وحدة متكاملة، وإنما انصببت اهتماماتهم على معالجة الأجزاء منعزلة لطريقة مستقلة داخل نظام لغوي شائك دون محاولة لتفكيك الوحدات المكونة لهذا النظام، ولم يكثرثوا لبحث العلاقات التي تجعل منه نظاماً قائماً بذاته.

ولم تكن إشاراتهم للجملة إلا إذا قدرت بالمفرد واستخدمت في موضعه وقامت مقامه، وقد قال بذلك ابن هشام في معرض حديثه عن الجمل التي لا محل لها من الإعراب " وهي سبعة، وبدأنا بها لأنها لم تحل محل المفرد " (1)

ولم نجد في أشهر مصنفات النحو، كالكتاب وغيره أبواباً ولا فصولاً خاصة بدراسة الجملة من حيث أنواعها وعلاقة عناصرها، ومختلف وظائفها، وهذا لا يعني أن جميعها خالية من كل إشارة إلى الجملة أو التركيب، غير أن الجملة رهينة دراسة الأجزاء المنفصلة، ولا يكثرث لها إلا إذا عوضت المفرد وقدرت به.

ولا يعني هذا أننا نريد الانتقاص من المجهودات المضنية التي سخرها أولئك اللغويون العظام وكرسوا حياتهم في سبيل خدمة التراث العربي والحفاظ على النص القرآني، وما قدموه من نتائج جليلة جعلتهم يحيطون بجميع الوحدات التي تدخل في تركيب الكلام، وضبطوا الأحكام العامة المتعلقة به". وهذا يعني أنهم درسوا بدقة كل الأبواب النحوية التي هي لب الكلام وأساس بناء الجملة الصحيحة " (1)

إن الكلام لا يمكن أن يتألف من جزء واحد، بل لا بد أن يشتمل على جزأين في أقل تقدير، " وهذا يعني أن اللغة نظام لربط الألفاظ وفقاً لمقتضيات دلالاتها العقلية، وبفضل ذلك النظام تتمكن اللغة من القيام بوظيفتها الأساسية كوسيلة لاتصال بين الناس " (2)

فالكلام تركيب لا تتم فائدته إلا بتوفر عنصرين على الأقل، وهذا شرط أساسي فيه، وله أهميته في بحث بنية التركيب اللغوي . وللجملة في نظر النحاة ركنان : المسند والمسند إليه، ولا يتضح المعنى إلا إذا توفرت عليهما، فهما ركنان أساسيان إذ بدونهما لا يسمى الكلام كلاماً، فالمبتدأ في الجملة الاسمية مسند إليه، الخبر مسند، وأما في الجملة الفعلية فالفاعل أو نائبه مسند إليه، والفعل مسند، وكل عنصر منهما عمدة في

1-الجملة الفعلية البسيطة ص12

2-الموجز في شرح دلائل الإعجاز ص32

التركيب، لا تقوم الجملة إلا به، وما عداها فهو فضلة يمكن أن يستغنى عنه التركيب .

وقد اهتدى إلى هذا القانون الاسنادي أول الأمر سيبويه، وقد ظل هذا القانون المعيار الأساسي في فهم الجملة عند النحاة (1)

فقد ذكر سيبويه في باب المسند والمسند إليه من الكتاب أن المسند والمسند إليه " لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدهاء فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك : عبد الله أخوك، وهذا أخوك ومثل ذلك : يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء، ومما يكن بمنزلة الابتداء قولك : كان عبد الله منطلقاً، وليت زيدا منطلق، لأن هذا يحتاج إلى ما بعده كما يحتاج المبتدأ إلى ما بعده " (2)

أن المبني عليه تعبير أطلقه سيبويه على الخبر وهو يحمل فكرة الإسناد لأن الذي يبني على أي شيء يشترط أن يكون هذا الشيء أساساً له حتى يسند إليه.

صار علم التركيب يعني بدراسة علاقات النظام اللغوي عند علماء اللغة المحدثين وفحص بنيته على مستويين : " المستوى السطحي الدال

1- علم المعاني ص 132

2- الكتاب ج 1 ص 23

والمستوى العميق المدلول، وطريقة الربط بينهما " (1)
وبدراسة العلاقات بين الوحدات التركيبية للجملة " يتهياً فهم تشكل هذه
الوحدات في بنية متراسة ومتماسكة نحويًا ودلاليًا " (2)
فالدراستات اللغوية القديمة قد خلت من مثل هذه النظريات التي نرى
علماء اللغة يطبقونها في أبحاثهم حتى يتسنى لهم الفهم الصحيح لمختلف
الابنية التركيبية للغة العربية في أساليبها المتنوعة.
لقد أدرك المحدثون أن التركيب اللغوي يخضع إلى نظام وقواعد معينة
كالذكر والإظهار والوصل والربط، إلى جانب الرتبة والعامل، وبفقد
عنصر من هذه العناصر ينحرف التركيب عن مبادئه ويضيع معناه.
فالكلام - في نظرهم - تركيب من مجموع الألفاظ المفيدة بالوضع، أي
مفيدة بأصل وضعها، لأن الأصل في وضع الكلام أن يكون لفائدة، فإن
لم نراع نمطاً معيناً في وضع الكلام، وغيّرنا رتب الكلمات وعلاقاتها
دون مراعاة نظام لغوي معين لما تمت الفائدة، ولو جننا بمثال : " أريد
أزهي راكب على مركوب " (3)، أحدثنا تغييراً على مستوى التركيب
مثل : مركوب راكب أزهي على أريد " لذهبت الفائدة، لأننا، ببساطة لم
نراع تركيب العناصر في الجملة بأن يكون الفعل قبل الفاعل، وإلى
قبل المجرور، ومن ثم ارتكبت العلاقات في السياق، وضاع المعنى

1- الجملة الفعلية البسيطة ص 45

2- المرجع نفسه ص 45

3- شرح مقامات الحريري ج 2 ص 64

بسبب تشويش الرتبة بالتقديم والتأخير (1)

يتم التركيب اللغوي بتناسق الدلالات وتلقي المعاني على الصورة التي يقبلها العقل، وليس الغرض منه رصف الألفاظ إلى جانب بعضها بشكل يختل فيه النظام.

وفي ضوء الدراسات اللغوية المختلفة تفتن علماء العرب المحدثون إلى جوانب هامة في بناء الجملة حين تطلعوا على الدراسات اللغوية الغربية بعد ظهور المناهج العلمية الجديدة، فلم تعد نظرتهم مقتصرة على معالجة عنصر الكلام منعزلاً بل تعدته إلى حركة الكلمة في سياق من الكلام داخل نظام من العلاقات، يتلاءم فيه العنصر الانفرادي مع غيره في نطاق تركيب تام له إفادته النحوية.

وقد ركزوا في مختلف مؤلفاتهم على نوع من العلاقات التي تربط الكلمة المحورية بما حولها من الأسماء والأفعال، كعلاقة الفعل بفاعله، والفعل بمفعوله والفعل في هذا المقام بمثابة المحور الذي تتعلق به مختلف عناصر التركيب (2)

1-الأصول ص138

2-الجملة الفعلية البسيطة ص25

ومهما عرفت الدراسات الغربية من تطور ملحوظ في ميدان الدرس اللغوي، فإن الدراسات التي أبدتها بعض نحاة العرب تستحق التتويه حيث اهتموا إلى نظريات هامة جدية بالاهتمام، لا تزال تحظى بالتقدير بين النظريات الغربية في ضوء الدراسات الألسنية الحديثة (1)

لقد نظر علماء الغرب إلى علم التركيب بنفس نظرة العرب، فالجملة عندهم تركيب مبني على قواعد متعارف عليها، تختص بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة وحركة العناصر المكونة لها . والتركيب في منطق اللغة تركيب في حكم الكلمة الواحدة وحذف جزء منها يجعل الكلمة غريبة لا معنى لها.

لم تعد لعلم التركيب تلك الوظيفة القديمة التي كان يقوم بها في دراسة الأجزاء المنفصلة باستقلالية تامة، وإنما أصبح في ضوء الدراسات الألسنية الحديثة يختص بدراسة بنية الجملة وتركيبها، وتحديد نوعية العلاقات النازمة لها (2)

وتكون دراسة اللغة في " حالة استقرارها في بيئة مكانية وزمانية محددة " (3)

1-الموجز في شرح دلائل الإعجاز ص133

2-الجملة الفعلية البسيطة ص 35

3-في النحو العربي نقد وتوجيه ص29

فالتركيب اللغوي يمر حتماً بجملة من التحويلات قبل أن ينتهي إلى صورته الصوتية المحسوسة التي يقبلها الفرد، بعد مراعاة المعنى في ترتيب الكلمات والمطابقة بين الأسماء والأفعال والضمائر.

يمكن القول أن هناك عوامل مشتركة بين النظريات اللغوية الحديثة، وهذا ما يدل على أن العبقورية العربية تضاهي أحدث النظريات التي توصل إليها علم اللغة الحديث.

وإذا كان التركيب علماً يختص بدراسة العلاقات القائمة بين المفردات داخل سياق الكلام، حسب ما تقتضيه الأحكام العامة للغة، ولكن لا معنى له، وإن بلغ الغاية من الوضوح والظهور بمعزل عن النحو فإن أهملت هذا الجانب المهم في التركيب " لم تكن صنعت شيئاً تدعي به مؤلفاً (1) والنحو عند النحاة هو الإعراب حيث بنوا نحوهم على قرينة واحدة هي العلامة الإعرابية (2)، وقد نجد في كثير من كتب النحو واللغة اختلاط المفهومين اختلاطاً بيناً، حتى أن النحو يسمى إعراباً، والإعراب يسمى نحواً. فقد استعمل الجرجاني عبارة " لا علم له بالإعراب " ولم يقل :

1-دلائل الإعجاز ص183

2-مدخل إلى دراسة الجملة العربية ص72

لا علم له بالنحو، مما يدل على أن مفهوم الإعراب عنده هو النحو (1) وقد جاء في شرح المفصل (لابن يعيش) ما يدل على أن النحو والإعراب لهما مفهوم واحد " الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيًا على علم الإعراب " (2)

والسبب في هذا الخلط بين المصطلحين يرجع في رأي الدكتور سليمان ياقوت " إلى أن الإعراب كان سببًا في نشأة النحو، فسمي باسمه، واستأثر الإعراب باهتمامهم وأصبح المحور الذي يدور حوله النحو وغيره من الدراسات اللغوية " (3)

فالإعراب إذن "من العلوم الجليلة عند العرب، ولولاه لما استطاع أحد أن يفرق بين المعاني المتقاربة في اللفظ أو يقف على معنى، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد " (4)

اتفقت آراء اللغويين الذين تعرضوا للإعراب على مدلول مشترك هو

1-ظاهرة الإعراب في القرآن الكريم ص16

2-شرح المفصل ج 1 ص8

3-المرجع السابق ص16

4-المزهر في علم اللغة ج 1 ص328

الإبانة أو الإفصاح " ثم أن النحويين لما رأوا في أواخر الأسماء والأفعال حركات تدل على المعاني، وتبين عنها سموها إعراباً " (1)

ويرى ابن جني أن الكلام لا يكون بينا إلا بعد أن تراعي فيه ضرورة الأحكام النحوية والوظائف اللغوية . فالحركة الإعرابية لا تقوم بنفسها ولا توجد إلا في حرف، وأن الحرف لا يوجد إلا متعلقاً بكلمة، والكلمة لا تؤدي معنى ولا تجني منها فائدة إلا برصفها إلى جانب أختها في ترتيب تقتضيه العلاقات اللغوية، البلاغية منها والنحوية . (2)

تكلم الناس على سجيتهم بغير إعراب ولا معرفة منهم به، ومع ذلك لم يجدوا صعوبة في الفهم والتفاهم لكن بعد اختلاطهم بغيرهم دب الفساد إلى لغتهم فكان أمراً طبيعياً من تعييدها . ونسجل هنا موقف أبي القاسم الزجاجي المتعقل حين بيّن ضعف تفكير الذين يطالبون بتسكين الكلمات والاستغناء عن الحركات الإعرابية وقصر نظرهم، وأوضح أهمية الإعراب، بوصفه قانوناً يحافظ على سلامة اللسان العربي الفصيح (3)

ونجد عبد القاهر الجرجاني، في معرض حديثه عن شرح مفهوم نظم الكلام وارتباطه الوثيق بالنحو يخلص إلى نتيجة حتمية يختتم بها عرض

1-الإيضاح في علل النحو ص91

2-الخصائص ج1 ص95

3-المرجع السابق 95

فكرته، إذ يقول : " قد علمنا علم ضرورة أننا لو بقينا الدهر الأطول
نصعد ونصوب ونبحث وننقب، نبتغي كلمة قد اتصلت بصاحبه لها
ولفظة قد انتظمت مع أختها، من غير أن نتوخى فيما بينهما معنى من
معاني النحو، طلبنا ممتعا " (1)

ومما لا شك فيه أن الجرجاني - عندما يكون بصدد الحديث عن النحو -
إنما يكون يقصد - من وراء ذلك - الحركات الإعرابية التي تلحق أواخر
الكلمات العربية، من رفع ونصب، وجر وجزم، هذه الحركات الوحيدة
التي تفرق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، والمتعلقة على نفسها، " إذ كان
قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي
يفتحها، وإن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه
المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجائه حتى يعرض عليه،
والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، ولا ينكر ذلك
إلا من ينكر حسه " (2)

وإذا وقفنا مع السيوطي وجدناه هو الآخر يقر هذه الأحكام بالنسبة
للإعراب، إذ يقول : " فأما الإعراب فيه تميز المعاني، ويوقف على
أغراض المتكلمين " (3)

1-الموجز في شرح دلائل الإعجاز ص37

2-دلائل الاعجاز ص 23-24

3-المزهر في علم اللغة ص329

وهو لا يكفي بهذا التعريف وإنما يسوق إلينا أمثلة متشابهة في التركيب وفي الألفاظ " وذلك أن قائلًا لو قال : ما أحسن زيدا، أو ما أحسن زيد ؟ أو ما أحسن زيد . أبان الإعراب عن المعنى الذي أراده " (1)

فلولا الحركات الإعرابية لما استطاع المرء أن يهتدي إلى المعاني الصحيحة الكامنة فيها، ولبقي متحيرا من أمره أمامها، فهي إذن كاشفة مضمونها وجالية غموضها . وبفضلها يتضح أن الجملة الأولى تعجبية والثانية استفهامية والثالثة نافية.

ويرى صاحب المفصل أن المبتدأ والخبر لو لم يجردا للإسناد لكانا في حكم الأصوات التي حقها أن ينعق بها غير معربة، لان الإعراب لا يستحق إلا بعد العقد والتركيب، والإسناد لا يأتي بدون طرفين مسند ومسند إليه . فلو فقد الترابط بين المبتدأ والخبر، وجردنا الكلمتين من العوامل لا للإسناد لصارتا لفظتين منفصلتين، كل على حدة، ولا يستطيع الوقوف على المعنى النحوي، وبالتالي لا تظهر العلامة الإعرابية في آخر الكلمة، لأن العلامة الإعرابية تكون علامة للمعنى (2).

1-المرجع السابق ص329

2-المفصل في علم اللغة ص24

وهناك من عاب ربط المعاني النحوية بالعلامات الإعرابية، لأنهم لا يجدون في كلامهم أسماء تتفق في الإعراب وتختلف في المعنى، وأخرى تختلف في الإعراب وتتفق في المعنى . فالعلامات الإعرابية قد لا تعين وحدها على بيان المعنى النحوي، بل لابد من قرائن أخرى متضافرة في بيان ذلك المعنى للوصول إلى العلاقات التي تحكم الكلمات في تركيب ما فلهذه العلاقات بين الكلمات صلتها المحكمة بموضعها في الكلام على الشكل الذي يقبله العقل وتتحقق منه فائدة.

ونجد ابن قتيبة يتعرض بدوره للإعراب في كتابه : (مشكلات القرآن) حيث يقول : " وللعرب الإعراب الذي جعله الله وشيا لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين، كالفاعل والمفعول، ولا يفرق بينهما إذا تساوت حالهما في إمكان أن يكون الفعل لكل واحد منهما إلا الإعراب .

ولو أن قائلًا قال : هذا قاتل أخي بالتتوين، وقال آخر : هذا قاتل أخي بالإضافة لدل بالتتوين على أنه لم يقتله، وب حذف التتوين على أنه قتله . ولو أن قارئًا قرأ : (فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون (1) وترك طريق الابتداء باننا وأعمل القول فيها بالنصب على مذهب ما ينصب ان بالقول، كما ينصبها بالظن لقلب المعني على جهته، وأزاله عن طريقته، وجعل النبي محزونًا لقولهم : إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا كفر ممن تعمدته وضرب من اللحن لا تجوز الصلاة به، وقال رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - : " لا يقتل قرشي صيدا بعد اليوم " فمن رواه جزما أوجب ظاهر الكلام أن لا يقتل إن ارتد

1-سورة يس الاية 76

ولا يقتصر به أن قتل، ومن رواه رفعا انصرف التأويل إلى الخبر عن قريش أنه لا يرتد أحد منهم عن الإسلام فيستحق القتل " (1)

فاختلف المراد فيما ذكر باختلاف الحركات الإعرابية، لقد فرق الإعراب الجمل المتكافئة مع العلم أنها لم يطرأ عليها شيء من التغيير من حيث تركيبها وتنسيقها، فالمعنى التركيبي الدلالي قد تغير بتغير حركات الإعراب، فإذا أهمل في الجمل اشتبه على السامع فهمها لاحتمالها معاني لا يميزها إلا الإعراب والذي هو نظر ابن قتيبة، سر جمال العربية وعذوبتها. (2)

ونجد الأستاذ عباس حسن يأتي بأدلة لا تقبل الشك والجدل حول الإعراب حيث يقول : " تثبت أن الإعراب هو روح اللغة، وأن الكلام دون الإعراب لا طائل من ورائه، ولن يكون مفهوما، وأن تسكين أواخر الكلمات سوف يخلق مشاكل كثيرة تتلخص فيما يلي:

- إن التراث القديم كله دينيا وغير ديني لا سبيل لفهمه بغير الإعراب.
- والشعر العربي القديم يقوم في أوزانه وتفعيلاته على الإعراب (3)

1-مشكلات القرآن ص56

2-المرجع نفسه ص56

3-النحو الوافي ج 1 ص84

وبناء على ما سبق ذكره يمكننا القول أن الإعراب هو سر جمال اللغة وعذوبتها، والكشف عن الأغراض الكامنة فيها، إذ بدونها لا نستطيع أن نفرق بين المعاني المتقاربة، ولا نجني فائدة علمية، انه المقياس الذي ترد إليه جميع الأحكام والقواعد .

العلاقة إذن بين التركيب والإعراب علاقة تكاملية لا يمكن أن يستغني طرف منهما عن الآخر فإذا كان التركيب يهتم بترتيب الألفاظ في جمل والكيفية التي تتألف منها هذه الألفاظ، وهذا طبعا اعتمادا على ضوابط وأحكام نحوية وصرفية ودلالية، فإن الإعراب هو المحور الذي تدور حوله الدراسات النحوية.

الظواهر الإعرابية في اللغة العربية

أثبتت الدراسات اللغوية الحديثة أن اللغة ظاهرة اجتماعية يتميز بها كل مجتمع إنساني وهي تتطور بتطوره، وتنمو نمو حضارته كما أن لكل لغة مقدرتها وعبقريتها على التعبير لا نجد لها في لغة أخرى وهذا يعود إلى طبيعة الحضارات الإنسانية الراقية والحياة الفنية(1)

تتطور اللغة نتيجة أسباب كثيرة ومتنوعة وهناك كتب عديدة قديما وحديثا عرضت لموضوع تطور اللغات، غير أن العرب نظروا إلى لغتهم على أنها أفضل اللغات جميعا، فالعربية كما يعبر عنها الباحثون هي لغة القرآن و" مرآة الشعب ومستودع تراثه الفكري وديوان أدبه وسجل مطامحه وأحلامه، ومفتاح أفكاره وعواطفه، وهي فوق هذا وذاك رمز كيانه الروحي وعنوان وحدته وتقدمه وخزانة عاداته وتقاليده (2).

وعن أفضلية اللغة العربية عن سائر اللغات تحدث ابن فارس عارضا للأسباب التي يراها وأهمها أنها لغة الوحي الكريم قال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) (3) وقال أيضا : خلق الإنسان علمه البيان (4) فقد خصّ جلّ ثناؤه اللسان العربي بالبيان ووصفه بأبلغ ما يوصف به

1-نظريات في اللغة ص : 50 - 51

2-فقه اللغة في الكتب العربية ص : 101

3-سورة الشعراء الآية 195

4-سورة الرحمن الآية 1

الكلام، ويمضي في بيان بقية الأسباب التي يراها لأفضلية العربية فيذكر أن للعربية الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والإدغام وما بها من الألفاظ المترادفة ما لا يوجد في لغة أخرى . (1)

ويرى الثعالبي أن " العربية خير اللغات والألسنة " وجعل السبب في ذلك نزول القرآن الكريم بها " فكيف وأيسر ما خصّها الله عز وجلّ من دروب الممادح يكل أقلام الكتبة، ويتعب أنامل الحسبة، ولما شرفها الله عزّ اسمه وعظّمها، ورفع خطرها وكرمها، وأوحى بها إلى خير خلقه، وجعلها لسان أمينه على وحيه وخلفائه في أرضه وأراد بقاءها ودوامها حتى تكون في هذه العاجلة لخير عبادة، وفي تلك الآجلة لساكني دار ثوابه، قيّض لها حفظة وخرنفة من خواص الناس وأعيان الفضل وأنجم الأرض فنسوا في خدمتها الشهوات وجابوا الفلوات... " . (2)

فمعرفة اللغة تفتح للإنسان آفاقاً بعيدة رحبة من التجارب والمعارف والأفكار يطالع من خلالها على عادات وتقاليد وأساليب وأذواق وتراث أمته الفكري والحضاري والاجتماعي وبهذا الإطلاع على تراث أمته المدون يضم تجارب الماضين إلى التجارب والأفكار التي يكتسبها فتكون هذه كلها قاعدة أساسية لإبداعات جديدة نامية ينقلها بواسطة اللغة إلى أجيال المستقبل فاللغة إذن هي ملك الأمة لا الأفراد، من هنا كان لابد

1-المرجع السابق ص102

2-فقه اللغة وسر العربية ص2

أن تضبط أحكامها وقواعدها لضمان استمراريتها لأن اللغة هي الوسيلة
الرئيسة للتقدم الحضاري البشري ... (1)

كانت هناك بعض الفوارق في لهجات القبائل في الجزيرة العربية، لكن
هذه الفوارق لم تكن عائقا تحول دون التفاهم حتى بين القبائل المتباعدة
في السكن، وأغلب هذه الفوارق ترجع إلى طبيعة اختلاف الأصوات
والقوالب والمفردات وقد لفتت أنظار النحاة واللغويين الذين نعتمد على
أخبارهم في معارفنا عن اللهجات العربية ما قدموه لنا من جهد في هذا
المضمار. (2)

الإعراب عند علماء النحو : تغيير يلحق أواخر الكلمات العربية من رفع
ونصب وجر وجزم، على ما هو مبين في قواعد النحو (3)

والإعراب في الاصطلاح يخص علم النحو وحده، وهذه التسمية عرفت
قديما فقد ذكر السيوطي المتوفى سنة 911 هـ رواية عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه أنه استعمل كلمة الإعراب بمعنى النحو حين
قال:

"ليعلم أبو الأسود أهل البصرة الإعراب." « (4)

1-الحصيلة اللغوية ص : 68

2-الخصائص ج1/ص 241-المستقبل ص68

3-الجملة النحوية ص89

4-التحفة البهية والطريقة الشهية ص 49

وتحدث ابن فارس عن ظاهرة الإعراب قائلاً : ((من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ولولاه ما ميّز فاعل من مفعول ولا مضاف من منوعات ولا تعجب من استفهام ولا صدر من مصدر ولا نعت من تأكيد)) . (1)

أما عبد القاهر الجرجاني فعندما نجده يتحدث عن النحو، إنّما يقصد بذلك الحركات الإعرابية التي تلحق أواخر الكلمات العربية من رفع ونصب وجر لأنها تفرّق بين المعاني المتكافئة في اللفظ وهو في ذلك يقول :

((أنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه والمقياس الذي يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه)) . (2)

وتكون هذه الحركات إما عارضة لمادة الكلمة ومبناها أو عارضة لآخرها وتسمى الأولى حركات المباني والثانية حركات الإعراب لأنها تعرب عن مراد المتكلم بموقع الكلمة من الجملة.

1-الجملة النحوية ص90

2-دلائل الاعجاز ص273

كما ذكر علماء النحو أنواعا أخرى من الإعراب، كالإعراب اللفظي الذي يحدث في أواخر الكلمات، والإعراب التقديري الذي لا تظهر فيه الحركات على أواخر الكلمات بسبب ثقل أو تعذر وهو خاص بالكلمات المعتلة، والإعراب المحلي : ولا يكون ظاهرا أو مقذرا وإنما يحتمل في الجمل والكلمات المبنية.

فالإعراب إذن عند علماء النحو هو ذلك التغيير الذي يلحق أواخر الكلمات العربية من رفع ونصب وجر وجزم، فيفرق بين المعاني المتكافئة في اللفظ.

هذا فيما يخص حركات الإعراب التي تظهر فوق الكلمات المفردة أما الجمل فهي بعيدة عن الإعراب، لأنها مركبة تركيبا إسناديا يستحيل أن يظهر عليها أو يقدر بمجموعها حركات الإعراب، والأصل في الإعراب أن يعود بالضرورة للمفرد، وأن الجملة إذا جاز تقديرها بالمفرد أعطيت إعرابه تقديرا لأنها حلت محله وقامت مقامه واستخدمت في موضعه، يقول أبو حيان:

"أصل الجملة ألا يكون لها موضع من الإعراب وإذا كان لها موضع من الإعراب تقدرت بالمفرد . " (1)

ويرى علماء النحو أن الجملة من حيث الإعراب تنقسم إلى قسمين:

1-جمل لها محل من الإعراب.

2-جمل لا محل لها من الإعراب.

1-إعراب الجمل وأشباه الجمل ص31-32

واتخذوا مقياساً موحى في إعراب هذه الجمل على اختلافها، وإضافة إلى ذلك رأوا أن الجملة إذا جاءت مؤدية معنى نحويًا يؤديه المفرد كان لها إعراب ذلك المفرد نحو: (البحر يضطرب) في الفصحى وقد نجد نفس الجملة في المثل الشعبي: (الصّح ينبت) فيضطرب جملة قدرت بمفرد مضطرب في محل رفع خبر المبتدأ، ينبت جملة قدرت بمفرد نابت في محل رفع خبر أيضاً لمبتدأ.

أما الجملة إذا لم تؤد ما يؤديه المفرد فلا محل لها من الإعراب كونها لم تستخدم في موضع المفرد. نحو: زيد قائم جملة لامحل لها من الإعراب لأنها لا تحل محل المفرد. (1)

ولما تطورت العلوم العربية أضحى الإعراب أقوى عناصرها وأبرز خصائصها، بل سر جمالها وأمست قوانينه هي العاصمة من الزلل. فالعرب ورثوا لغتهم معربة من ميراث اللغة الأولى أمّ لغتنا العربية حفظتها لنا البداوة وحفظها بعد حاملها عن فساد اللسان بالعزلة وعدم امتزاجهم بالأمم الأخرى. فقد اهتدي علماء اللغة العربية إلى مصادر أساسية في جمع المادة اللغوية المدونة أهمها القرآن الكريم وما دون من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما دونه الرواة من قصائد الشعر الجاهلي والإسلامي، والأمثال التي كانت ملء السمع والبصر حيث أخذ الناس يعنون بها ويجمعونها منذ العصر الجاهلي.

1- إعراب الجمل وأشباه الجمل ص 31-34

أما النحاة الأوائل فقد عاشوا في محيط يعنى بالأمثال وجمعها وتدوينها سواء في المحيط البصري أو المحيط الكوفي، هذه المرحلة من الجمع والتدوين تالية لا شك لمرحلة سابقة كانت فيها الأمثال شائعة على الألسنة. أما اللغة غير المدونة فتتمثل في كلام العرب الفصحاء، وما كان يسمعه النحاة في حلقات العلم، وفي الأسواق العامة، وما كان يقدمه الرواة من قصائد شعرية في مناسبات خاصة في بلاطات الأمراء.

هذه المصادر هي مجموعة لغوية غنية بالظواهر، حافلة بالقواعد والأصول النحوية . (1)

وكان لظهور النحو في الوقت المناسب أثر كبير في الحفاظ على سلامة وعذوبة اللغة، وكان لها بمثابة الحصن المنيع والدرع الواقي من الفساد وديوع اللحن، لأن العرب نطقوا بلغتهم سليقة وسجية ولم يكونوا بحاجة في وقت من الأوقات إلى علم يضبطون به الألسنة فظلت العربية على ألسنتهم صافية غير مشوبة، إلا أن تمّ اختلاطهم بغيرهم من العناصر غير العربية فخشي الغيورون على اللغة أن تصاب بما يضعفها ويقضي على مقوماتها، ففكروا في وضع هذا العلم لصون اللسان من الخطأ.

فبعد اتساع حدود الدولة العربية، شاع اللحن والتحريف وجرى على ألسنة العجم، ثم على ألسنة العرب المتحضرين الأمر الذي دفع بعلماء العربية إلى التفكير في وضع ضوابط وقواعد يهتدي بها العرب وغيرهم من الأجناس إلى ضبط الكلام العربي، وهذه الضوابط في الكلام العربي أو كما يطلق عليها عادة في الدراسات النحوية، ظاهرة الإعراب غير

1-أصول النحو العربي ص26

2-ظاهرة الإعراب في النحو العربي ص16-17

مستحدثة في العربية الفصحى، إذ أن لها جذورا عميقة موهلة في التاريخ، فالعربية التي قيل بها الشعر الجاهلي فالإعراب فيه ضارب إطنابه مما لا يدع مجالاً للشك أن العرب قد ورثوا لغتهم معربة وهذا الإعراب ظل ينمو ويتزعرع شيئاً فشيئاً حتى أكتمل ونضج وتمثل هذا النضج في أشعار الجاهلين. (1)

ومن المؤكد أن تسرب اللحن قد اقتصر في بداية الأمر على أسنة العرب المستعربين حين اختلطوا بغيرهم من العرب في الحواضر، فالأعاجم كان يتقل عليهم إخراج الحروف الحلقية وحروف الإطباق، حتى شكا الناس من فساد الألسنة، ولم يكن بدّ من أن يتأثر العرب بأولئك الأعاجم بالرغم من وراثتهم لعربيتهم معربة وقرءوا القرآن معرباً وتناولوا أحاديث رسولهم صلى الله عليه وسلم معربة.

لكن الإعراب في البادية بمقتضى النشأة والفترة ظلوا في مناعة تامة من هذا اللحن حيث كانوا مقصد الرواة والعلماء عندما اشتد عليهم الأمر وتجدر الإشارة هنا إلى تلك الدراسات التحليلية الوصفية الشاملة للغة العربية التي قام بها علماء العرب في الوقت الذي شاع فيه اللحن وقد أفلحوا في الوصول إلى تلك الغاية التي وضعها نصب أعينهم فحافظوا على سلامة اللغة العربية ونقاوتها، وجنبوها خطر تفشي اللحن فيها بعدما كادت أن تفقد عذوبتها وجوهرها، فكان طبيعياً والحال كذلك التفكير في وضع ضوابط ومبادئ عامة يهتدي بها العرب المستعربون في ضبط الكلام العربي لتجنب تفشي اللحن. (2)

1-المرجع السابق ص 17

2-مراتب النحويين ص 10 -تاريخ الأدب وحياة اللغة العربية ج 2 ص 84

ويعود الفضل في ذلك إلى علماء أجلاء، فحين بدأ أبو الأسود الدؤلي بملاحظة الظواهر اللغوية كان في نفسه أمران : أولهما ما وقر في نفسه من أصالة وفطرة، وثانيهما ما طبع عليه من قراءة القرآن على يد علي بن أبي طالب، فأبو الأسود عربي فصيح، غذي بلبان العربية الأصيلة منذ نعومته، وندب إلى عمل عظيم يهيئه إلى ملاحظة الظواهر الكلامية التركيبية في لغة العرب وهو ضبط القرآن الكريم، نخر لغوي غني بالظواهر، وقد ساعده في عمله الجليل ما وصف به من حدة الذكاء والفتنة . (1)

ذلك أن الخط العربي يفتقر إلى إعجام وحركات، والإعجام هو إزالة العجمي ونعني به اللبس والإبهام عن الحرف المشتبه به بتتقيطه ففي العربية حروف لها صورة واحدة، كالباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء والسين والشين والعين والغين والصاد والضاد والطاء والظاء... الخ، فإذا لم تعجم لا نستطيع قراءتها صحيحة.

1-ظاهرة الإعراب في النحو العربي ص53

وقد اتخذ أبو الأسود الذؤلي كاتباً فطنا من بني عبد القيس وقال له :
«خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد فإذا رأيتني فتحت شفطي
بالحرف فانقط واحدة فوقه، وإذا كسرتهما فانقط واحدة أسفله، وإذا
ضممتها فجعل النقطة بين يدي الحرف، فإن تبعت شيئاً من هذه
الحركات غنة فانقط نقطتين، وابتدأ أبو الأسود القراءة حتى أتى على
آخر المصحف، والكاتب يضع النقط بمداد يخالف لون المداد الذي كتبت
به الآيات. (((1)

وضع أب الأسود الذؤلي أبواباً من النحو وتكلم في مسائل القياس والعلل
والعوامل وهو بهذا الصنيع ((كان أول من أسس العربية، وفتح بابها
وأنهج سبيلها، ووضع قياسها... ووضع باب الفاعل والمفعول والمضاف
وحروف الجر والرفع والنصب والجزم. (((2) إن هذا العمل الذي قام
به أبو الأسود لم يكن إلا مشروعاً تمهيدياً لما جاء بعد، لكن ينبغي أن
نعترف اعترافاً موضوعياً بأن هذه الخطوة كانت بحق رائدة ليست
للدرس النحوي فقط، بل لكل الدراسات اللغوية على اختلاف أنواعها، ولم
يذكر هذا النحو العربي الأول التركيب اللغوي لكنه ذكر حسب المستوى
التقليدي أو الشكلي لتلك التراكمات القليلة المنسوبة إلى هذه الخطوة
الأولى، على الرغم من عدم ذكر البنى العميقة بكيفية مباشرة فإننا
نستخلص ذلك من خلال الأشكال والظواهر للبنى السطحية.

1-المحكم في نقط المصاحف ص7 - تاريخ الادي أو حياة اللغة 84/2

2-مقدمة طبقات الشعراء

فعندما انتشر اللحن بين الموالي بشكل يثير التخوّف على مصير اللغة جزّ ذلك في نفسيته حين نراه يعبر عن هذا الموقف بقوله : هؤلاء الموالي قد رغبوا في الإسلام، ودخلوا فيه فصاروا لنا إخوة فلو علمناهم الكلام(2) فهو لا يقصد تعليمهم المعاني وإنما يقصد أن يتعلموا طرق العرب في التعبير وحقيقة القول أن يتعلموا أسلوب العربية ونحوها، وتم وضع ضوابط لقواعد العربية نحوها وصرفها، وسار تلاميذته بعده على سنته في تتبع الظواهر اللغوية في القرآن، وجمعوا إليه ما كانت تطلع به البيئة الفصيحة من ظواهر أخرى . (3)

إذن نشأ النحو العربي في البصرة على مراحل، المرحلة الأولى تمت على يد أبي الأسود الدؤلي كما سبق الذكر الذي كان همه ضبط قراءة القرآن الكريم الذي لم يكن في عصره معجماً ولا منقوفاً خشية عليه فهو

1-تاريخ الأدب أو حياه اللغة ج2/86

2-المدارس النحوية ص16

3-المحكم في نقط المصحف ص7 -ظاهرة الإعراب في النحو العربي ص49

دستور الإسلام ودليل العبادات والمعاملات وأدب السلوك وعلاقات الأفراد والجماعات في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ثم هو نص موثوق بكل تفاصيله بدءاً بمخارج حروفه إلى علامات إعرابه إلى ألفاظ كلماته إلى تراكيب جملة إلى أماكن الوقف من خلال هذه الجمل، لذلك كان القرآن معجزة الإسلام الكبرى ومن هنا كان الخوف عليه من عوادي الفتنة، وحيناً من مخاطر اللحن ..(1)

أما المرحلة الثانية فقد تمت على يد الخليل ابن أحمد الفراهدي الذي رأى أن الخط العربي أصبح مثقلاً بعدد كبير من النقط، بعضها لإعجام الحرف وبعضها للحركة هذا الأمر عسر القراءة وعقدها، فأدخل على الخط العربي ما كان يسميه بأبعاض الحروف " فاقطع من الألف بعضها وجعله رمزا للفتحة، واقطع بعض الياء وجعله رمزا للكسرة، وصغر الواو وجعلها رمزا للضمة " وبهذا العمل قلل الخليل من عدد النقط في الخط العربي واستعاض عنها برموز يسهل تمييزها .(2)

وفي مرحلة متأخرة من عهد الخليل كان جيل من القراء قد مات، فكثرت الخطأ وعمّ التصحيف عند قراءة حرفين متشابهين في الصورة كالباء والتاء، والعين والغين، والحاء والخاء، والسين والشين وتفتت موجة من اللحن في العراق، وبإيعاز من الحجاج قام رجل اسمه نصر بن عاصم بإعجام الحروف العربية، وليس بالمستبعد أن يكون أبو الأسود

1-مفاتيح العلوم للخوارزمي ص 44

2-الإيضاح في علل النحو ص93-94

الدؤلي هو الذي أعجم الحروف المتشابهة في صورها من قبل. (1)
ثم جاءت بعد ذلك مرحلة وضع العلامات والرموز لضوابط القراءة
وتتمثل في الشدّ والمدّ والسكون وعلامة الوصل ففي الكلمات العربية
حروف مشددة كما في " شدّ، مدّ، حبّ " وهناك ألف ممدودة كما في
آمن، وهناك مقاطع في الكلمة ساكنة إذن، هذه الرموز تهدف إلى تيسير
وضبط القراءة وتنفي النتؤات والمتافرات حتى وصلت إلينا بصورها
الحالية.

ومن المسائل الهامة في الخط العربي رمز الهمزة فقد ظل العرب مدة
غير يسيرة وليس لهم في خطهم رمز أو صورة لهذا الحرف الكثير
الورود في أبنية الكلمات العربية.

كانوا يرمزون إليه بدائرتين صغيرتين تكتب الواحدة فوق الأخرى، أو
بدائرة كبيرة تكتب بمداد مخالف، ورمز إليها الخليل برأس عين مصغر،
وخوفا من الالتباس كتب رأس العين على حرف يجانس حركته، ذلك أن
الخط العربي نقطا للإعجام، ورموزا للحركات وإشارات لضوابط
القراءة . (2)

أما الدوافع الحقيقية لوضع أحكام اللغة العربية فيمكن حصرها في النقاط
التالية:

1-المرجع السابق ص44

2-ظاهرة الإعراب في النحو العربي ص50

1-الدافع الديني : قيل أن اللحن تسرّب إلى العربية، فالإسلام أظل يظلمه
أما غير عربية اعتنقت الإسلام ديناً، ونتيجة ذلك فقد العرب شيئاً من
السليقة اللغوية الفطرية، قد يتغاضى الناس عن هفوات لغوية ترتكب في
النثر أو الشعر، ولا يغفرون زلّة من يخطئ في قراءة القرآن الكريم
دستور الإسلام ودليل العبادات والمعاملات، وهو نص موثق بكل
تفاصيله بدءاً بمخارج حروفه إلى علامات إعرابه، وتراكيب جملة ومن
هنا كان الخوف عليه حيناً من دواعي الفتنة وحيناً على مخاطر اللحن
والتحريف، ثم أن القرآن لم ينزل بلهجة عربية فصيحة واحدة، بل نزل
بمعظم لهجات القبائل العربية ذات الفصاحة والسلامة، وعندما وقعت بين
قراء الأمصار مشادات في القراءات القرآنية فزع عثمان بن عفان إلى
تقات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بقوا بعد حروب
الردّة وأمرهم أن يجمعوا ما تفرق من الصحف والعظام واللخاف وسعف
النخل عند المسلمين، وكان أكثر ذلك في بيت حفصة بنت عمر
واستكتبهم مصحفاً سمي باسمه ونسب إليه فوزع ستاً من نسخه على
الأمصار، وابطل ما عداه مما كان في أيدي الناس، وكان لهذا العمل أثر
بالغ الأهمية في ثقافة العرب الدينية، ثم في نشأة النحو العربي فيما
بعد(1)

وكان الخط العربي الذي كتب به مصحف عثمان لا يعرف النقط ولا
الشكل ولهذا السبب لم يكن في مأمن من التصحيف والتحريف . (2)

1-المحكم في نقط المصحف ص7

2-المرجع السابق ج2 ص86

2- الدافع التعليمي: حرص الأعاجم والموالي على تعلم اللغة العربية ليتسنى لهم قراءة كلام الله فالعلم فرض على كل مسلم، كيف يتسنى للأعجمي وغيره من يتقن العربية أن يتعلم لغة لا أحكام لها ولا قواعد علما أن الكتابة كانت مقتصرة على الحروف دون إعجام وتنقيط، أما أمر الحركات فيترك للقارئ وفي هذا صعوبة كلية ومزلق خطيرة . (1) فافتقار الخط العربي إلى الإعجام والحركات كان من الدوافع الأساسية لوضع ضوابط وقواعد للقراءة الصحيحة.

3-الدافع القومي : وجد العرب أنفسهم وارثين لحضارة الروم والفرس والشعوب الآرمية، ولتقافات ذات تنوع وعمق ولم يكن للعرب مثل هذه الحضارات ولا تلك التقافات، فكان لابد على العرب أن يسلكوا الطريق التي تليق بأمة قائدة وإنشاء ثقافة قومية يجعلون بها الرسالة التي أغذقت عليهم نعمة الفتح والغلبة رائدة، والقرآن هو وعاء هذه الرسالة، وليس الأمر هنا المحافظة على النص القرآني كما مرّ بنا في العامل الديني وإنما الأمر أن يكون القرآن محور الجهد العربي، ومن هنا نشأت عدة علوم في التفسير واللغة والأدب، فالقرآن نص أدبي معجز يشتمل على الحقيقة والمجاز . (2)

ولهذه الأقسام التي أصبحت خاضعة لسلطان العرب كتبهم المقدسة، ولهذه الكتب أحكام وقواعد لغوية، فلماذا لا يكون للغة العرب التي يقدسونها

1-فقه اللغة ص 105

2-الصاحبي في فقه اللغة 52

أحكامها وقواعدها؟ وهكذا بدأت علوم اللغة العربية تتبلور وراح الغيورون عليها يعملون على تنظيمها وتقعيدها على أسس منطقية فلسفية . (1)

4-الدافع السياسي : دخل أبناء الأمم المغلوبة الإسلام طوعا أو كرها ودانوا بالطاعة للدولة الإسلامية الفتية التي سرعان ما انقضى فيها عهد الخلفاء الراشدين بكل ما يحمله من أخوة إسلامية، وجاء الأمويون بسياسة التفرقة والعصبية بحسب الأعراق، فانقسم المسلمون إلى عرب وموالي، وكان لسان العربي لغة القرآن ولغة الدولة وهي عدة في يده للنفوق والتسلط، أما الموالي فقد نشئوا في حضن العرب فاستظلوا بظل الفصاحة والسليقة العربية، وهم في حاجة إلى تعلم لغة إخوانهم في الدين والدولة . (2)

ولم يكن علماء اللغة الأوائل نفضوا أيديهم بعد من بعض التصنيفات النحوية الأولية كأقسام الكلام وحركات الإعراب ونحوها حتى وجد الموالي ظلتهم المنشودة فتعلموا اللغة والدين والدولة، وشاركوا في صناعة النحو وحولوه من منهج علمي إلى منهج تعليمي (3). وكانت النتيجة أن دخل الموالي في زمرة المواطنين بعدما كانوا غرباء كيف النحاة تفكيرهم النحوي بحسب كفاءات تلك الظروف فتحول النحو إلى أداة تعليم خدمة اللغة القرآن من جهة وإنصافا لبني جلدتهم من جهة أخرى . لم يتفق علماء اللغة والنحاة على تعريف واحد للنحو فكل فريق له تعريفه الخاص، واختلاف هذه التعاريف يرجع بالدرجة الأولى إلى تحديد دائرة

1-المرجع السابق ص105

2-المرجع نفسه ص106-108

3- دراسات في فقه اللغة ص111

القواعد النحوية فمن العلماء من يرى أنها تشتمل على أساليب اللغة من جميع نواحيها ومنهم من يذهب غير هذا بقصرها على أواخر الكلمات ومعرفة بنيتها واشتقاقها وتصريفها.

فعلم النحو هو فرع من علوم العربية، وقد اقتضت طبيعة التدرج والتعمق في البحث أن يستقل النحو عن فروع العربية الأخرى وإن ينفرد به العلماء، وإن تظهر فيه مؤلفات مستقلة.

ولعل خير تعريف للنحو ما أورده ابن جني في مؤلفه الخصائص إذ يقول : ((النحو هو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقيق والتكسير والإضافة، والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّب بعضهم عنها ردّ به إليها(1) وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحواً، كقولك قصدت قصداً ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم، وهو بهذا النص قد سبق علماء عصره وجاء بما وصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة التي تجمع بين علم النظم وعلم التركيبي وعلم الصيغ الصرفية تحت باب واحد هو باب النحو. فعلم التركيبي كما سبقت الإشارة إليه في المبحث السابق فهو (يعني أول كل شيء بترتيب الكلمات في جمل أي أنه يدرس الطرق التي تتألف بها الجمل من الكلمات (2) كما يهتم بأمور أخرى لا تقل أهمية عن تركيب الكلمات وتأليفها في جمل ومنها البحث في قوانين المطابقة، أو عدمها من حيث العدد ومن حيث النوع، والبحث في الإعراب وقوانينه (3)

2- اعلم اللغة ص 245

1- الخصائص ج 1 ص 36

3- دراسات في علم اللغة ص 29

فالنحو عند ابن جنى على هذا المفهوم هو محاكاة العرب في طريقة كلامهم تجنباً للحن، وتمكيناً للمستعرب في أن يكون كالعربي في فصاحته وسلامة لغته عند التعبير .

ولاشك أن علم النحو إنما هو طائفة من خصائص اللغة العربية وليست الناحية الإعرابية والصرفية هي كل خصائص اللغة ولكنها ناحية لها أهميتها في اللغة العربية.

إذا انطلقنا من قول الجرجاني : ((أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون النحو هو المستخرج لها وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه)) . (1)

كان من الصواب أن نقول أن الكلمات قبل التركيب لا توصف ببناء ولا إعراب إذ لا تستحق هذا الحكم إلا وهي في تركيب وجد موجب الإعراب، ويعني النحويون بموجب الإعراب المعاني المتعاقبة على الاسم الواحد كالفاعلية والمفعولية والإضافة وهي معاني نحوية لا مجمعية، لذا نجد أن النحاة عنوا عناية فائقة بالعلامات الإعرابية إلى أن سموها علم النحو بعلم الإعراب لما رأوا أنها تعين على إدراك هذه العلاقات، وتفصل بين المعاني النحوية ومن تم جعلوا الإعراب المنطلق للدرس النحوي . (2)

1-دلائل الأعجاز ص25

2-المدارس النحوية ص13

وأوضحوا أن المبتدأ والخبر لو لم يجرد الإسناد لكان في حكم الأصوات التي ينهق بها بحيث لو فقدنا الترابط بين كلمتين وجردتا من العوامل لا للإسناد لصارتا لفظتين منفصلتين كل منهما على حدى ولا نجد المعنى النحوي وبالتالي لا تظهر العلامة الإعرابية في آخر الكلمة ولأن العلامة الإعرابية تكون علامة للمعنى وهناك من عاب ربط المعاني النحوية بالعلامات الإعرابية فالكلام لم يعرب للدلالة على المعاني والفرق بين بعضها وبعض فلا نجد في كلامهم أسماء متفقة في الإعراب ومختلفة المعاني، السماء مختلفة الإعراب متفقة المعاني. (1)

والواقع أن العلامات الإعرابية وحدها لا تعين على بيان المعنى النحوي، بل لا بدّ من قرائن أخرى متضافرة في بيان ذلك المعنى في الإرشاد إلى العلاقات التي تحكم الكلمات في تركيب ما، فالعلاقات بين الكلمات لها صلتها المحكمة بموضعها في الكلام.

وهناك من يذهب إلى القول بان ((للعرب الإعراب الذي جعله الله وشيا لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقا في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين: كالفاعل والمفعول، ولا يفرق بينهما، إذا تساوت حالاهما في إمكان أن يكون الفعل لكل واحد منهما إلا الإعراب)) (2).

1-دلائل الإعجاز 272

2-المرجع نفسه ص273

ولو أن قاتلا قال : (هذا قاتل أخي)، بالتتوين، وقال آخر: (هذا قاتل أخي)، بالإضافة لدلّ بالتتوين على أنه لم يقتله، وب حذف التتوين على أنه قتله . (1)

وقال رسول عليه الصلاة والسلام : " لا يقتل قرشي صبيرا بعد اليوم " فمن رواه جزما أوجب ظاهر الكلام أن لا يقتل إن ارتد، ولا يقتص منه إن قتل، ومن رواه رفعا انصرف التأويل إلى الخبر عن قريش أنه لا يرتد أحد منهم عن الإسلام فيستحق القتل . أفما ترى الإعراب كيف فرق بينهما ؟ ثم قال : "وقد تكتف الشيء معان فيشتق لكل معنى منها اسم من ذلك الشيء كأشقاقهم من البطن الخميص (مبطن) وللعظيم البطن إذا كان خلفة (بطين) فإن كان من كثرة الأكل قيل (مبطان) وللمنهوم (بطن) وللعليل البطن (مبطون) . (2)

وكذلك إذا قلت : هذا كريم أحسن منه عالم، فإذا رفعت كريما وعالما كان المراد شخصين اثنين أحدهما عالم والآخر كريم، ولكن العالم أحسن

1-تأويل مشكلات القرآن ص56

2-المرجع نفسه ص56

منه الكريم، وإذا نصبتهما كانا شخصا واحدا عالما وكريما، ولكن في كرمه أحسن منه في علمه.

أما في قولهم: (كم كتاب قرأت) فإذا جررت كتابا أردت الإخبار بكثرة ما قرأت من الكتب، وإذا نصبت كنت تريد الاستفهام عن عدد الكتب التي قرأتها . (1)

فعلا الإعراب من خصائص العربية، وأشدّها وضوحا والفارق الوحيد بين المعاني المتكافئة . فقد عبر اللغويون القدامى عن هذه الظاهرة بأساليب متنوعة تتجه كلها نحو حقيقة واحدة ونستطيع أن نجمل ذلك في قول ابن فاري : " فأما الإعراب فيه تميّز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين وذلك أن قائلا لو قال : " ما أحسن زيد " غير معرب، أو ضرب عمر زيد غير معرب، لم يوقف على مراده . فإن قال : " ما أحسن زيدا " أو " ما أحسن زيد " أو " ما أحسن زيد " أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده . (2)

وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها : فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني يقولون " مفتح " للآلة التي يفتح بها و مفتح لموضع الفتح ومقصّ لآلة القص ومقص للموضع الذي يكون فيه القص، ومحلب لقدح يحلب

1-مغني اللبيب ص 243

2-دراسات في فقه اللغة ص 117

فيه ومحلب للمكان يحتلب فيه نوات اللبن " (1)

فقد اختلف المراد فيما ذكرناه وهذا باختلاف الحركات الإعرابية مع العلم أن الجمل المذكورة لو يطرأ عليها شيء من التغيير من حيث تركيبها وتنسيقها غير علامات الإعراب، لكن المعنى التركيبي والدلالي قد تغير بتغير حركات الإعراب، فإذا أهمل الإعراب في الجمل اشتبه على السامع فهمها لاحتمالها معان لا يميزها إلا الإعراب . (2)

ولكي ندرك ما للإعراب من أهمية في اللغة العربية نكتفي بذكر بعض الآيات من كتاب الله العزيز:

- إنما يخشى الله من عباده العلماء (3)

- إن الله بريء من المشركين ورسوله (4)

- وإذا ابتلى إبراهيم ربه (5)

ومثل مواقع الكلمات في هذه الآيات لا يمكن أن يكون إلا في لغة لا يزال الإعراب فيها حياً صحيحاً، وظاهرة الإعراب هذه ليست من اختصاص العربية الفصحى، بل توجد لغات عديدة في القديم والحديث تعرف هذه الظاهرة، ولأن اللغة العربية الوحيدة بين لغات العالم القديم التي احتفظت بظاهرة الإعراب والتنوين، كما أنها تعتبر أغنى اللغات بالأصول القديمة، من مفردات ومعنى وصرف وصيغ اسمية وفعلية كما هو معلوم وهذا ما جعلها تتبوأ المكانة الأولى في دراسة اللغات السامية . (6)

- | | |
|-------------------------------|--------------------------|
| 1-دراسات في فقه اللغة ص : 118 | 2-المرجع نفسه ص118 |
| 3-سورة فاطر الآية 68 | 4-سورة التوبة الآية 03 |
| 5-سورة البقرة الآية 124 | 6-المرجع السابق ص123-124 |

والإعراب في هذه اللغات هو الذي يؤدي ما بين المعاني من فروق ويعني ذلك أن الوظائف النحوية من فاعلية ومفعولية وإضافة وغيرها في الجملة ناتجة عن الإعراب . (1)

وهناك من الآراء التي لا تقبل الشك والجدل حول الإعراب، فقد ثبت أن الإعراب هو روح اللغة وان الكلام دون الإعراب لا طائل من ورائه ولن يكون مفهوما وان تسكين أواخر الكلمات سوف يخلق مشاكل كثيرة.

"ولما أصاب العربية حضا من التطور أضحى الإعراب من أقوى عناصرها وأبرز خصائصها، بل سرّ جمالها، وأمست قوانينه وضوابطه العاصمة من الزلل المعوضة عن السليقة لأن الناس أدركوا حين بدأ اختلاطهم بالأعاجم أنهم لولا خلاطهم لما لحنوا في نطق". (2) فقد انصرفت عناية النحاة العرب إلى دراسة اللهجات العربية المتعددة (ليستخرجوا منها نظاما نحويا موحدا، وقد درسوا فوق ذلك لهجات في أطوار متعددة في نموها، ولم يفطنوا إلى ضرورة الفصل بين مرحلة وأخرى من تطور اللغة حيث أخذ النحاة شواهدهم من فترة لغوية دامت أكثر من خمسة قرون كاملة وعنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى السواد

1-دراسات في فقه اللغة ص 119

2-الحصيلة اللغوية ص 69

الأعظم من النحويين وعندهم أخذ اللسان العربي . (1)

وحيث تناولنا بالدراسة الأمثال الشعبية وقفنا على نفس الخصائص والمميزات التي عرفتھا اللغة العربية قبل إخضاعھا لقوانين النحو وتعيدها فلا يزال المثل الشعبي ينطق به بنفس الطريقة التي نطقت به العرب قبل الإسلام دون تقيدها بضوابط لغوية وإنما كان ذلك نتيجة سليقة وفطرة وأنى لسكان البادية بمعرفة قواعد النحو كعلم من العلوم؟ ويتضح لنا ذلك حين سئل أعرابي: أتجرّ فلسطين؟ فقال: إنني إذا لرجل قوي، ولما قيل له: أتهمز إسرائيل؟ فقال: إنني إذا لرجل، سواء فهم هذا الإعرابي الجر والهمز بمعناهما اللغوي، ولم يفكر في إعراب الكلمة وإنما حاول معرفة المعنى الذي تؤديه، هذا ما نجده في الأمثال الشعبية المتداولة بين الناس تلفظ كما تسمع دون التفكير في علامات الإعراب، فألسنتهم تجري بلا تعمد ولا كلفة على هذا النظام الذي لا يسلم من الخطأ فقد يكثر ويقل بحسب مراتبهم ودرجة البيئة من الخطأ والغلط التي يتمرنون فيها.

إن عامة الناس في الأقطار العربية اتخذت من التعبير العامي لغة موازية للفصحى نتيجة عوامل وظروف لامجال للتعلم فيها، فكان التمرن على هذا النوع من التعبير متجدرا راسخا يشبّ عليه الصغير ولا يشذّ عنه الكبير، فيكون عاما شائعا بين كبيرهم وصغيرهم، فأصبح التعبير العامي ملكة راسخة فيهم تجرى على ألسنتهم.

كما يرى مستعملو التعبير الشعبي، وهم لا يولون أيّ اهتمام للحركات الإعرابية، إن الإهمال لهذه الحركات بدل استعمالها لا يفسد معناها وأن كل أبناء العربية يفهمون من قولنا : الأب مسافر، والأم مريضة، بالتسكين، دون حاجة إلى قواعد الإعراب وغالبية الكلمات تنطق أواخرها ساكنة.

قد تثير صيغة الجمع في الاستعمال العامي جدلا وتحدث التباسا على المستوى المرفولوجي، فظاهرة تطابق الفعل والفاعل من مؤشرات الجملة العربية حين يتصدرها الفعل، فهو يطابق الفاعل جنسا وعددا إذا تقدم الفاعل عليه، وإن لم يتقدمه فلا يطابقه في العدد . إذ لو قلنا مثلا : (جاو لولاد) وكنت تقصد اثنين أو ثلاثة لاستعملت نفس الصيغة، وبذلك فالتعبير العامي لا يعترف بصيغة التثنية كما هو الشأن بالنسبة للفصحى وهذا يجرنا إلى الاستعمال الصرفي في لغات غربية كالفرنسية مثلا التي لا تعترف بصيغة التثنية . هذا من جهة أما من جهة ثانية فعملية التأليف والتصريف تنظمها ضوابط تختلف في اللغة الواحدة، وتختلف من لغة إلى أخرى، وهذه التغيرات التي تحدث في اللغة الواحدة أو في اللغات المختلفة ليست اعتباطية أو غير محددة بل هناك ما يدل على وجود قيود على رتب المكونات الكبرى داخل المكونات (من فعل وفاعل ومفعول به) (1)

وإذا أردنا اليوم أن نفهم الظواهر الإعرابية والتركيبية فإننا نجد لها أبرز ما تكون ماثلة وحية في العامية العربية المحكية إلى جانب وجودها ماثلة في العربية القديمة قبل ظهور الإسلام . فبفضل انتشار المدارس وتطور الثقافات الرسمية في مختلف الأماكن بدأت تلك الظواهر تختفي تدريجياً من اللغة المحكية في الوطن العربي وتتقرب من اللغة الرسمية. فالعربية التاريخية القديمة كانت أشبه بما آلت إليه مثل هذه العاميات التي أضحت تنافس الرسميات في محاولة منها لتتخذ لنفسها قواعد وقوانين مستقلة .

- الدراسة النحوية -

قسّم علماء اللغة الجملة إلى ثلاثة أنواع وقد تناولها من ثلاثة منطلقات:
1- المنطلق الوظيفي العام: فقالوا أن الكلام طلب وخبر وإنشاء وأضاف بعضهم وتعددت الأنواع إلا أن حصرها ابن هشام في الخبر والإنشاء إذ كل الأنواع ترجع إليهما، فقالوا الجملة الخبرية وقالوا الجملة الإنشائية وهذا المنطلق لا يمكن أن يغفل في الدرس اللغوي ولا سيما في دراسة الجملة العربية على أنها بنية نحوية تقوم على مبدأ توفر الإسناد فيها ومهمتها في ذلك أن تستخدم كوحدة للاتصال بمعنى أنها تصير كلاما يتمتع بمعنى تام يحسن السكوت عليه، وقد تتنوع العلاقة الإسنادية ومن خلال هذا التنوع تبرز الوظيفة للإسناد التي تسم الجملة بسمة وظيفية كأن تكون جهة الإسناد الإثبات أو النفي أو النهي أو التأكيد أو الاستفهام.... الخ.

2- المنطلق التركيبي وقد اعتمد فيه النحويون على ما تبدأ به الجملة من مفردات فإن هي بدأت بفعل فهي جملة فعلية، وإن بدأت باسم فهي جملة اسمية، وإن بدأت بظرف سميت جملة ظرفية وإن بدأت بأداة شرط سميت جملة شرطية، لكن هذا التقسيم الثنائي أو الثلاثي أو الرباعي لم يكن المقصود بالدرس النحوي، فامتد نظر بعض النحويين إلى نطاق أكثر اتساعا فإضافة إلى التقسيم السابق قسموا الجملة إلى صغرى وكبرى وقالوا: الكبرى هي الجملة الاسمية التي خبرها جملة نحو: "زيد قام أبوه"

والصغرى هي المبنية على المبتدأ كالجمله المخبر بها في "زيد أبوه قائم"

1- الجملة العربية ص 149

وهناك من ينحو منحى هذا الاتجاه يرى أن الجملة ثلاثة أنواع : الجملة الأصلية وهي تقتصر على ركني الإسناد، الجملة الكبرى وهي ما تركيبت من مبتدأ خبره جملة اسمية أو فعلية، والجملة الصغرى وهي الجملة الاسمية أو الفعلية إذا وقعت إحداها خبرا لمبتدأ . (1)

وقسموا الجملة الكبرى إلى جملة ذات وجهين وجملة ذات وجه فذات الوجهين هي اسمية الصدر فعلية العجز نحو: " زيد أبوه قائم "، أو فعلية الصدر اسمية العجز مثل : " ظننت زيدا أبوه قائم " وذات الوجه هي ما كانت اسمية الصدر والعجز مثل " زيد أبوه قائم "، أو فعلية الصدر والعجز مثل " ظننت زيدا يقوم أبوه. "

ومن خلال هذا التقسيم تتكون الأنماط الآتية:

- 1-الجملة الاسمية
- 2-الجملة الفعلية
- 3- الجملة الظرفية
- 4-الجملة الشرطية
- 5- الجملة الكبرى ذات الوجهين
- 6-الجملة الكبرى ذات الوجه.

3-منطلق الاحتمالات الموقعية : كأن يكون الجملة في موقع الخبر أو المفعول به أو النعت أو الحال أو الصلة أو المضاف أو المعطوف أو الابتداء أو لاستثناء ومن ثم تحدثوا عن الجمل التي لها محل من الإعراب

والجمل التي لا محل لها من الإعراب، وفي ضوء هذه المنطلقات نستطيع أن ننظر إلى الجمل في اللغة العربية من ناحية مركباتها وما بها من محاور.

الجملة البسيطة : وهي المكونة من مركب إسنادي واحد ويؤدي فكرة مستقلة سواء بدئ المركب باسم أو فعل أو وصف وتعتبر أصغر بنية نحوية تؤدي كلاما تاما يمكن السكوت عليه . ومصطلح الجملة البسيطة لم يكن معروفا في الدراسات اللغوية القديمة شأنه في ذلك شأن مصطلح الجملة ومصطلح التركيب، وأول من أشار إلى مفهوم الجملة البسيطة من علماء اللغة هو ابن هشام الأنصاري في كتابه " مغني اللبيب عن كتب الأغاريب " وعبر عنها بمصطلح الجملة الصغرى واستخدم مصطلح الجملة الكبرى للجملة المركبة (1)

أما كتاب سيبويه الذي يعبر المصدر الأول في العلوم اللغوية العربية نجده في باب المسند والمسند إليه يتناول الجملة البسيطة دون ذكر المصطلح المعروف لدينا اليوم في الكتب اللغوية الحديثة حيث يقول : هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك عبد الله أخوك - وهذا أخوك . ومثل ذلك يذهب عبد الله، فلا بد للفعل من الاسم

1-المرجع نفسه ص 153

كما لم يكن الاسم الأول بد من الآخر في الابتداء (1)
إن سيوييه قد تناول موضوع الجملة البسيطة فعلا ولو أنه لم يفصح عن ذلك صراحة، فعنصر الإسناد ضروري في الجملة البسيطة بحيث لا يمكن الاستغناء عنه، وهي تدور حول فكرة واحدة وقد جاء ذلك واضحا فيما ذكر في باب الإسناد.

أما ابن السراج المتوفى (316هـ) فقد استخدم في مفهوم الجملة البسيطة مصطلح الجملة المفيدة في قوله : (والجملة المفيدة على ضربين إما فعل وفاعل، وإما مبتدأ وخبر) (2)

ونجد عبد القاهر الجرجاني صاحب المغني يعرف الجملة بقوله: (اعلم أن الواحد من الاسم، والفعل والحرف يسمى كلمة فإذا ائتلف اثنان فأفادا نحو خرج زيد، يسمى كلاما ويسمى جملة، والائتلاف يكون بين الاسم والفعل كما ذكرنا، وبين الاسمين كقوله: زيد منطلق، وبين الحرف الاسم في النداء، خاصة نحو: يا زيد) (3)

وسار الزمخشري على منوال سابقه في تعريفه للكلام المرادف للجملة فقال: (والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك زيد أخوك وبشر صاحبك، أو في فعل واسم نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر وتسمى جملة) (4)

1-الكتاب ج 1 ص 23

2-الأصول في النحو ج 1 ص 64

3-كتاب الجمل في النصوص ص 29

4-المفصل ص 6

الجملة البسيطة وإن لم تظهر في تعريفات علماء اللغة القدامى بالتسمية المعروفة حالياً إلا أن مفهوم ما جاءت به كتبهم في موضوع الجملة كان يصب في عملية الإسناد التي تتركب أساساً من عنصرين هما : المسند والمسند إليه سواء كان ذلك، من فعل وفاعل أو من مبتدأ وخبر، فكل جملة مكونة من مركب إسنادي واحد يؤدي فكرة واحدة مستقلة ومفيدة يحسن السكوت عليها فهي بالمفهوم الحديث جملة بسيطة .

والجملة البسيطة في تقسيم علماء اللغة المحدثين تأخذ بعين الاعتبار طبيعة المكونات الأساسية للجملة وبناء على ذلك فإن الجملة البسيطة هي: "الوحدة الكلامية التي تتضمن عملية إسناد واحدة" (1)، وعلى ضوء هذا المفهوم تصبح الجملة البسيطة في مفهوم علماء اللغة المنطلق الرئيسي لدراسة نظام العلاقات اللغوية والنحوية في التركيب " من حيث أنه يمثل بناء منظماً من الصيغ المتحركة عبر سياق منطلق الوصف اللغوي " (2)، فالجملة البسيطة في الأمثال الشعبية كثيراً ما تتعلق بركني الإسناد مفردات ومركبات تعتبر كوسائل مساعدة غير إسنادية تجعل الجملة تطول وتتنوع شأنها في ذلك شأن الجملة العربية في الفصحى.

1-التركيب عند ابن المقفع ص21

2-المرجع نفسه ص22

أما إذا أخذنا المثل الشعبي وحاولنا إخضاعه إلى ضوابط النحو العربي، فلا نجده يخلوا من هذه المميزات فهو أيضا يتكون من العناصر الأساسية التي تتكون منها الجملة العربية البسيطة والمتمثلة في المسند والمسند إليه ومن أمثلة ذلك:

-المشكور مفعور

-تخبل الغزل

-اوزن الكلام

-العرق دساس

تحتوي هذه الأمثلة كلها على الأركان الأساسية المكونة للجملة العربية البسيطة أصغر بنية نحوية تعتبر كلاما تاما يحسن السكوت عليه لاشتماله على المسند والمسند إليه في أبسط صيغة لهما (1)

الملاحظ أن الأمثال الشعبية تحتوي في تركيبها على مكونات أساسية التي تشتمل عليها الجملة البسيطة في الفصحى، فهناك جمل بسيطة مكونة من مركب إسنادي واحد يؤدي فكرة مستقلة.

وقد نجد المفعول به الذي تعلق بالفعل هو أيضا من العناصر الأساسية في التركيب حيث أن الكلام لا يتم بدونه فإن حذفه أو الاستغناء عنه يجعل المعنى ناقصا، وقد وردت العناصر المكونة لهذا التركيب في المثل الشعبي على الصورة التي يقتضيها نظام الجملة العربية في ترتيب عناصرها فقد يتقدم الفعل الفاعل والمفعول به فالمثل الشعبي يكون إذن مشتملا، على مسند ومسند إليه ومفعول به ومثال ذلك: أحظي الصقلة

أعطي الحلوة للجمال...

11-الأسنية العربية ص 96

تصدر الفعل الرتبة الأولى في سياق الكلام، هذه الرتبة جعلت منه المركز الأساسي الذي تتجذب إليه بقية العناصر و يرتبط بالمسند إليه بواسطة علاقة الإسناد الضمني، والمفعول به عن طريق التعديّة المباشرة، وصفة التعديّة اقتضت عنصرا ثالثا بعد المسند والمسند إليه اعتبره النحاة من العناصر الأساسية في التركيب، لأن الاستغناء عنه يخل بالمعنى ويزيل فائدة التركيب، وحظي بالرتبة الثالثة ذلك أن طبيعة ترتيب عناصر الجملة الفعلية تقتضي أن يسبق الفعل الفاعل ويسبق الفاعل المفعول به.

والميزة البارزة التي تلفت الانتباه في الجملة الفعلية الرتبة الأولى التي يحتلها الفعل بصفة مطلقة وهو بهذه المكانة يعتبر المحور الأساسي الذي تتعدّد عليه بقية العناصر الأخرى وتقوّي مركزه في العملية الإسنادية ذلك أن الفعل هو أساس التعبير وهو أهم مقومات الجملة، ومن الأركان الرئيسية في تأليف الكلام، يتصدر الفعل الجملة في معظم الأحوال، لأن الفعل أو الحدث هو موضوع اهتمام المتكلمين بالعربية.

وقد يتقدم المفعول به الفاعل في مواضع ثلاثة:

إذا أريد قصره على الفاعل، أو كان الفاعل مقترنا بضمير يعود على المفعول به، أو كان المفعول به ضميرا متصلا والفاعل اسما ظاهرا.

غير أن التركيب في المثل الشعبي : (يقولها اللسان ويهرب تحت السنان)

ولو أن المفعول به تقدم الفاعل لكن التركيب لا ينطبق وهذه المواضع

الثلاث، وتقديم المفعول ليس ذا أهمية في التركيب عندما نجد سببويه

يقول: "وإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول وذلك في قولك: ضرب زيدا عبد الله لأنك إنما أردت به مقدما"
(1)

فالمثل الشعبي " تهلى في جارك هو ستار عارك " المفعول في الفصحى الذي يقع عليه الإسناد مباشرة يؤدي معنى ضروريا في العملية الإسنادية، بينما لا يؤدي المفعول المجرور بالحرف إلا معنى فرعيا قد يستغنى عنه . (2)

بينما المفعول به المجرور بالحرف في المثل الشعبي يكتسي أهمية ويعتبر عنصرا أساسيا في التركيب لا يمكن الاستغناء عنه كما هو الحال في العربية . الفعل "أعطى" والذي يعتبر من الأفعال المتعدية إلى مفعولين نجده في المثل الشعبي يقوم بنفس الوظيفة التي يقوم بها العربية الفصحى (اعطي التريد للعبيد).

وهناك جمل بسيطة أخرى مكونة من مركب إسنادي واحد وما يتعلق بعنصريه أو بإحدهما من مفردات، أو مركبات غير اسنادية تساعدها على الامتداد والتوسع، وتفتح مجالات أخرى للدراسات، وأما الوسائل المساعدة على امتداد الجملة البسيطة في المثل الشعبي فمتنوعة فمنها ما يتعلق بالفعل ومنها ما يتعلق بالاسم، ومنها بالوصف ومن أمثلة ذلك:

1-الكتاب ج40/2

2-المرجع نفسه 41/2 -المغني 365/2

ساب التريد للعبيد

-ابرم والديه

أما الجملة العربية البسيطة المكونة من مركبين اسناديين أو أكثر وكل مركب قائم بنفسه وليس أحدهما معتمدا على الآخر، وكل مركب منها مساو للآخر في الأهمية ولا يربطها إلا العطف، ويصلح كل منها أن يكون جملة بسيطة أو جملة ممتدة مستقلة بمحوارها الأساسي، ولا مانع من أن يشتمل أحدهما على ضمير راجع إلى مذكور في مركب سابق عليه . (1)

ومما جاء في الأمثال الشعبية ما يلي :

يموت النفاق ويبقى الرزاق

-غابت السبوعة وقعدت الضبوعة

-لا تصحب حتى تجرب ولا تضرب حتى تقرب.

كذب اللوز وصدق المشماش وكذب الشيب وصدق التكماش.

نجد أن الجملة البسيطة في الأمثال الشعبية مكونة من مركبين إسناديين فأكثر وكل مركب قائم بنفسه وقد وردت العناصر الأساسية المكونة لهذا التركيب على الصورة التي يقتضيها نظام الجملة العربية في ترتيب عناصرها فقد اشتملت العناصر الإسنادية من مسند ومسند إليه، وبناء

1-الجملة الفعلية البسيطة ص193

على ذلك فإن الجملة البسيطة هي : " الوحدة الكلامية التي تتضمن عملية إسناد واحدة " (1)

وقد تتعدد عملية الإسناد في نفس التركيب بواسطة أدوات العطف، وعلى هذا الأساس قسم النحاة الجملة البسيطة إلى:

1-أساسية وتحتوي على عملية إسنادية واحدة ولا تضاف إلى ركني الإسناد فيها عنصر لغوي آخر مثل : (عبّات الباس) (طاحوا قرون) (يحن الله).

2-موسعة وهي ما يضاف إلى ركنيها الأساسيين عنصرا أو أكثر يؤثر في مضمونها أو يوسع أحد عناصرها .(2)

على ضوء هذا المفهوم للجملة البسيطة عند علماء اللغة فإنها تصبح المنطلق الأساسي لدراسة نظام العلاقات اللغوية في التركيب " من حيث أنه يمثل بناء منظما من الصيغ المتحركة عبر السياق منطلق الوصف اللغوي" (3)

ومن خلال ما سبق يتضح أن كل تركيب تكون من مسند ومسند إليه سمي جملة بسيطة، فإن تضمنت فعلا بين ركنيها سميت جملة فعلية بسيطة، وإن لم تتوفر عليه سميت اسمية.

1-التركيب عند ابن المقفع 21

2-المرجع نفسه ص 25

3-المرجع نفسه ص 26

الجملة الفعلية البسيطة قد لا تكتفي بركني الإسناد، وما تتعلق بها من مفردات أو مركبات غير إسنادية تساعدها على الامتداد والتوسيع، وتظل محافظة على بساطتها أما الوسائل التي تساعد على امتداد الجملة البسيطة فمتنوعة منها ما يتعلق بالفعل ومنها ما يتعلق بالاسم ومنها بالوصف والأمثلة كثيرة في الأمثال الشعبية...

ما يلاحظ في هذا النمط التركيبي من الجمل البسيطة في الأمثال الشعبية أنه تم عطف جملة بسيطة على أخرى اشتملت كل منهما على جميع المركبات الأساسية في الجملة من مسند ومسند إليه والمفعول الذي تعلق بالفعل والذي أصبح هو أيضا من العناصر الأساسية في التركيب بحيث أن الكلام لا يتم بدونه وإن الاستغناء على عنصر في التركيب الشعبي كالمفعول به أو حذفه يجعل المعنى ناقصا شأنه في ذلك شأن التركيب العربي الفصيح.

وقد جاءت العناصر المكونة لهذا التركيب على الصورة التي يقتضيها نظام الجملة العربية في ترتيب عناصرها كتقدم الفاعل المفعول به، وتصدر الفعل سياق التركيب، فالجملة البسيطة في المثل الشعبي اشتملت إذن على مسند ومسند إليه ومفعول به.

أما الفعل في التركيب الشعبي قد يجيء من حيث الدلالة الزمنية ماضيا، مضارعا، أو أمرا، متصدرا التركيب أي الرتبة الأولى في سياق الكلام هذه الرتبة جعلت منه المركز الأساس الذي تتجذب إليه بقية العناصر فهو يرتبط بالمسند إليه بواسطة علاقة الإسناد الضمني، إضافة إلى المطابقة التامة في جميع الجوانب سواء المتعلقة بالنوع أو العدد. وإذا تقدم الفعل الفاعل جاء بصورة المفرد، وأن كان فاعله بصيغة المتني أو الجمع : "فإن جمهور النحويين مراعاة للشائع من النصوص اللغوية المروية

يوجبون عدم إلحاق الفعل علامة دالة على كون الفاعل مثنى أو جمعا." (1)

فالفعل إذن عندما يتقدم فاعله يثبت على صيغة المفرد في التركيب اللغوي الفصيح سواء كان فاعله مثنى أو جمعا، أما التركيب العامي فلا يتقيد بهذا القيد فقد يأتي على الصورة التي تقتضيها القوانين النحوية، ومثال ذلك:

(يحن الله).

وقد يخرج عن هذا النمط تماما وتلحق به علامات التثنية والجمع بالرغم من تصدره التركيب وهذا عند الكثير من القبائل العربية باعتبار الفوارق اللهجية لهذه القبائل ومن أمثلة ذلك قولهم: (طاحوا قرون لكباش) حتى ولو اعتبرنا هذا انحرافا على ما هو مألوف ومعروف عند علماء اللغة، فإن هذا النوع من التراكيب في الأمثال الشعبية استعمل في لغة العرب قديما وهو موجود في القرآن الكريم، و الحديث النبوي الشريف، وفي الشعر وكلام العرب، وقد وقف النحاة من هذه الاستعمالات مواقف مختلفة منها و متباينة.

وقد ذكر سيبويه في هذا المقام أن من العرب من يقول: ("ضربوني قومك وضرباني أخواك) فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في (قالت فلانة) وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث وهي قليلة " (1)

وعرفت هذه الظاهرة قديما في اللغات السامية وكانت متفشية فيها بحيث يلحق الفعل علامة التنثية والجمع كما تلحق علامة التأنيث عندما يكون الفاعل مؤنثا.

ومن هذه التركيب التي حفل بها القرآن الكريم قوله تعالى:
"وأسروا النجوى الذين ظلموا" . (2)

فإنما يجيء على البدل كما ذكر سيبويه، وكأنه قال: انطلقوا، ف قيل له : من ؟ فقال بنو فلان، فقوله عزّ وجلّ : " وأسروا النجوى الذين ظلموا " على هذا فيما زعم يونس " . (3)

وجاء في تركيب قرآني آخر على هذا النحو في قوله تعالى : " ثم عمّوا وصمّوا كثير منهم " (4) وكثير هنا جاءت على البدل من الواو حسب الإسناد الذي حكاه سيبويه.

وجاءت في الحديث النبوي الشريف استعمالات من هذا النوع في قوله عليه الصلاة والسلام : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار "

1-الكتاب ج2 ص 40

2-سورة الأنبياء الآية 3

3-الكتاب ج2 ص 41

4-سورة المائدة الآية 71

كما أن التاء في قالت حرف دال على التانيث فإن ... هي عند سيبويه حرف دال على الجماعة، وقيل هي اسم مرفوع على الفاعلية، ثم قيل أن ما بعدها بدل منها، وقيل مبتدأ والجملة خبر مقدم . (1)

وقال الخليل رحمه الله : من قال أكلوني البراغيث أجرى هذا على أوله فقال : مررت برجل حسنين أبواه) و (مررت بقوم قرشيين أبأؤهم) وكذلك أفعل نحو أعور، وأحمر نقول : مررت برجل أعور أبواه وأحمر أبواه، وإن تثيت قلت : مررت برجل أحمران أبواه تجعله اسماً، ومن قال أكلوني البراغيث، قلت على حد قوله : مررت برجل أعورين أبواه، وتقول : مررت برجل أعور أبأؤه، كأنك تكلمت به على حد أعورين وإن لم يتكلم به، كما توهموا في هلكي، وموتى، ومرضى أنه فعل بهم فجاءوا به على مثال جرحى و قتلى، ولا يقال هلك، ولا مرض، ولا موت . " (2)

فالخليل بن أحمد الفراهدي كان أول من سمى مثل هذه التراكيب المخالفة للقواعد اللغوية العامة بلغة اكلوني البراغيث، ثم أطلق اللغويون بعده على هذا النوع من التراكيب اللهجية التي لا ترد وتكرر لغة نفس التسمية غير أننا نجد بعض النحاة المتأخرين من أمثال ابن مالك يطلقون عليها تسمية أخرى تكاد تكون قريبة من الأولى، وهي لغة (يتعاقبون فيكم ملائكة)

1-مغني اللبيب ص 365

2-الكتاب ج 2 ص 42

غير أن الدكتور عبد الجواد الطيب في كتابه (لغة هذيل) يعلق على هذه التسمية الأخيرة قائلاً : وهذه العبارة قد أخذت أخذاً غير موفق من حديث شريف هو قول الرسول الكريم : (وإن لله ملائكة يتعاقبون فيهم ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)

فالواو في يتعاقبون لا تتجه إلى لاحق لها بل تعود على سابق عليها فإين مالك على غير حق فما ذهب إليه (1)

الجملة المركبة : تتكون الجملة المركبة من جملتين بسيطتين لا يمكن استغناء إحداهما عن الأخرى وتسمى الأولى الجملة الأصلية، والثانية الجملة المرتبطة (2)

وقد تصاغ الجملة المركبة من أكثر من جملتين، وفي هذه الحالة فإن النوع الأول المشتمل على جملتين يصطلح عليه التركيب المفرد، أما النوع الثاني فيصطلح عليه التركيب المتعدد.

1-لغة هذيل ص373

2-مدخا إلى دراسة الجملة العربية ص148

واستخدم علماء اللغة القدامى مصطلح العطف للربط بين الجمل المركبة ويكون بواسطة حروف العطف أو النسق أو عطف البيان، فالعطف بالحروف يشمل أنواع المفردات والجمل وأشباه الجمل، أما العطف بالبيان فمقصود على الأسماء المفردة.

فالربط أما أن يكون بعاطف أو بدون عاطف، كما هو الشأن بالنسبة للجمل الإعتراضية والتفسيرية والبديلية، ومع ذلك فليست هناك إشارة تنص على أن هذه الجمل تعاطفت بدون عاطف.

فالجملتان البسيطتان المستقلتان عن بعضهما صارتا جملة واحدة بعد عملية الربط، وهو ما اصطلح عليها بالجملة المركبة " وهي ما تعددت فيها عمليات الإسناد في مستوى سياق التركيب ". (1)

تتضمن الجملة المركبة على مركبين اسناديين أحدهما مرتبط بالأخر ومتوقف عليه، ويكون إحداهما فكرة مستقلة لا تحمل معنى إلا بالمركب الأخر، ويعتمد الارتباط بين المركبين على أداة تكون علاقة بينهما. وقد تظهر هذه العلاقة على النحو الآتي :

-علاقة جمع بواسطة واو مفردة ربطة بين جملتين، دون إلزام بترتيب منطقي أو تعقيب زمني، والجملة المركبة من هذا النوع تظهر بكثرة في تركيب المثل الشعبي الذي نجده في أغلب الأحيان يعتمد على العطف

1-التركيب عند ابن المقفع ص87

بواسطة الواو لتكتمل الغاية منه . ومن ذلك نذكر : (الحر بالغمزة و العبد بالديزة) (الحرث بالدوام والصاباة بالعوام) (ضربني وابكى واسبقني واشتكى) (ماتت أصحاب الهيبة وقعدت أصحاب الخيبة) والجملة إما أن تكون مرتبطة برابط، ويحدث هذا الربط بين الجملتين عن طريق علاقة الجمع أو الإستدراك، وعلاقة يقرر فيها مضمون الجملة باستعمال (لو) مسبوقه بالواو، وقد تكون العلاقة سببية بحيث يكون مضمون الجملة التالية مسببا في مضمون الجملة السابقة، أو علاقة إضراب بالعدول عن الجملة الأصلية إلى مضمون الجملة المرتبطة، أو علاقة غاية "ويكون فيها مضمون الجملة الثانية غاية لمضمون الجملة الأولى، وذلك باستخدام حتى الرابطة بين الجملتين". (1) وقد تكون الجملة المركبة بدون رابط، وتشمل ما يطلق عليه النحاة الجملة الاعتراضية، والتفسيرية والأمر وجوابه. والجملة الاعتراضية في نظر علماء النحو "ما يتوسط بين أجزاء الكلام متعلقا به معنى، مستأنفا لفظا، عن طريق الإلتفات...وقد يجئ بعد تمام الكلام". (2)

أما الجملة التفسيرية عندهم " هي الفصلة الكاشفة لحقيقة ما تليه " (3) ويحدث التركيب بالتفريع ما يحل محل المفرد، وما لا يحل محله.

1- ما لا يحل محل المفرد ويأتي في الجملة الشرطية والجملة الظرفية.

1-مدخل إلى دراسة الجملة العربية ص155

2-شرح الكافية ج2/257

3-إعراب الجمل وأشباه الجمل ص77

2-ما يحل محل المفرد ويكون في جملة المصدر المؤول والجملة الحالية والجملة الموصولة والجملة المضاف إليها وجملة النعت (1) ونحاول ذكر بعض النماذج الموظفة في الأمثال الشعبية.
(إذا شاب السبع يطمعوا فيه الذياب)

اشتمل التركيب على بنيتين فرعيتين اشتركتا فاصلتهما في المقطع الأخير، وجاءت البنية الأصلية مشتملة على جميع عناصر الإسناد، غير أنها ليست تامة و غير مفيدة، ولن يتأتى لها ذلك إلا حين تقترن بالبنية الثانية فالجملة إذا شاب السبع، جملة ناقصة تنتظر الإتمام، فهي لا تستغني عن الجملة الثانية التي تتم معناها فالعلاقة بينهما علاقة شرطية بين فعل الشرط وجوابه الواقعين بعد أداة الشرط، ولأن جواب الشرط متوفق على فعل الشرط.

وقد اختلف النحاة في الجملة الشرطية فمنهم من عدّها جملتين : جملة الشرط لكونها تتوفر على جميع عناصر الإسناد، وجملة جواب الشرط لكونها هي الأخرى مشتملة على عناصر الإسناد الأساسية في التركيب.

بينما يرى فريق آخر أن الجملة الشرطية هي جملة واحدة، وقال بعضهم " ينبغي أن نعلم أن العرب قد أجرت كل واحدة من جملتي الشرط والجواب مجرى المفرد لأن شرط الجملة أن تكون مستقلة بنفسها، قائمة

برأسها، وهاتان الجملتان لا تستغني إحداهما عن أختها، بل كل منهما مفتقرة إلى التي تجورها، فجرتا مجرى المفردين اللذين هما ركننا الجملة وقوامها " (1)

والعلاقة التي تمت بين الجملتين جاءت بسبب أداة الشرط التي تصدرت الجملة وهي (إذا) وقد وضعت لمجرد تعليق الجواب بالشرط، فالجملتان لا يمكن استغناء إحداهما عن الأخرى.

الشرط يبنى على جزئين : الأول منزل منزلة السبب، والثاني منزل منزلة المسبب، ولا يمكن تحقيق الثاني إلا إذا تحقق الأول، وينعدم الثاني بانعدام الأول، لأن وجود الثاني معلق على وجود الأول، ثم عطف جملة " يطمعوا فيه الذباب..."

اللهجات العربية قديما وحديثا

كانت اللهجات العربية منتشرة بين قبائل العرب من مشارف الشام إلى حدود اليمن يدخل فيها الحجاز ونجد تهامة واليمامة وأرض عمان .
ولسنا بصدد الكلام عن اللهجات العامية التي تفهم في العصر الحديث، وإنما هي عناصر لغوية تنفرد بها قبائل معينة.

هناك من يذهب بالقول أن اللغة العربية كانت في وقت ما عبارة عن لهجات مختلفة ثم انصهرت وتوحدت في لغة واحدة هي التي نعرف حاليا باللغة العربية الفصحى.

وهناك ما ذهب عكس هذا الاتجاه بحيث أن اللغة العربية كانت لغة واحدة ثم تفرعت بعد ذلك إلى لهجات بتفرق الناس واختلاف أحوالهم والرأي الغالب في هذه القضية هو أن العربية كانت لهجات مختلفة ثم توحدت فيما بعد.

فقد كتب لبعض هذه اللهجات أن يحيا، ولبعضها أن يموت نتيجة أسباب وعوامل كثيرة، فاللغة العربية الباقية هي مزيج من اللهجات المختلفة اختلطت كلها ببعضها ببعض حتى صارت لغة واحدة كما هي عليه اليوم (1).

ولم يتم الامتزاج بين اللهجات وتداخل بعضها في بعض، في زمن واحد

بل حدث ذلك شيئاً فشيئاً وانتقل تدريجياً فكانت الواحدة من اللهجات تبتلع الأخرى أولاً ثم يتكون من الاثنتين لهجة جديدة، لم تكن موجودة من قبل وظلّ هذا التدرّج ينتقل في أزمنة طويلة أثناء الجاهلية حتى ظهر الإسلام. (1)

الملاحظ أن هذه اللهجات العربية التي كانت تنتشر في أنحاء الجزيرة العربية قريبة من بعضها البعض، ولاشك أن اللهجة القرشية كانت هي أعلى اللهجات العربية وأفصحها وأكثرها تداولاً وتواصلاً بين المتكلمين من قريش وغير قريش وهي التي سادت شبه الجزيرة العربية قبل نزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

بعد أن نزل القرآن بلغة قريش العربية وظهرت بها السنة النبوية انتشرت في الأقطار العربية جمعاء وكان لأهل قريش الدولة والسلطان والناس على دين ملوكهم . اتجهت إلى المضرية سائر اللهجات الأخرى وفنيت في جنبها.

(فالإسلام صادف حين ظهوره لغة مثالية مصطفاة موحدة جديدة أن تكون أداة التعبير عند خاصة العرب لا عامتهم فزاد من شمول تلك الوحدة وقوي من أثرها نزول القرآن بلسان عربي مبين.

فلغة القرآن لغة عامة العرب يفهمها التميمي والأسدي كما يفهمها الحجازي مما سهل فهم القرآن الكريم والتوسع في القراءات، ومراعاة

اللهجات وقد قام ابن عباس رضي الله عنه في كتابه " اللغات في القرآن الكريم "بحصر ألفاظ القرآن الكريم وردها إلى لهجاتها، وكانت النتيجة أن القرآن الكريم يحوي في مثته مادة غير قليلة من الألفاظ لكل القبائل العربية، لا من لهجة قريش فحسب، بل أن لهجة قريش في حد ذاتها تعدّ من مظاهر لهجات القبائل الأخرى، فكانت تتخير من كلامها ما يناسبها " . (1)

واشتملت لهجة قريش على ألفاظ غير عربية استعملها العرب وجرت مجرى الفصح فوقع بها البيان ونزل القرآن . وقال أبو عبيد القاسم: (والصواب عندي أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء لكنها وقعت للعرب، فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال أنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فصادق، ومال إلى هذا القول ألج والقي وابن الجوزي وآخرون)

تعود اللغة القرآنية كلها أو أعظمها إلى اللهجة القرشية، ذلك أن كل اللغويين العرب قدماء كانوا وكذا الباحثين في علوم القرآن وقراءاته لا ينكرون أن العربية جمعت من أكثر من قبيلة واحدة، كما أنهم لا يدحضون أن هناك مناطق جغرافية لسانية توصف بأنها فصيحة، أو أفصح من غيرها، وأن لهجة قريش هي عين الفصحى التي سادت

وعمت في العصر الجاهلي، واقتحمت أبواب العديد من القبائل الجنوبية ولأن القرآن نزل بها لقوله تعالى : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) . (1)

صادف الإسلام حين ظهوره وحدة لغوية قواها القرآن بعد نزوله غير أن هذه الوحدة لا تنفي تعدد اللهجات، فعامة العرب إن هم عادوا إلى منازلهم لا يتحدثوا بتلك اللغة المثالية الموحدة، وإنما المؤكد كانوا يعبرون عن أغراضهم بلهجتهم الخاصة .

واختلفت اللهجات في القرآن الكريم فمثلا قوله تعالى : " أنؤمن كما آمن السفهاء " السفهاء الجاهل بلغة كنانة . وقوله : " ومن أناء الليل " أناء ساعات الليل بلغة هذيل . وقوله تعالى : " وآتوا النساء صدقاتهن نحلة " فريضة بلغة قيس . وقوله تعالى : " أوفوا بالعقود " العهود بلغة بني حنيفة وقوله تعالى : " فلا يكن في صدرك حرج منه " الشك بلغة قريش . وقوله تعالى : " يس والقرآن الحكيم " يا إنسان بلغة طيء وهذا الاختلاف لم يكن جوهريا بين اللهجات العربية مسّ الفروع دون الأصول كما هو الحال بالنسبة " ما " الحجازية والتميمية، وإلى حكاية في الاستفهام عن الإعلام في الحجازية وتارك ذلك في التميمية إلى غير ذلك .. هذا القدر من الخلاف نادر مختصر غير محتفل به، وإنما هو في شيء من الفروع يسير، أما الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه، ولامذهب

للطاعن به (1) أن هذه الفوارق اللهجية لم تكن في يوم من الأيام حاجزا أو سدا مانعا بين الأعراب على اختلاف مواقعهم ومنازاهم في عدم التفاهم بينهم بدعوى وجود فوارق لهجية التي لا تدحض، وكان الخلاف اللهجي يكتسي طابعا بارزا على جميع المستويات بين المنطقة الشرقية والغربية كالإدغام و الإظهار، التحقيق أو التسهيل، الإمالة أو الفتح، النصب أو الرفع، التذكير أو التأنيث... ولهذه العلامات أسباب خارجية من عوامل جغرافية واجتماعية وتاريخية... وأسباب داخلية تتصل باللغة ذاتها كالتطورات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، ولهذه العوامل الداخلية من الأهمية ما لا تقل عن الدراسات اللسانية المعاصرة، وقد تتقلص المنطقة الجغرافية الواسعة حتى يظهر الخلاف اللهجي على مستوى منطقة واحدة ضيقة و محددة نتيجة للتداخل القبلي أو العكس أي ما قد يوازيه من الانعزال والانزواء الاجتماعي (2).

وقد ظهر جليا اختلاف هذه اللهجات في قراءة القرآن الكريم فيما أوضحتها بعض الأحاديث من صحة القراءة باللهجات المتعددة ففي قوله صلى الله عليه وسلم: (انزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه) وتضاربت الآراء وتنوعت واختلفت حول تفسير ذلك اختلافا شديدا لاسيما

1- الخصائص ج 1 ص 243 .

2- دراسات سانتكسية للهجات العربية القديمة ص 46 .

حين نجمع تفسير الفقهاء بتفسير اللغويين، فمنهم من قال سبع لغات ومنهم من قال سبعة أوجه لكن ما قاله أبو عبيد : (ولا نرى المحفوظ إلا السبعة لأنها المشهورة، وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، وهذا شيء غير موجود، ولكن عندنا، أنه نزل بسبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة، والثاني بلغة أخرى سوى الأولى والثالث بلغة أخرى سواها كذلك إلى السبعة، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظا فيها من بعض) (1)

أما ابن عباس فقد قال : (نزل القرآن على سبعة لغات منها خمس بلغة العجز من هوزان 2 حيث فسر أبو عبيد العجز بأنهم : بنو أسعد بن بكر وخثيم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف وهم عليا هوزان الذين قال فيهم أبو عمر بن العلاء: (أفصح العرب عليا هوزان وسفلى تميم يعني بني دارم (2) ليس المراد أن كل من ذلك أن تقرأ كل كلمة تقرأ على سبعة لغات متفرقة فيه فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة هوزان وبعضه بلغة اليمن وغيرهم، قال وبعض اللغات اسعد بها من بعض ما أكثر نصيبا " . (3)

فضلا على القراءات المتعددة المرخصة بالحديث النبوي المذكور آنفا دون أن ننسى القراءات الشاذة عند بعض القراء، هذه القراءات تمثل في نظرنا أقدم وصدق التراكيب الشعبية والمحلية التي لا نستطيع الظفر بها في الخطاب العام...

1-فضائل القرآن ص 33-34

2-المرجع نفسه ص 38

3-الاتقان في علوم القرآن ج 1 - تاويل مشكل القرآن ص 106

فقد يَسِّرَ الله أمر نبيّه وأمتّه بأن تقرأ كل منها بلغتها وما جارت عليه عاداتها، ومن هذا أن ابن كثير وغيره قرأوا : ((وآخرون مرجئون لأمر الله)) (1) ((وترجئ من تشاء)) بالهمز، وغيرهم قرأوا بغير همز أما الهمز فلتميم وأما غيره فهي لغة قيس وأسد، واختلف القراء في قوله تعالى : ((وان جنحوا للسلم فاجنح لها)) (2) حيث قرأ أحدهم بضم النون في الفعل (اجنح) وهي لغة قيس، بينما قرأ الجمهور بفتح النون وهي لغة تميم (3)، وقيس تقول : لسق بالسين وتميم بالصاد (4) وفي قوله تعالى : (قل إن ضللت، فإنما أضل على نفسي) (5) بفتح العين في ضل ماضيا ومضارعا، وجاء في الصحاح : (فهذه لغة نجد وهي الفصيحة، وأهل العالية يقولون: ضللت بالكسر "أضل" (6). ولربما انفرد بطن في بعض مظاهره اللهجية عن منطقتيه واستعملوا حرفا أو استبدلوه مكان حرف آخر فيقولون في مدحته مدهته وفي سفر زفر وفضلت تميم إلحاق القاف بالكاف وتفخيم النطق بهما فقالت: الكوم بدلا من القوم وقال أبو الأسود الدؤلي: ولا أكل القدر قد قطعت * ولا أكل لباب الدار مكقول. وآثرت صوت الصاء على السين فقالت: " شمّر عن صاقه " عوضا عن ساقه. (7)

2-سورة الأنفال الآية 61

1-سورة الثوبة الآية 106

4-المرجع السابق ص106

3-سورة سبأ الآية 50

5-دراسات ساننكسية للهجات العربية القديمة ص : 47

7-نفس المرجع 4/472

6-الكتاب ج 4 ص : 471

وحدث أبو عثمان المازني المبرد أن كل العرب يقولون : فاضت نفسه
(بالضاد المعجمية) إلا بني ضبة فإنهم يقولون : فاضت نفسه (بالظاء
المعجمية) (1) إذا مات.

وبنو صبة بطن من تميم . ومن المظاهر اللهجية الأخرى إبدال الهمزة
هاء في لغة طيئ فيقولون : لهنك في لأنك، وقد وجد هذا النوع من
الإبدال في لهجات اليمن القديمة وبالتحديد في لهجة سبأ الهائية، وسميت
هكذا لورود حرف الهاء محل الألف في الفعل وهي من اللهجات التي
بادت واضمحت، ومن المظاهر الصوتية الأخرى الاختلاف الذي ظهر
بين تميم والحجاز، فالثاء عند تميم تقابل الفاء عند الحجازيين فتميم
تقول: لثام، والحجاز لفام، ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة : "
وفومها " بالفاء على لغة أهل الحجاز، وهو الثوم عند تميم .(2)

ومن مظاهر الاختلاف اللهجي بين الكتلة الغربية الواحدة كسر حرف
المضارعة، وهو من خصائص اللهجات الشرقية غير أنه نسب هذا
الكسر كذلك إلى هذيل في الفعل " أخال " ويجمع اللغويون مع ذلك على
أن الأفتح كسر همزة هذا الفعل، وإن كان القياس يقتضي الفتح، حيث
جاء في الصحاح : وتقول في مستقبله أخال بكسر الألف، وهو الأفتح
وبنو أسد تقول : أخال بالفتح وهو القياس (3)

وأهل المدينة يقولون في (بدأنا) (بدينا) 1 وهذيل تقول أيضا أتوته أتوه

1-المخصص ج 5 ص80

2-لسان العرب ج10 ص348

3-دراسات سانتكسية للهجات العربية ص 50

بمعنى آتيته آتية، وبنو كلاب كما روى أبو زيد يقولون : امضحل بتقديم الميم، في اضحل الشيء : أي ذهب أو السحاب زال .

وهذه العوامل جميعها كانت مقدمة طبيعية لكل ما ظهر بعد من فوارق لسانية في اللهجات العربية الفصيحة والتي بقيت ماثرة في الآثار العربية شعرا، ومثلا، وحكمة، ونادرة، وموعظة..

ثم سطعت بارزة في القراءات القرآنية انعكست عليها كل الظواهر اللهجية سواء كانت صوتية، صرفية، نحوية، أو دلالية، باعتبار القرآن أعظم مصدر محيط بجميع اللغات الفصيحة .(1)

ويعود ذلك لعدة عوامل معروفة تتجلى بوجه خاص في العامل الروحي الاقتصادي، والسياسي والتجمعات العربية لتأدية فريضة الحج، وتنظيم مواسم أدبية وثقافية ورياضية .

إن هذه النظرة جعلت من الباحثين اللغويين يجمعون على أن اللهجة القرشية لهجة نموذجية لسائر العرب، بحيث ذابت فيها كثير من اللهجات البدوية الأخرى لتتكون في النهاية لغة أدبية واحدة هي لغة الشعر، ولغة الخطابة، ولغة الحكمة، ولغة المثل، ولغة السجع، ولغة الحكاية، ولغة الآداب الشعبية، ثم لغة القرآن الكريم، ولغة الحديث .

إن الدخيل من اللهجات الأخرى مهما كثرت في اللهجة القرشية لا ينقص فتिला من قيمتها اللغوية ما دام الدخيل كان يصقل صقلا جيدا وفقا لقوانين اللغة المستوردة مما زادها قوة ورقيا حتى أضحت لهجة خاصة

ممتازة لما ابتلعت ما يفد إليها من تلك اللهجات ((وما دام الأمر كذلك، أي ما دامت لغة قريش قد سارت واستطاعت أن تبتلع ما يفد إليها من تلك اللهجات وأصبحت هي اللغة النموذجية الأدبية، فقد كان حريا بالنحاة أن يضعوا القواعد طبقا لما سمع من هذه اللغة دون غيرها من اللهجات وألا يحاولوا أن يطبقوا هذه القواعد على تلك اللهجات مما أوجههم إلى التقدير والتخريج حتى يخضعوها لقواعدهم (((1)

ويستدل سليمان ياقوت بأنّ " تعدد صور الإعراب في حالة تعدد اللهجات يعني الخلط بين المستويات اللغوية وهذا الخلط أمر تفرضه الدراسات اللغوية الحديثة، لإصرار هذه الدراسات على وجوب تحديد مستوى الكلام المدروس وبيئته منذ بداية الأمر (2)

يكاد الباحثون القدماء يتفقون على أن لهجة قريش هي أعلى اللهجات العربية وأفصحها، وهي التي سادت شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام . وقريش أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وأفضلهم عند الله، لأن النبوة منهم، وهم قطان حرمه وجيران بيته، وفي ذلك يقول ابن فارس :

1-اللغة والنحويين القديم والحديث ص42

2-من أسرار اللغة ص 36

" اجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومجالهم، أن قريشا أفصح العرب السنة وأصفاهم لغة وذلك أن الله عز وجل ثناؤه، اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمدا صلى الله عليه وسلم، فجعل قريشا قطان حرمه وجيران بيته الحرام وولياته، فكانت وفود العرب من حجّاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم - وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم . ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميهم أهل الله لأنهم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام، لم تشبههم شائبة ولم تتقلهم عن مناسبتهم ناقلة، فضلا من الله جلّ ثناؤه لهم وتشريفًا . وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات نحائزهم وسلاتقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب . (((1)

ومما لاشك فيه أن قريشا كانت تختار أفضل لغاتهم على الإطلاق ومما زادها قوة ومناعة نزول القرآن بها وتحدي العرب وفصحائهم أن يأتوا بمثله وكان هذا دليلا على عظيم منزلة البلاغة عندهم.

ومن كانت هذه حالهم في تهذيب لغتهم كانوا قدوة بهم يقتدى وعلى مثالهم يحتدى

وكانت تنظر هذه القبائل العربية إلى قريش نظرة موحدة مشوبة بالوقار والتقديس رغبة كل منها قاصيها ودانيها في التقرب إليهم والتبرك بهم عن طريق المصاهرة والمعاملات المختلفة التي تدخل في الحياة المادية والمهنية السائدة.

ويؤكد ابن جني هذه الفصاحة عندما نجده يتحدث عن لغة قريش حيث يقول : " ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوزان وتضجع قيس . وعجرفية ضبة وثلثة بهراء " . (1) حقا كانت هناك بعض الفوارق في لهجات القبائل في الجزيرة العربية لكن هذه الفوارق لم تكن عائقا لتحول دون التفاهم بين مختلف القبائل المتباعدة في السكن والجوار، وأغلب هذه الفوارق ترجع إلى طبيعة اختلاف الأصوات والقوالب والمفردات والتي لفتت أنظار النحاة واللغويين ومن تلك الفوارق مثلا : العننة، أي إبدال العين من الهمزة، والكسكسة، وشبيهتها الكشكشة، أي إبدال السين أو الشين من الكاف، والثلثة، أي كسر حرف المضارعة، والعجعة، أي قلب الياء المشددة جيما في النسبة، مثلا.

وهناك أمثلة كثيرة لاحصر لها مستعملة عند قبيلة في صيغة تخالف صيغته عند الأخرى أو بمعنى يختلف قليلا. ونجد ابن جني في

الخصائص يصف لنا هذه الخلافات مبيّنا ضآلتها وعدم أهميتها بقوله :
«هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته، محتقر غير محتفل به، ولا معيجه
عليه، وإنما هو شيء من الفروع يسير، فأما الأصول وما عليه
العامة والجمهور، فلا خلاف فيه، ولا مذهب للطاعن به ... ولو كانت
هذه اللغة حشوا مكبلا، وحثوا مهيبا، لكثرت خلافها وتعدت أوصافها
(1).»

إن جميع اللهجات كانت مفهومة لدى جميع القبائل، فالمعلقات مثلا كانت
مفهومة بشكل عام عند عرب الجاهلية مع أنها كانت من تأليف شعراء
من قبائل مختلفة : امرؤ القيس من كندة، زهير وعنترة وليبد من قيس
وطرفة وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة من ربيعة.

وعندما نزل القرآن الكريم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان
مفهوما عند جميع القبائل، وفي القرآن إشارة واضحة بأنه رسالة الإسلام
إلى العرب بلسان لغتهم:

(بلسان عربي مبين)

(هذا لسان عربي مبين)

(إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)

(هذا كتاب مصدق لسانا عربيا...)

نزل بصيغة واحدة من تلك اللهجات، وأن لغة القرآن هي لغة قريش
وبعد تدوينه وانتشار قراءاته في أمصار الدولة الإسلامية في عقودها
الأولى، كانت الفروق اللهجية الدقيقة تظهر في تلاوته بين بعض قرّائه

بما يمكن أن نشير إليها باختلافات في اللهجة، وقد كتب العديد من علماء العرب عن دقائق تلك الفروق ... في مؤلفات استعمت فيها كلمة لغة بمعنى لهجة (1)

إن تلك الفوارق بين لهجات العرب كانت ستؤدي إلى ظهور لهجات مختلفة، كذلك في المناطق التي انتشر فيها الإسلام، وأصبحت اللغة العربية هي اللغة الغالبة واستمرت إلى وقتنا الحاضر وتعرف بالبلاد العربية من المشرق إلى المغرب، أما مناطق الإسلام الأخرى فقد بقيت لغات أهلها هي السائدة مثل مناطق خراسان وأواسط آسيا والهند وغيرها وانضمت إلى الفوارق الأصلية في لهجات العرب، وهي الظاهرة التي يطلق عليها اليوم لغة المولدين وذلك أصبحت للعربية لهجتان محكيتان : لهجة العرب الأقحاح قد أطلق عليها اصطلاح (لغة الخاصة) ولهجة المولدين اللاحنة والتي عرفت باسم (لغة العامة...)

فقریش مطبوعة على الفصاحة بالفطرة ولهجتهم خالية من جميع العيوب الموجودة في القبائل العربية الأخرى وقد " سادت في البلاد العربية قبل الإسلام حين عظم شأن قریش وحين أخذت مكة تستحيل إلى وحدة سياسية مستقلة مقاومة للسياسة الأجنبية التي كانت تتسلط على أطراف البلاد العربية .

وكان لقریش سلطان سياسي حقيقي، هذا السلطان السياسي كان مصدر

اعتزازه سلطان اقتصادي عظيم، الذي كان بدوره يعتز بسطان ديني قوي مصدره الكعبة التي كان يحج إليها أهل الحجاز وغيرهم من أعراب الشمال، فقد اجتمع لقريش سلطان سياسي واقتصادي وديني. (1)

هذه اللغة العربية الفصحى فرضت على قبائل الحجاز فرضاً لا يعتمد على السيف وإنما يعتمد على المنفعة أو تبادل الحاجات الدينية والسياسية والاقتصادية. (2)

فقد كان للعرب في جنوبي الجزيرة وشمالها أسواق تحفل بالقبائل ولعل أكبرهم في هذه الأسواق يكاد ينحصر في تخير اللغة وتهذيبها وسمو أساليبها وتوسع نطاقها وإزالة ما عسى أن يكون بها من خشونة . فهي مجالس للتحدث بأيامهم وحروبهم ونوادي يتبارى فيها خطباؤهم وشعراؤهم.

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن هذه القبائل تجتمع في أسواقها بطون مختلفة تتفاهم دون أدنى كلفة بالرغم من الاختلافات والفوارق اللهجية الموجودة بينهم، هذا ما يؤكد أن لهجاتهم كانت متحدة في صميمها وان هذا الاختلاف لم يعد كونها لهجات للغة واحدة.

1- فقه اللغة في الكتب العربية ص 117

2- في الأدب الجاهلي ص 133-136 - دراسات في فقه اللغة ص 65

وليست الأسواق وحدها وسيلة لاختلاط القبائل وتعارفها بل كانت إلى جانب ذلك تمتزج بالتجارب والأسفار والسبي والاسترقاق في الحرب وما يتصل من معاملات ومصاهرات وجوار في السلم.

كان سريان هذا التقريب في جمع الشتات إلى لغة واحدة وتوحيد في لغات العرب .

ليست هناك لغة أو لهجة إنسانية عاشت منعزلة ولم تكن تنتمي إلى مجموعة لغوية تضم لهجات عدة تتشابه في مفرداتها ونحوها وصرفها وطريقة التعبير وصوغ الأفكار.

وقد اعتمد اللغويون في تقسيماتهم للغات العالم عدة طرق لكن الطريقة الشائعة التي اعتمدها هي القرابة اللغوية لأنهم يرون أن اللغة كانت واحدة عاشت في زمن ما، استعملها شعب واحد في معاملتهم وتصرفاتهم ومعيشتهم وفي تبليغ أفكارهم وتجمعه وشائج القربى ثم تفرقوا بعد أن كثر عددهم وانتقلوا لغايات مختلفة إلى جهات ومناطق أخرى.

ومن ثم أخذت كل جماعة تعبر عن غاياتها وأغراضها المعيشية الجديدة بطريقتها الخاصة وأدى ذلك إلى ظهور لهجات تفرعت عن اللغة الأصلية فقد كانت هناك لغة أم ما لبث أن تعدد أبنائها وبناتها فالواحد انقسم إلى فروع وأجزاء.

إن التجانس الواضح بين اللهجات العربية في المفردات والتراكيب النحوية والصرفية يدل دلالة واضحة بأنها لهجات متقاربة انحدرت من لغة واحدة أصلية وهذا ما يحملنا على الاعتقاد بأنها فروع لأصل واحد، ولو حاولنا إيجاد وضع يشابه وضع هذه اللهجات وعلاقتها ببعضها لكانت

اللهجات العربية المنتشرة حاليا في الأقطار العربية على اختلافها أحسن شبيه لها فاللهجة السورية والأردنية واللبنانية تتشابه إلى حد كبير واللهجة السعودية تشبه إلى حد بعيد لهجة الخليج العربي.

وللهجات المغرب العربي تتشابه جدا ولو اختلفت قليلا فيما بينها، وكما تشكل هذه اللهجات مجموعة متقاربة تعود أصلا إلى العربية الفصحى فإن تشابه اللهجات العربية قديما فيما بينها يمكن أن تقارنه بقرابة هذه اللهجات العربية كما ذكرنا .

هذه اللهجات المنحدرة من أصل واحد هي اللغة العربية الفصحى مهما ابتعدت عنها وشقت لنفسها طريقا يكاد يختلف تماما عن طريق اللغة العربية الأم .

فاللغة الأم لا بد أن تترك آثارا واضحة في اللهجات المتفرعة عنها مهما ابتعدت واتخذت لنفسها طريقا خاصا بها.

فاللغة تخلقها حاجات الإنسان الاجتماعية والظروف التي يعيشها ضمن مجتمعه وهذا يعني أن اللغة يخلقها الإنسان والمجتمع الذي يتكلمها.

واللغة لا يرثها شعب أو جيل عن جيل سبقه بل يفرضها شعب منتصر على شعب آخر يخضع له سياسيا أو يتفوق عليه حضاريا والكثير من الشعوب لم يرثوا لغتهم من أجدادهم بل كان نتيجة اتساع امبراطوريات وتوسعات.

فالكتابة ليست المقياس الوحيد لعمر لغة ما - فالإنسان تكلم أولا، ثم كتب وليس العكس وهذا باعتبار أن الكلام المنطوق هو الأصل، يمثل اللغة الحية التي يستعملها المتكلم في حياته اليومية، وينمي بها قدرته على التعبير الشفهي، والتحكم بمهارة في البني اللغوية بما يقتضيه حال

الخطاب قصد بلوغ أهداف لغوية مادة وصورة، والعمل على ترسيخها
أما الكلام المكتوب فهو ليس إلا فرعاً من الكلام المنطوق. (1)
إن معظم البشر لا زالوا يتكلمون دون أن يستطيعوا الكتابة والقراءة - إن
المرء يتعلم كيف يتكلم قبل أن يتعلم كيف يقرأ، وإن استعمال الكتابة
لاحق على استعمال اللغة وليس العكس - إن الكتابة تشكل بالمقارنة مع
علم اللسان فرعاً خاصاً .

ما حدث للهجات العربية قبل مجيء الإسلام وفي أثناءه وبعده من
تغييرات في مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية
والتطورات التي عرفت.

العامية العربية في الوطن العربي

إن اختلاف الألسنة بين الناس من سنن الحياة وطبيعة الشعوب البشرية وينبغي أن نعرف أن اللغة العربية عبر عصورها والمراحل التي مرت بها اختلفت فيها ألسنة العرب في نطق لهجاتها تبعاً لاختلاف القبائل وظروفها الاجتماعية " وأن هذا الاختلاف قد شمل أصوات الكلمات وبنيتها والجمل والإعراب، كما شمل أيضاً معاني الكلمات فهما ودلالة ". (1)

وكان لدواعي الصلة بين العرب دينياً وتجارياً واجتماعياً أثر في ظهور لغة عامة واحدة يفهمها الجميع خالية من قواعد النحو والصرف والتساهل في اختيار المفردات والخروج عن الأساليب، وقد تكونت وشاعت بفضل العرف الذي فرضته علاقات النفع الاجتماعية والانتقال ولم تأت كما يرى بعض نتيجة اصطلاح ومواضعة.

يرى علم اللسان الحديث أن اللهجة العامية تنشأ عن تحوير في اللغة الأصلية يؤدي إلى قيام أسلوب جديد في الخطاب اللغوي يصلح للاستعمال في ظروف الحياة اليومية لكنه لا يرقى إلى مرتبة اللغة القومية.

وبذلك لا يعدو الاختلاف بين اللغة واللهجة أن يكون اختلافاً أسلوبياً

1- المستوى اللغوي للفصحى واللهجات و للنثر والشعر ص 39-40

ويضرب العالم اللساني الفرنسي أندريه مارتيني مثلاً على ذلك باللهجة المصرية وعلاقتها بالفصحى الحديثة وبلغه القرآن الكريم، وكيف أن الفروق بين هذه المستويات فروق أسلوبية في جوهرها وأنها تشكل لغة عربية واحدة (1)

تشكل العامية اليوم خليطاً من كلمات فصيحة محرفة ومفردات أعجمية وأصول أخرى لا تعرف طبيعتها المعجمية وتتشرك جميع هذه العاميات فافتقارها إلى قواعد ثابتة على جميع المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية.

إن اللغة ظاهرة اجتماعية كما يراها علم اللغة الحديث، ((تنشأ بنشأة الاجتماع البشري لأنها من صنع العقل الجماعي، وتتميز بصفة الإلزام والقهر، بمعنى أنها تفرض نفسها على الأفراد فلا يملكون إلا طاعتها راضين أو كارهين، وبهذه الصفة تتأكد موضوعية الظواهر الاجتماعية (2)

كما نجد رائد المدرسة الاجتماعية في الدراسات اللغوية الحديثة فرديناند دي سوسير يؤكد هذه النظرة الاجتماعية ويعتبرها نماذج سلوكية حقيقية

1-المبادئ العامة في اللسانيات ص28

2-علم اللغة ص : 85

لأعضاء المجتمع، ومن ثم يرى أن علم اللغة عنصرا أو جزءا من العلم الذي يقوم بدراسة الصلات الاجتماعية في المجتمع البشري.

واللغة في نظره لا تتساوى مطلقا مع الكلام الإنساني ((إنها نتاج اجتماعي للمقدرة على الكلام الإنساني، وفي الوقت نفسه تشابك من عادات ضرورية مؤكدة أو اتفاقيات طبيعية يقوم بها المجتمع لتسهيل أداء هذه المقدرة من خلال الأفراد، أما الكلام الإنساني فليس شكلا واحدا محددًا أو متشابكا، إنه يتصل بمجالات متنوعة فيزيائية ونفسية وفسولوجية، كما يتصل أيضا بمجالات فردية واجتماعية، وهو لا ينتظم في أنواع من الصلات الإنسانية)) (1)

اللغة ظاهرة اجتماعية بفسولوجية قبل أن تكون كلمات وأصواتا وصرفا ونحوا، فهي في المنظور العربي أداة مركبة من أصوات فكلمات فتراكيب، بينما هي في الواقع الفكر ذاته، ولا كيان للغة بمعزل عن المجتمع(2).

وهي تتطور بتطور الإنسان ذاته، ويمكن للعامة أن تصبح في وقت ما لغة رسمية لشعب ما. عندما يتجرد من قيود التبعية والتقليد ويستطيع أن

1-المرجع نفسه ص 86

2-نظريات في اللغة ص : 13

يساير الحضارة بلسانها الخاص، وفي هذه الحال قد يجد المجتمع نفسه مجبوراً على توليد مفردات ومصطلحات عن طريق الاقتباس والترجمة، وهذا ما يزيد العامية غنى وتطوراً.

فقد انحدرت لغات تعرف اليوم باللغات الحية وهي الفرنسية، والإيطالية والأسبانية من اللغة اللاتينية . فعلماء اللغة حديثاً يرون أنه لا وجود للغة جيدة بالمقارنة مع العاميات، فالفصحى ليست لغة رديئة . وان كان نحو وصرف العامية يختلفان عن صرف الفصحى ونحوها.

قد يتوهم البعض أن العامية خطأ وأنها لغة هجينة، قد تكون بالنسبة للفصحى كذلك لكن ليس بالنسبة إلى ما يقوله الناس، والملاحظ أن العرب في جميع أقطارهم يتكلمون اليوم لهجات عربية إقليمية في حياتهم اليومية ويعتبرون في حياتهم الفكرية العربية الفصحى لغتهم الرسمية.

ونشوء العاميات في جميع اللغات مراده إلى مبادئ طبيعية، فان تركت اللغة للناس يتكلمون بها عن سجيتهم فإنها على مر الزمن تتعرض إلى الضعف والتفكك من جرّاء الميل إلى استعمال السهل من المفردات ومجانبتهم لكل صعب(1).

فالعامية لا تتخذ من اللغة أداة للتعبير عن الفكر بقدر ما هي عندهم تعبير

1- تحريفات العامية للفصحى - في القواعد والبنىات والحروف والحركات ص 13-17.

عن الشعور، وتصريف الشؤون والتعامل والتحايل على كسب العيش والاسترزاق وفي مثل هذه الظروف يتجرد الإنسان من قيود اللغة وما تحمله من أنظمة معقدة، ويتكلم على هواه بطريقة بسيطة ترتاح نفسه لها.

بالرغم على أن العامية ليست لغة قائمة بذاتها لما تتميز به من انحرافات بسيطة عن النهج اللغوي الفصيح . فلا توجد لغة في العالم لا تعرف التشعب إلى لهجات محلية أو إقليمية ومع ذلك تستمر اللغة الأصلية في البقاء وأداء وظيفتها التخاطبية والتعبيرية وكثيرا ما نتراجع هذه اللهجات المحلية لمصلحة اللغة الأصلية كما حدث في لهجة " الباتوا " بفرنسا التي تراجعت أمام اللغة الفرنسية، بحيث أن الوضع اللغوي القائم في فرنسا لا نظير له في بقية المجتمعات الأخرى، فاللغة القومية تتمتع فيه باحترام كبير مما ساعدها على الانتشار، وحتى سكان الأرياف الذين يعيشون في قرى متباعدة نسبيا يتكاملون اللغة القومية بسهولة ويسر أكبر من استعمالهم اللهجة الأصلية في تعبيراتهم التي نجدها تتفاوت من منطقة إلى أخرى.

ومعلوم أن المرء يتعلم اللغة التي يستعملها يوميا، فيشتد إتقان الناس للغة القومية مع مرور الوقت، وفي المقابل تتضاءل الفرص أمام الناطقين باللهجة الأصلية لمقارنة أنماطهم الأصلية فيما بينها مما قد يؤدي بالفوارق إلى النمو والاتساع ليصبح التفاهم فيما بينهم معقدا، ولو كان الأمر غير ذلك لا اعتاد الناس على هذه القروق وعملوا على تسويتها

قد نصادف حالة لا تتفق فيها اللغة الرسمية مع اللهجة المستعملة، فاستعمال اللغة الرسمية مقصور على مجالات معينة لا يسمح فيها لغيرها من الأنماط اللغوية المحلية، وغالبا ما تكون هذه اللغة أدبية رفيعة أو مقدسة ولا تستجيب لحاجات المجتمع المختلفة وهذا هو حال اللغة العربية في البلدان العربية، فالشروط في هذه الحالة تكون مهياة لظهور لهجة تستجيب بشكل أفضل لحاجات التعبير اليومية.

وهذا يجرنا إلى الاعتقاد أن اللغة ذات الاستعمال المحدود تساعد بشكل أو آخر على ظهور أنماط من التعبيرات المحلية القريبة منها، فإن الناطقين بهذا النوع هم أشد وعيا لوحدة الكل لا يعيرون اهتماما كبيرا للاختلافات الدالية والفوارق الصوتية، وينظرون على انهما مجرد أسلوبين للغة واحدة

تختلف لهجة الفرد من منطقة إلى أخرى، أو مجموعات أخرى إلى مجموعته وأول ما يظهر من هذه الفروق هو على مستوى النطق، وخاصة في اختلاف بعض الأصوات، ثم نسجل اختلافات في بعض المفردات التي تتصل معانيها بالأمر المحلية الخاصة، ثم كلمات مقترضة من لغات أخرى.

هذا التفاوت في اللهجات المستعملة في البلدان العربية لا يمكنه أن ينطوي أو يضمحل، على الرغم من الجهود التي تبذل في المؤسسات التعليمية بل إن الفروق تزداد، ولا نجد لغة في العالم منتشرة في مناطق واسعة من دون لهجات محلية متباينة ومختلفة، والتباين في اللغة أمر طبيعي، وغياب التباين في اللغة أمر غير طبيعي، فلا نجد أية أمة منتشرة في

منطقة واسعة تستعمل اللهجة نفسها في جميع المناطق، وحتى اللغة الرسمية لا تستعمل في جميع المناسبات والمواقف والمواضيع.

إن وجود التباين في اللهجات من حيث الموقع الجغرافي أو الطبقة الاجتماعية أو بين الأفراد ذكورا وإناثا صغارا وكبارا مظهر يثير التساؤل عن مدى ترابط اللهجات وعن مدى التفاهم بين المجموعات التي تتحدث بلهجات مختلفة.

يرى اللغويون أن (اعتبار التشابه البنيوي للهجات معيارا لقياس الترابط والقراءة البنيوية وبعدها .) (1)

قد نلمس ضعفا في الاستعمال اللغوي بين عامة المتكلمين في البلاد العربية وربما كان من مظاهر هذا الضعف قلة الإنتاج الفكري أو الثقافي الرصين الأمر الذي نلمس آثاره واضحة (2)

إلى جانب ذلك تداخل العامية مع الفصحى والعربية مع الأجنبية، وهذا الخلط اللغوي الفج والكلام المهجن الذي يظهر بصورة بارزة على ألسنة الأساتذة وطلبتهم وفي ميادين كثيرة من حياتنا.

1- المستقبل ص : 92

2- الحصيلة اللغوية ص : 160

كما أن عدم إتقان أصول اللغة وقواعدها أو بالأحرى عدم إدراك القواعد الأساسية لهذا الأصول، بالإضافة إلى أسباب أخرى مختلفة المحاور تتعلق بالحياة المادية القائمة والتغيرات الحضارية التي يشهدها المجتمع العربي، لكن نجد هناك تباين في وجود هذه الظاهرة، وتختلف نسبة انتشارها من قطر إلى آخر تبعاً للظروف الاجتماعية والاقتصادية والحضارية التي تخضع لها البلاد ويتفاعل معها المجتمع.....

وقد يعتقد الكثير أن العامية هي بمنزلة اللغة الأم للفرد على اعتبار أنها ((تشكل لديه النموذج اللغوي الأول، وتترسخ ملكتها فيه فتصبح منه بمنزلة السليقة)) (1)

إن اللهجات المحلية أو الإقليمية العامية العربية المنتشرة حالياً في الأقطار العربية بين شعوبها لا يمكن اعتبار أي منها لغة أصلية على المستوى القومي لأنها لاحقة أو منبثقة متفرعة عنها.

كما لا يمكن للإنسان أن يرتبط بقوميته أو تراث أمته بأي منها، وإنما يتحقق ذلك بالرجوع إلى اللغة الأصل الراسخة التي تمثل الشجرة الأولى بجذورها و أصولها الثابتة وهي ما يسميه فيرجسون ferguson بالنمط العالي أو المرتفع للغة وليست العامية المحلية التي لا تمثل إلا النمط الواطئ أو الضعيف لها.

وتبقى لغة قاصرة بالرغم من اشتراكها في ظواهر عديدة مع الفصحى
ولا تفي مفرداتها مهما كثرت وتنوعت وتفرعت ... (1)

ولو افترضنا أن العامية وافية بحاجات التخاطب الاجتماعي العادي فإن
هذا الوفاء لا يتعدى حدودا جغرافية ضيقة . قد تكون هي الحدود البيئية
المحلية التي يعيش فيها الفرد وبإمكانها أن تصل إلى حدود الإقليم الواحد
وإن تجاوزت حدود بيئتها إلى بيئات أخرى فسيكون استعمالها محدودا
في مجال التخاطب المنطوق، أما في مجال التخاطب المكتوب فلا يمكن
أن تقبل إلا في حالات نادرة، وفي البيئات المختلفة فكريا وثقافيا في
الغالب .

وإن قبلت فإن استخدامها لا يتجاوز مواقف خاصة ومحددة، وقد تقصر
وتضيق في مجال التعبير عن القضايا الثقافية أو الفكرية العلمية
والفلسفية الأمر الذي يحوج المتحدث اللجوء إلى لغة أرقى .

إن العامية خاضعة دائما للتغيرات السريعة التي لا تحكمها قواعد ولا
قيود في كثير من الأحيان، فإن التعبير بالعامية لا يمكن أن يبقى ثابتا
لوقت طويل، سواء من حيث ألفاظها ومعانيها أو من حيث صيغها و
تراكيبها وأساليبها.

علاوة على ما تقدم فإن العامية لا ترضي طموح أمة متحضرة تحرص
على تنمية لدى ناشئتها، لغة ثابتة الأصول راسخة القواعد وذات ذخيرة

لفظية وافرة، لذا ينبغي التوجه نحو الأصل وتأكيد به بدل من تأصيل الفروع والوقوف عندها والتشبث بها. (1)

إن ما يتعلمه الناشئ من مقررات داخل نطاق المدرسة فرضا كان أو تطوعا واختيارا كأنها باللغة الفصحى، بينما لغة التخاطب التي يسمعها ويمارسها يوميا في الشارع والبيت هي العامية وبالرغم من أن في العامية عناصر لفظية ومعنوية ذات أصول سليمة فصيحة لكن هناك ما هو محرف وبعيد تماما عن الأصل السليم، فالعامية إذن تحوي عناصر مهجنة وأخرى دخيلة تسربت من لغات أخرى بطرق عشوائية أو ارتجالية، فهي غير معترف بها من قبل المجامع أو المؤسسات اللغوية القومية وغير صالحة في الاستعلامات المدونة رسميا، واستمرار التنزع بين العناصر الأصلية السليمة و الهجينة على احتلال المواقع في مختلف النشاطات اللغوية قد لا ينتهي، ربما قد تزيح هذه العناصر السليمة من الذاكرة، وتغلب على الألسن لكثرة تداولها في الحياة العادية، وبما أن هذه العناصر غالبا ما تكون غير صالحة في المجال الرسمية فإن الناشئ المستخدم لهذه العناصر يجد نفسه في موقف مفارق إما أن يكون تعبيره شاذا مشوها غير مقبول أو يمتنع عن الاستعمال المهجن ويقتصر على الحد الأدنى منه، فقلة الممارسة في استخدام اللغة السليمة قد يؤدي بطبيعة الحال إلى فقدان الطلاقة اللغوية وضعف القدرة على التعبير والإنتاج .

قلنا أن اختلاف اللهجات بين الأقطار العربية أمر طبيعي للغاية، وهذا الاختلاف يعود إلى العصر الجاهلي و صدر الإسلام حيث كان العرب على علم بوجود اختلافات بين قبائل العرب، وإذا تعرضنا بالدراسة إلى لهجة كل قبيلة وقفنا على بعض العناصر التي تميزها بشكل دقيق، غير أن تلك الفروق لا يتبينها إلا المتخصصون ولم يكن هذا الأمر عائقاً بين اللهجات التي كانت مفهومة بين جميع القبائل ولا يستطيع ذلك إلى تدليل فعندما نزل القرآن الكريم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان مفهوماً عند جميع القبائل، وكانت الفروق اللهجات الدقيقة تظهر في تلاوته، بما يمكن أن نشير إليها باختلافات في اللهجة، وقد كتب العرب عن دقائق تلك الفروق التي استعملت فيها كلمة لغة بمعنى اللهجة.

ومن المعروف أن تعلم الأطفال لغة جديدة إلى جانب لغتهم الأولى قد لا يؤدي في الغالب إلى ظهور اللحن، لكن لغة المولدين كانت مشوبة باللحن في اللغة العربية، وأصبحت لها لهجتان محكيتان لهجة العرب الأقحاح وعرفت آنذاك بلغة الخاصة، ولهجة المولدين اللاحنة والتي عرفت باسم لغة العامة، ومن هنا جاء الاصطلاح اللغة العامية كما أشار إلى ذلك صاحب البيان والتبيين إلى أن " العامية هي لغة المولدين والبلديين". ووضعت مؤلفات بعنوان لحن العامة، ومن أهم مميزات لغة العامة الخلط بين الأصوات المفخمة والأصوات المرققة، وإسقاط الهمزة في بعض مواقعها، وخلط كذلك حركات الإعراب والصرف، ولهذا توجه أعلام اللغة وجماعها إلى مناطق العرب الذين لم يختلطوا بعد مع الناطقين بلغات أخرى.

وكانت تلك العملية شاملة لكل نواحي اللغة فاقت مثيلاتها حتى المعاصرة منها . ومع اتساع حدود الدولة الإسلامية وانتشار العرب فيها تأثرت لهجتهم المحكية بلحن العامة، ولم تتأثر اللغة المقننة إلا يسيراً، مما حفز بعض الغيورين إلى وضع مؤلفات تهدف إلى تصحيحها، وعرفت تلك المؤلفات باسم (لحن الخاصة)

ومنذ النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، أخذ لحن العوام في النطق بالعربية ينتشر أكثر فأكثر ن مما دفع ببعض علماء اللغة إلى التصدي لهذه الظاهرة الخطيرة على لغة القرآن ومن بين هؤلاء العلماء نذكر على سبيل المثال لا الحصر الكسائي مؤسس المدرسة الكوفية وأحد القراء السبعة المشهورين للقرآن الكريم الذي ألف كتاباً بعنوان : (ما تلحن فيه العوام) لإصلاح فساد ما حدث في ألسنتهم من تحريف الكلام الفصيح، وسار على نفس النهج أئمة العربية في القرون التالية ومن مختلف البلدان العربية والإسلامية، ومن أبرزهم الزبيدي الأندلسي المتوفى سنة 379هـ الذي ألف كتاباً هو الآخر سماه (لحن العوام).

وتكاثرت المؤلفات العربية في بيان لحن العوام في البلدان العربية . نذكر منها (تنقيف اللسان) لابن مكّي و (درّة الغرّاص في أوهام الخواص)

للحريري و(تكملة إصلاح ما تخلط فيه العامة) للجواليقي و(المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان) لابن هشام اللخمي و(تقويم اللسان) في لحن عامة بغداد لابن الجوزي.

وتهدف هذه المؤلفات إلى محاولة تصحيح نطق العوام لألفاظ العربية في مختلف البلدان العربية لتخلصها من كل ما دخل عليها من تحريف وتقوم كل ما شابها من اللحن . كما ألفت إلى جانب ذلك كتب في الدخيل على الألفاظ العربية من الألفاظ الأعجمية، ومن أهم هذه المؤلفات كتاب المعرب للجواليقي، ويعرض فيه الألفاظ الأعجمية التي دخلت اللسان العربي . إن الجهود الخصبة التي بذلها علماء أجلاء سواء كانوا قدماء أو معاصرين في محاولاتهم لتقويم اللسان العربي بصورة عامة من التحريفات في الألفاظ والصيغ والتركيب، جديرة بكل تقدير .

ومع بداية ضعف الدولة العباسية تدنى مستوى استعمال الفصحى بين غالبية الناطقين بالعربية، مما زاد في لحن الخاصة واتساع الشقة بين الفصحى واللهجات المحكية.

وكانت لهجة أهل المغرب أكثر اللهجات المولدة اختلافا عن الفصحى، فقد ذكر أبو علي القالي البغدادي أن لهجة شمال إفريقيا منغلقة على نفسها وصعبة الفهم . ووصفها ابن خلدون في مقدمته أن لهجة المغرب عربية، ولكنها منحرفة وأن الاختلاف يزداد كلما اتجهت غربا. (1)

ويتضح بصورة جلية بأن فرضية اللهجات العربية المعاصرة هي امتداد لتلك اللهجات المولدة، بسبب انتشار العرب وتقلهم مع الإسلام في امصار الدولة الإسلامية من المشرق إلى المغرب، ومهما يكن من أمر حول أصل اللهجات العربية المعاصرة فهذا قد لا يتطلب دلائل وبراهن لكن لابد من القول بأن احتكاك العنصر العربي مع غيره من الأجانب في الوطن العربي خلال القرون القليلة الماضية عن طريق الاستعمار أو عن طريق التجارة والمعاملات الاقتصادية والسياسية والدراسة وما إلى ذلك، قد أضاف إلى الفروقات الأخرى عناصر غريبة متعددة الأصول، وذلك بحسب طبيعة ونوع الاحتكاك، وبتفحص هذه اللهجات ومقارنتها مع غيرها تتضح نوعية العناصر الغريبة الدخيلة.

وتتشابه الفوارق اللهجية العربية المعاصرة من حيث النوع مع الفروقات المتوافرة بين لهجات اللغات الأخرى في العالم وفي الأصوات ونظمها وفي الصرف والمفردات إلا أن العناصر المشتركة بين كل لهجات العربية تفوق عناصر التباين والاختلاف من حيث العدد والنوع. غير أن اللغة العربية تتميز عن باقي لغات العالم، فقد أدت الاختلافات في لهجات اللغات الأخرى في العصور السابقة إلى ظهور لغات انفصلت واستقلت عن تلك اللهجات. بينما اللهجات العربية حافظت على ارتباط وتماسك بعضها ببعض، وذلك بسبب ارتباطها جميعا بالفصحى والقرآن الكريم.

ما تجدر الإشارة إليه فإن الوطن العربي ومنذ خمسة عشر قرنا من الزمن وهو متماسك مترابط بالوحدة اللغوية وتكاملها، هذا ما لا نجده في أية لغة أخرى من العالم، وأما وجود اللهجات بجانب الفصحى فليس هذا

بمظهر تفكك أو تشتت لغوي في الوطن العربي لكنه أمر طبيعي في كل لغات العالم ولو افترضنا التخلص من جميع اللهجات بطريقة أو بأخرى وأصبح كل فرد يستعمل الفصحى في كل مجالات الحياة، (وهذا أمر يستحيل تحقيقه) ظهرت لهجات محلية جديدة، ذلك أن المجتمع لا يمكنه أن يفاضل بين مستويات الاستعمال اللغوي، ولا بد أن تظهر فيه أنماط لغوية مختلفة وقد لا يجمع الأمة لغويا إلا اللهجة الفصحى. (1)

أما بقية اللهجات الأخرى التي تفرعت عن اللهجة الأصلية فهي كثيرة يختلف بعضها عن بعض في الكثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والألفاظ، فقد اختصت كل جماعة أو قبيلة متحدة ومتلائمة في ظروفها الطبيعية والاجتماعية بلهجة من هذه اللهجات. (2)

وسبب تباين اللهجات العربية الحديثة يعود إلى القبائل التي انحدرت من لهجات عربية متباينة ولم تكن هذه القبائل النازحة إلى أماكن لهجية معينة ومعها لهجاتها المختلفة وأقامت بها، وكل منها يحتفظ بخصائص وعوائد

1-الحصيلة اللغوية ص168-169

2-فقه اللغة - وافي - ص : 104

في لهجات التخاطب التي سبق وأن تأثرت بها . فكان لا بدّ أن تحذو
حذو أهل البلاد الجديدة في لهجات كلامهم وفي تخاطبهم.

تتميز العامية العربية في الفطر العربي فيما بينها في صفات صوتية
يمكن تحديدها فيما يلي : الاختلاف في مخارج بعض الأصوات اللغوية
وبخاصة منها الهمزة والقاف، التباين في التناغم الصوتي للكلام، وكذا
الاختلاف في نظام التفاعل بين الأصوات المجاورة حين يتأثر بعضها
ببعض.

وليس بالضرورة أن تجتمع كل هذه الفروق ممثلة في لهجة لغة من
اللغات بل قد يشمل جانب منها فقط، كما أن اللهجات يمكنها أن تتقارب
أو تتباعد على قدر اشتمالها أو عدمها على الصفات السابقة الذكر .

ينبغي الاهتمام بدراسة اللهجات العربية الحديثة، والعمل على إصلاحها
وترقيتها قصد بلوغ مستوى رفيع من النتاج الأدبي الشعبي ومقاربتها
والارتقاء بها مع التراث العربي الفصيح ذلك أن اللهجة العامية ما هي
في حقيقة الأمر إلا عربية فصيحة محرقة دخلتها طائفة من الألفاظ
الأعجمية .

فالهدف المتوخى من وراء هذا كله، تحقيق لهجة عامية واسعة تشبه
العربية الفصحى وتقترب إلى حد بعيد من اللغة الأكاديمية الراقية التي
تحفل بها مجالات الأدب والشعر والموسوعات العلمية.

إن العامية العربية الحديثة لم تقتصر على مجموعة في منطقة معزولة
ولم تحظ بالانتشار الواسع، بل تعدت حدودها الجغرافية وصارت معروفة
لدى الكثير من الشعوب والأجناس، وأكثر من ذلك فقد ألف المستشرقون

كثيرا من الكتب عنها وعن قواعدها وأصبحت العامية المصرية معروفة وكذلك لهجات بلاد المغرب كالعامية التونسية والجزائرية ومراكش وطرابلس، كما عرف عن اللهجات العربية الأخرى كالسورية وبلاد العرب الجنوبية والداخلية، وكذا الأقطار الشرقية أكثر مما كان معروفا من قبل ويبقى المجال البحث مفتوحا للمزيد من التنقيب والترتيب ووضع اللهجات العربية في مستواها الذي تستحقه(1).

إن الدراسات الأنثروبولوجية التي ظهرت في مطلع هذا القرن تفيد بأن الأمثال الشعبية هي الأقرب صلة باللهجات المحلية للشعوب، وبخاصة تلك المجتمعات التي تعتمد التواصل الشفوية أسلوبا في نمط سلوكها وحياتها وعاداتها وليست تمة قوانين تخضع لها غير قانون واحد هو قانون الطبيعة الذي يسمح لها بالعبور في فضاء مشترك بين الخلف والسلف، فالعلاقات الفضائية بين الأمثال الشعبية هي التراكيب الأكثر قدما والأكثر دلالة على ذلك الترابط المتسلسل بين أشكال المدونة الشعبية عبر الأزمنة والأمكنة والأجيال . فالمثل الشعبي الذي نعتبره مدونة يشترك فيها مختلف الشعوب العربية لا يتباعد كثيرا عن كونها مرجع لفكر واحد ولا يعد تركيبا غريبا كل الغرابة عن التراكيب العربية أو اللهجية المتباينة عموما. إن الخصائص البنيوية للمثل الشعبي لا يشكل لغة شعب معين، لكنه يمثل مجموع التراكيب الشفوية المتواضع عليها دون الأخذ بعين الاعتبار الحدود الجغرافية.

العامية الجزائرية

لم يبلغ التفاوت بين اللهجات الجزائرية في أي وقت من الأوقات حدا يجعل التفاهم بين الناطقين الجزائريين أمرا مستحيلا لاشتراكهم في اللغة الأصلية التي ظلت مثلا أعلى لجميع الناطقين بالعربية، كما ظلت المورد والمنهل الأساسي تنهل منه اللهجات المحلية والإقليمية.

فإن تباين اللهجات بين أفراد المجتمع الجزائري من منطقة إلى أخرى يعود في رأينا لعدة أسباب تاريخية - تعود بالدرجة الأولى إلى العامل الاستعماري ففي ظل انتشار الأمية في الوطن الجزائري وتراجع اللغة العربية والشعور القومي وسيطرة اللغة الفرنسية وانتشار دعوات التبشير الديني المسيحي في ظل هذه الظروف قامت دعوة صريحة لنبذ العربية الفصحى والاستعاضة عنها بالعامية مما تيسر على أصحاب هذه الدعوة إحلال الفرنسية محل العربية " وناصر هذه الدعوة وعمل بها وتابعها بنفس استعماري تخريبي للثقافة العربية والعقيدة الإسلامية، وللانتماء القومي معا، مستشرقون استعماريون، وتلامذة وأعوان لهم وسائرون في ركابهم، أو مأخوذون من أبناء العربية، وقد كان تأثير بعضهم أخطر في دعواه من الأجانب ".(1)

إن العامية فقيرة في مفرداتها، متغيرة في رسمها يصنعها الجهل وتستمد وجودها منه، ومع الزمن ستولد أيضا عاميات ينميها الجهل لتحل محلها، فلا يصح أن تكون لغة علم وفن وأدب وفكر وحضارة.

فالغاية من إزالة العربية من الساحة الوطنية واتهامها بالصعوبة والعقم والجمود والتخلف والبدائية، واستبدالها بالعامية ذلك أن المجتمع الجزائري مؤهل للعامية أكثر منه للعربية وهذا بطبيعة الحال نتيجة عوامل استعمارية طويلة عرفتها البلاد .

ففي فكر المستعمر تعتبر العامية التربة الخصبة والمناسبة لزرع بذوره الأولية ... ذلك أن العقلية البسيطة لهذه الشعوب في نظره تكون مهياة لرعاية هذه المبادئ الأولية ليسهل العملية في وقت لاحق من لعب دور أكثر فعالية لترقية وتقوية هذه العامية بالمخزون الاصطلاحي الفرنسي.

هذه نظريات الشعوب الغالبة التي تتخذ من رصيدها الفكري ومخزونها الثقافي الزاد الرئيس في توسيع دائرة المفهوم العام لهذه العامية . وفعلا فإن التأثير الثقافي الفرنسي لا زال باديا ومتداولاً على الألسنة الجزائريين إلى يومنا.

فلهجة المناطق الغربية الجزائرية تتشابه إلى حد بعيد مع مناطق الشرقية المغربية، كما أن لهجة وسط الجزائر غير لهجة الشرق الجزائري، ثم أن لهجة الشريط الساحلي في الجزائر تختلف اختلافاً بيناً عن لهجة أهل الصحراء.

هناك طائفة من الشعب الجزائري الذين تلقوا تعليمهم في بلدان أجنبية أو لكثرة اختلاطهم بغير العرب فغلبت ثقافتهم الأصلية أو فرضت عليهم لغة

المستعمر الغالب، أو لضعف اللغة القومية انتاب أهلها بدونية هذه اللغة ونتج عن هذا كله ظهور طائفة من الجزائريين بمختلف جهات الوطن يظهرون نوعاً من التنصل من لغتهم أو التكر لها والتباهي بمعرفة غيرها من اللغات الأجنبية، واصبحوا يستعملون الألفاظ الأجنبية في تعبيراتهم وأساليبهم بدل الألفاظ العربية المساوية لها، حتى أضحت عامة لدى الناس دون معرفة أهي عربية أم دخيلة.

إن مثل هذا الموقف من اللغة الأم له عواقب خطيرة فجفاء هؤلاء للغتهم القومية قد يقودهم إلى التقليل من شأنها وشأن تراثها وهذا ما قد يؤدي إلى تضائل روح الاعتزاز بهذا التراث وقد تنجر عليه آثار سلبية لدى الأجيال القادمة من المجتمع نفسه حيث تنتقل العدوى إليهم ممن سبقوهم.

إن شعور أبناء المجتمع الواحد بقصور لغتهم القومية أو الجهل بمكانتها وما تملكه من طاقات وإمكانات والعجز عن استخدامها بمرونة ومهارة كثيراً ما يدفع إلى التشبث بلغة أخرى أكثر إغراء، ويشجع على الاعتصام بهذه اللغة على أنها الأنسب والأسهل والأهم وأعلى مستوى وأكبر مكانة وأكثر أهمية وانتشاراً ووجاهة وأجدر بالتقدير والتقليد.

هنا يكثر الاقتراض من هذه اللغة الأجنبية ويكثر التداخل بينها وبين اللغة الأصلية فينشأ ما يعرف بالازدواجية اللغوية أو ما يسمى أحياناً بالثنائية اللغوية وقد ينجم عن هذه الازدواجية مع مرور الزمن انسحاب اللغة الأصلية أمام الغزو اللغوي الجديد أو اضطراب هذه اللغة وتغيرها - وهذا التغير في حد ذاته ليس خطيئة بيد أنه قد يكون في بعض الظروف أمراً غير مرغوب فيه من الناحية الاجتماعية، فالتنوعات الثانوية في النطق

من منطقة إلى أخرى أمور غير مهمة : إن التغيير الذي يحطم الفهم المتبادل في الجماعة يمكن أن يكون موضع إزعاج من الناحيتين الاجتماعية والسياسية : بل يكون ذلك سببا لاضطراب الفرد نفسه من الناحية الفكرية والحضارية، إذ لا يصبح هناك توحيد أو اتفاق بين لغة هذا الفرد التي تغيرت أو بالأحرى تشوهت وبين لغة عامة الناس.

إن مثل هذا الاختلاف والاختلاط اللغوي من شأنه أن يجعل الفرد في صراع نفسي وثقافي وحضاري دائم : لا يدري إلى أي شعب ينتمي ولا إلى أي ثقافة يرجع كما انه يكون حائرا بين قيم وثقافة اللغة الأولى وقيم وثقافة اللغة الثانية المتبناة - يختار في الصواب والخطأ والحلال والحرام والمقبول وغير المقبول والجائز وغير الجائز والحسن والقبيح : وهكذا يصبح في ثنائية ثقافية وحضارية محيرة.

وإن كان الإنسان ضعيفا في لغته الرسمية قليل التحصيل من مفرداتها وصيغها وتراكيبها فإن هذا الضعف يزداد طغيانا عند استعماله لغة أجنبية

معينة في مجتمعه وفي حياته العامة سواء كان ذلك ناتجا عن علاقات ثقافية أو اقتصادية أو تجارية كما هو الحال في الكثير من الدول العربية سواء المشرقية منها أو المغربية...

الازدواجية في اللسان بالجزائر

إن ازدواجية اللسان تطغى بشكل رهيب على الاستعمال اللغوي في المجتمع الجزائري، وهي تعني بالضرورة وجود لغتين تتمتعان بقدر متساو من الانتشار والاعتراف، وقبل أن نتعرض إلى اختلاف اللهجات وإلى اختلاف في استعمال اللغات ينبغي التطرق إلى حقائق عملية نجملها في ما يلي:

1- من غير الممكن أن نجد جماعة لغوية باعتبارها تمثل لغة نقية تتكلم بطريقة متشابهة في جميع أنماط الكلام، ذلك أن الحالة المثالية في الجماعة اللغوية هي أن يؤدي جميع الناطقين بلغة واحدة مخارج أصواتها أداء موحدًا وأن يلتزموا ببناء كلماتها ودلالاتها بطريقة واحدة، لكن التساوي اللغوي بين أفراد الجماعة اللغوية يشكل الاستثناء لا القاعدة.

2- هناك مجموعات كثيرة من أفراد البشر ممن ينتمون إلى مجموعتين لغويتين أو أكثر، فقد يستعملون لغات مختلفة بحسب اختلاف لغة الأفراد الذين يخاطبونهم، ومن ينتمي إلى مجموعة لغوية واحدة لا يندر أن يفهم عدة لغات سواء كان ذلك في صورتها المنطوقة أو المكتوبة.

3- قد يستعمل معظم الناس أشكالًا وأنماطًا مختلفة ومتنوعة للغة ذاتها ومن لا يستخدم هذا النوع من النمط في الاستعمال الفعلي فإنه يفهم ذلك في العادة بدون أدنى صعوبة طالما أنه يسمعه كثيرًا.

فالعالم منقسم إلى مجموعات سياسية وكل مجموعة تسودها لغة معينة
توظف في الاستعمالات الرسمية، وقد يسود الاعتقاد أن أفراد الأمة
الواحدة يتكلمون لغة واحدة ويشكلون جماعة لغوية موحدة ومتجانسة.

وبالرغم من وجود تفاوت لغوي داخل الجماعة اللغوية الواحدة لكن ما
يلفت الانتباه أن الفروق اللغوية المتفاوتة بين أفراد ينتمون إلى مناطق
مختلفة من القطر الجزائري مثلا لا تؤثر في القدرة على التفاهم، فكل
واحد يعتقد أنه يتكلم كالآخرين باعتبار أن الجميع يتكلمون لغة واحدة.

ومن هنا نستطيع القول أن لكل أمة أو جماعة لغوية لغتين على الأقل
إحدهما يستخدمها العامة في شؤونهم ومعاملتهم ومخاطباتهم وهي ما
يصطاح عليها بالعامية التي لا تخضع لأية قوانين لغوية ضابطة لأنها
تلقائية متغيرة بتغير الظروف والأجيال، وهي منحدره من اللغات الحية
الراقية وتمثل تطورا طبيعيا نحو الأفضل والأسهل.

والأخرى يتحلى بها الخاصة من أعضاء الأمة الواحدة تستعمل في
المحافل والمراسم وهي لغة التأليف والتدريس، وهذا ما يسميه علماء
اللغة بظاهرة الازدواج اللغوي.

"والنتائج المترتبة على هذه الازدواجية في اللغة بعيدة الأثر، فإننا في
حياتنا اليومية نتكلم لغة سلسلة سيالة تتميز بفقدان الإعراب وبغنى
الحروف المصوتة التي تضيف على النطق بها مساحة تحالف النطق
بالفصحى، وكذلك تتميز بمرونة في التركيب وبسهولة في التعبير، ولكن
في حياتنا الرسمية في التعليم والقراءة والكتابة وفي المواقف الرسمية

علينا أن نلبس شخصية لغوية ثانية ولا نشك في أن ازدواجية اللغة تعوق
الفكر " (1)

إن هذه الثنائية التي نلاحظها في حياتنا اليومية بين الفصحى والعامية هي
مسألة طبيعية وظاهرة موجودة في أغلب اللغات العالمية الحية، والعامية
لم تبتعد عن الفصحى ابتعاداً ملحوظاً فهي مرتبطة بها وليست مستقلة
عنها، تبقى محتفظة في بنيتها العميقة بمعدنها العربي الأصيل والحقيقة
كما يقول الدكتور بن نعمان " أن ما درجنا عن تسميته باللهجة العامية لا
يمثل كيانا قائماً بذاته له قواعده وأركانه المعلومة وإنما يمثل إهمالاً
لقواعد اللغة الفصحى، وابتعاداً عن أصولها ليس إلا. " (2)

إن الشيء الذي جعل الجماعة اللغوية المتقفة تحتقر إلى حد بعيد العامية
وهو وجود كل من الدخيل والهجين فنعتقد بذلك أنها كلها فاسدة، فلا
ينبغي الاستهانة بالمادة اللغوية التي تتميز بها العامية لكونها محلولة في
صورتها عن الأصل الفصيح، فكل ما هو مشترك وأصيل يعد من

1-اللهجات وأسلوب دراستها ص : 66

2-التعريب بين المبتدأ والتطبيق ص36

التراث اللغوي الذي يجب الاحتفاظ به بل الحث على استعماله، شريطة أن يوافق النطق الفصيح ويتفق مع مقاييس الفصحى ومعاييرها.

هناك أسباب عديدة ومتنوعة دفعت بالعامية الجزائرية إلى الاقتباس من الفرنسية بدءا بالازدواج اللغوي، كما أن اللغة الفرنسية لا تزال تحتفظ بمنزلتها في الإدارة ومطالعة الصحف اليومية والمجلات وفي الحياة العامة.

يتوهم الكثير من الناس أن التكلم بالفرنسية سلوك حضري يدل على التمدن والتقدم بينما التكلم بالعربية وحدها دليل على التأخر والتخلف والأدهى من هذا أن البعض يعتبرون أنفسهم مهانون إذا خاطبهم أحد الناس بالعربية، هذا التطور السقيم للغة يزداد حدة وتوسعا في المدن الكبرى، وهذا ما يرجع بنا إلى عهد فساد اللغة واستفحال خطر اللحن بدءا بالحواضر حيث اختلاط الأجناس، بينما ظلت البوادي في مناعة تامة نظرا لعدة عوامل، وعندما أراد الغيورون على لغة الكتاب المقدس إنقاذها من خطر الفساد اتخذوا من البوادي مصدرا أساسيا لإقامة حصن قوي يجنب العربية الفصحى كل أنواع المخاطر التي كادت أن تعصف بها.

فاستعمال العامية بين أفراد المجتمع الواحد أقل ضررا من استعمال لغة أجنبية واتخاذها لغة تخاطب وتفاهم بين أفراد مجتمع ينتمون إلى مجموعة لغوية مغايرة تماما.

المثل الشعبي وعلاقته بالمثل العربي

نقد تباينت تعريفات الباحثين بالنسبة للأمثال الشعبية، واختلفت وتعددت آراؤهم لمفهومها، ويرجع هذا الاختلاف إلى تباين وجهة نظر هؤلاء المهتمين بدراسة الفنون الشعبية بصورة عامة والأدب الشعبي على وجه الخصوص.

والأمثال مرآة تنعكس عليها عادات الشعوب وسلوكها وأخلاقها وتقاليدها، وهي أيضا مرآة لتجارب الشعب وبلاءه في الأيام والأحداث والحياة، والمثل الشعبي أوضح صورة لتفاعل الشعب مع البيئة التي يعيش فيها ويقود الباحث إلى الغوص أكثر في الأعماق الروحية للشعوب ويكشف عن مستوى تفكيرها وأحاسيسها عن ممارستها النفسية والاجتماعية والثقافية الكامنة منها والظاهرة لمن يريد دراسة المجتمع، أو اللغة أو العادات الشعبية عند أمة من الأمم فهي معين لا ينضب. (1) وهو إلى جانب ذلك صورة لغوية بلاغية كاشفة للمسار الفلسفي الشعبي حيث يرسم بصدق تصوره للواقع ويترجم رغباته المعيشية. وقد وصفها صاحب العقد الفريد بأنها ((وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب، وقدمتها العجم، ونطق بها في

1-كتاب الأمثال ص 5

كل زمان، وعلى كل لسان، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها ولا عمّ عمومها، حتى قيل : أيسر من مثل ... وقد ضرب الله عزّ وجلّ الأمثال في كتابه وضربها رسول الله صلى الله عليه وسلّم في كلامه، قال الله عزّ وجلّ :

يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له (وقال : (وضرب الله مثلا رجلين) ومثل هذا كثير في آي القرآن .)) (1)

إن الدارس والمتصفح للأدب العربي عبر عصوره يستخلص أن المثل نتاج قريحة الجماعة و عصاره خبرتها و تجاربها في الحياة فهو مرآة تعكس بصدق وأمانة قيم المجتمع و تقاليده الخلقية و أعرافه المعيشية. و إذا تأملنا تراث أية أمة ذات حضارة وجدنا فيما بقي منه عدة أمثال أو حكم أو أقوال ماثورة تحمل في ثناياها قيمها و تقاليدها و نمط حياتها و حرص افراد المجتمع على تداولها، يدل على أن لها وظيفة معينة تؤديها و حيزا محددًا تحتله في حياة الناس اليومية و في مجرى أحاديثهم .

وعنيت العرب بالأمثال أشد عناية، فكانت وشي كلامها وزخرف خطبها ومحافلها، وتداولتها في رسائلها ومحاوراتها فأصابت بها مفصل القول ولباب المعنى.

ولما تعددت معاني الأمثال الشعبية و تعددت آراء الباحثين في مفهومها بحيث يصعب الاتفاق على مفهوم واحد و ذلك راجع إلى تأرجحها بين العامي و الشعبي و بين اللغوي و الاصطلاحي و لذلك سنكتفي بعرض الأهم من تلك الوجوهات و الآراء التي تدخل في سياق بحثنا.

المثل بفتح الميم و الثاء في الأصل بمعنى النظر و قد نقل منه إلى القول السائر " أي الفاشي الممثل مضربه بمورده " (1) و قد جاء في لسان العرب ما يلي " هذا مثله و مثله بكسر الميم و سكون الثاء في الأول و فتحهما في الثاني أي شبهه و شبهه بمعنى " (2)

و جاء في مختار الصحاح أن لفظ المثل يعني الشبه إذ يقال " هذا مثله و مثله كما يقال شبهه و شبهه و المثل ما يضرب به من الأمثال و مثل الشيء أيضا بفتحيتين صفته " (3)

و جاء أيضا في القاموس أن المثل " جمع أمثال القول السائر بين الناس المنقل ممن ورد فيه إلى مشابهه بدون تغييره وهو الشبه و النظر " (4) من هذه التعاريف يتجلى بوضوح لا اختلاف بينهما كما نلاحظ أن التعريف نفسه جاء في كتاب فجر الإسلام لأحمد أمين كما قال ' إن علماء اللغة

1-كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي - ج4 - ص : 134

2-لسان العرب - مادة مثل - ابن منظور

3-مختار الصحاح ص : 614

4-القاموس الجديد ص : 1004

العربية يقولون إن كلمة المثل مأخوذة من قولك هذا مثل الشيء ومثله كما تقول شبهه و شبهه لان الأصل فيه التشبيه ثم جعلت كل حكمة سائرة مثلا " (1)

و قد نقل الميداني صاحب كتاب الامثال عن المبرد " ان المثل قول سائر يشبه به حال الثاني بالاول ماخوذ من المثل و الاصل فيه التشبيه فقولهم مثل بين يديه أي وقف مشبها الصورة المنتصبة و فلان أمثل من فلان أشبه بماله من الفضل و المثل القصاص تشبيه حال المقتص منه بحال الاول فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الاول كقول كعب بن زهير كانت مواعيد عرقوب لها مثلا و مواعيدها الا الابطيل " (2)

اما ابن رشيق القيرواني فيقول " المثل في كلام العرب كثير نظما و نثرا و أفضله أوجزه، و أحكمه أصدقه " (3)

والمثل في نظر ابن السكيت هو (لفظ يخالف لفظ المضروب له و يوافق معنى ذلك اللفظ، معناه شبهوه بالمثل الذي يعمل عليه غيره) (4)

أما أبو عبيد القاسم بن سلام فيرى أن (الأمثال من حكمة العرب في

1-فجر الإسلام ص : 60

2-مجمع الأمثال - للميداني - ج 1 - ص : 13

3-كتاب العمدة ص : 479

4-سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجية النفسية ص:335

الجاهلية وفي الإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في النطق بكناية بغير تقديم فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال :

إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وجسن التشبيه (1)

وقال الزمخشري في صفة الأمثال: (ثم هي قصارى فصاحة العرب الغرباء، وجوامع كلمها، ونوادير حكمها ن وبيضة منطقتها، وزبدة حوارها وبلاغتها ... حيث أوجزت اللفظ فأشبعت المعنى، وقصرت العبارات فأطالت المغزى، ولوحت فأغرقت في التصريح، وكنت فاغنت عن الإقصاص . (2)

أما التعريفات المعاصرة التي شكلت موضوع اهتمامات النقاد وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا فقد تميزت بتميز الرؤية المعرفية والعلمية المتوخاة من وراء هذا الاهتمام ومن أهم هذه التعريفات نذكر على سبيل المثال لا الحصر تعريف الدكتورة نبيلة إبراهيم حيث تقول : المثل قول قصير مشبع بالذكاء والحكمة، ولسنا نبالغ إذا قلنا أن كل مثل يصلح أن يكون موضوعا لعمل أدبي كبير، إذا استطاع الكاتب أو الباحث أن يتخذ من المثل بداية يعيش تجربة المثل ويعبر عنها تعبيرا تحايليا دقيقا (3)

1-الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى ج 1 ص: 29

2-فجر الإسلام ص : 60

3-سمات الشخصية الجزائرية ص : 336

ويذهب أحمد أمين إلى تعريف المثل بقوله : (إن الأمثال ليست إلا جملا قصيرة نتيجة تجارب طويلة، وهي عندما تقال لا تكون مثلا، وإنما يجعلها مثلا شيوعها بعد، لموافقتها لذوق الجمهور، ويغلب عندئذ أن يكون قد نسي قائلوها، والمثل لا يستدعي الإحاطة بالعالم وشؤونه ولا يتطلب خيالا واسعا ولا بحثا عميقا، إنما يتطلب تجربة محلية في شأن من شؤون الحياة (1)

في حين يعرف محمد المرزوقي المثل قائلا : (الأمثال العامية عبارة عن حكم جمعت في تعابير تمتاز بالإيجاز والبلاغة والذوق، وهي تدخل في جميع مظاهر الحياة، فهناك أمثال تخص التعامل اليومي بين الناس وأخرى تخص التربية والأخلاق التي تواضع عليها المجتمع وغيرها تخص الدين أو المجتمع زمن بلاغتها وحسن صوغها يسهل على الإنسان حفظها، وتتعلق بالذهن بمجرد سماعها لأنها تدل على حقيقة من حقائق الحياة الثابتة التي لا تتغير، فهي صالحة لكل زمن ومكان لأنها نتيجة تجارب اجتماعية أو فردية، وهي خلاصة حضارة المجتمع الإنساني أي إنها تكاد تكون حقائق إنسانية شاملة (2)

وقد تعددت التعاريف الاصطلاحية الحديثة للمثل الشعبي، العربية منها و الأجنبية بتعدد الدارسين و اختلفت باختلاف مشارب هؤلاء المهتمين

1-المرجع نفسه ص : 335

2-الأدب الشعبي ص : 33

بسبر أغوار الفنون الشعبية عامة و فن الأدب الشعبي خاصة في معرفة الشخصية القومية للمجتمعات الإنسانية و ذلك لكون تلك الفنون الشعبية أصدق تعبيراً و أكثر عفوية و تلقائية يقول أحمد بن نعمان " رغم الوضوح الظاهر لمفهوم المثل الشعبي في أذهان الناس إلا أن إيجاد تعريف جامع مانع له ظل من الصعوبة بمكان، لتداخل ألفاظ و عناصر التعريف و انسحابها على أنواع أخرى من فنون الأدب كالقول المأثور و الغز و النكتة و ما إلى ذلك من أشكال التعبير المستغرقة في دائرة الأدب الشعبي" (1)

غير أنه يجب لفت الانتباه إلى الاختلاف في المصطلح نفسه حيث هناك فئة تطلقه على الأمثال الشعبية و فئة أخرى تطلقه على الأمثال العامية يقول عبد الحميد يونس عن الاختلاف الموجود بين الأدب العامي و الأدب الشعبي " الثقافة الجماهيرية بسفح الهرم، و عند القمة يوجد الأدب الرسمي، و عند القاعدة يوجد الأدب العامي، أما الأدب الشعبي فهو ذلك الذي يستطيع أن يتخلص من القمة هابطاً ليملاً السفح كله أو ذلك الذي يستطيع أن يرتقي من القاعدة صاعداً و منتشرًا عن السفح بأكمله " . (2)

من هذا نستخلص أن معنى الشعبية لا ينحصر في المكتوب بالعامية بل أن الأدب الفصيح لا يخلو منه أيضاً خاصة إذا خص الشعب و هذا ما

1-إعلام الموقعين عند رب العالمين - ج1 - ص : 291

2-الأدب الشعبي مفهومه ومضمونه ص 49

عبر عنه احمد أمين حين قال " كم يصل إلينا من لغة العامة إلا بعض الأمثال و لكن أعني أنها تمثل الشعب أجمعه " (1)

ينبغي أن نؤكد على أن المثل الشعبي يكون في أغلب الأحيان نابعا من أفراد الشعب نفسه معبرين عما يجيش في أنفسهم فتصير مثلا سائرا بين الناس فمثلا الأمة الزراعية لها أمثال نابغة من زراعتها و الأمة الصناعية و التجارية نابغة من صناعاتها و تجارتها و هكذا نضف إلى ذلك أن الأمثال ليس لها قائل معلوم فهي تتشكل من مجموعة من الملاحظات يستشهد بها الناس من حادثة معينة فيأتي المثل كعصارة تجارب و يشيع بمرور الزمن . و من هذا المنطلق فضلنا توظيف المثل الشعبي في دراستنا . و مما قيل في تعريف المثل عند المحدثين الغربيين ما ذهب إليه الباحث الألماني ارشر تايلور فيعرفه بأنه " جملة مصقولة محكمة البناء تشيع في ماثورات الناس باعتبارها قولا حكيما و أنه يشير عادة إلى وجهة الحدث أو يلقي حكما على موقف ما، وهو أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية " (2)

في حين يرى فريدريك زايلر أن المثل هو " عبارات متداولة بين الناس تتصف بالتكامل و يغلب عليها الطابع التعليمي و تبدو في شكل فني أكثر

1-فجر الإسلام ص60

2-سمات الشخصية الجزائرية من منظور الانثروبولوجيا ص336

إتقانا من أسلوب الحديث العامي " (1)

يقول الكزاندر هجرتي كراب " يعبر المثل في شكله الأساسي عن حقيقة مألوفة صيغت في أسلوب مختصر سهل حتى يتداوله جمهور واسع من الناس... و الخاصيتان الأساسيتان في المثل هما الطابع التعليمي من حيث الموضوع و الاختصار و التركيز من حيث الأسلوب " (2)

على الرغم من صعوبة المصطلح و تعدد مفاهيمه ومعانيه إلا أنه توصلنا إلى تحديد معناه بصورة عامة فخاصية المثل الشعبي تعبر عما تكنه الشعوب في أعماق أنفسها وهو من خصائص لهجاتها إذ بمجرد الإطلاع عليه وعلى تركيبه و على مغزاه فإننا نعرف أسلوب تلك اللهجة و طريقة التفكير فيها و لكل شعب موروث ثقافي يفخر به.

و للمثل في الكلام مكانة هامة ووظيفة لا تنكر فائدتها فله تأثير عجيب في الأذان و تقرير غريب لمعانيها في النفوس يقول ابن القيم الجوزية " ففي الأمثال من تأنس النفس و سرعة قبولها و انقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد و لا ينكره و كلما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً فالأمثال شواهد المعنى المراد وهي خاصية العقل و لبه وثمرته" (3)

1-المرجع نفسه ص335

2-علم الفلكلور ص235

3-إعلام الموقعين عند رب العالمين ص291

لا تكاد تخلو أمة أو شعب من الشعوب عبر التاريخ والأجيال من ثقافة خاصة تتمثل في إنتاج أمثال شعبية تتميز بها انطلاقاً من العادات والتقاليد والتجارب والحكمة ونظراً لعدة عوامل بشرية وإنسانية احتكاكية ببقية الشعوب الأخرى تنتشر هذه الأمثال وتتأقلمها الأجيال وتصبح سائرة على السنة البشر.

وقد نجد هذا النوع من الأمثال تناقلته وأخذته حتى الكتب المقدسة واتخذت منه عبرة ومثلاً لمن كان يعتبر ويمتثل، وجاءت الآيات القرآنية حافلة بهذا النوع من الأساليب، ولم يفتر ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم أن اتخذ منه هو الآخر سبيلاً إلى تذكير وتعليم البشرية.

المثل في القرآن الكريم

ذكر المثل في القرآن الكريم وهو أشرف الكتب على الإطلاق، نزلت آياته على العرب والعجم، وقد أولي الأولون اهتماما بالغاً بهذه الأمثال ودونها في مؤلفات حين تيسرت لهم الكتابة وسهلت وسائلها ومما جاء من هذه الأمثال قوله عز وجل : " مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلومات لا يبصرون . " و قوله : ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء."

اشتمل القرآن الكريم على كلمة مثل في معظم سورته وهي تختلف اختلافاً طفيفاً في المادة من معنى إلى معنى فهي تفيد المشابهة والمساواة والظهور والحضور والتأثير والتوضيح والتصوير والإنصاب...

والأمثال في القرآن الكريم على ضربين، ظاهرة وكامنة. الأمثال الظاهرة في القرآن تمثل تشبيه شيء بأخر، أو تمثيل صورة غائبة بصورة مشاهدة محسوسة يسهل تصورهما وإدراكها، مثل: ((إنما أنا بشر مثلكم))...

وقد تحدث العلماء عن هذه الأمثال والصور، وأوضحوا ما فيها من الإعجاز والبيان، ويلحظ أن المثل القرآني في هذه الآيات يعني تشبيه شيء بأخر، وهو بذلك يختلف عن المثل في الاستعمال الاصطلاحي الذي

هو القول المشهور والعبارة المرسلة التي تحمل معنى وعبرة، وتشير إلى
حادثة أو قصة.

والأمثال الكامنة في القرآن الكريم هي عبارة عن ورود أقوال وأمثال
مشهورة توافق في معناها بعض الآيات القرآنية فالأعراب قالت : (إن
الحديد بالحديد يفلح) فهو قريب من قوله تعالى : (وجزاء سيئة سيئة
مثلها) وقالت كذلك (من نكح الحسنة يعط مهرها) يوافق قوله تعالى :
لن تتالوا البرّ حتى تتفقوا ممّا تحبّون) وأطلق على هذا النوع من
الأمثال (بالكامنة).

وقد حصرنا جميع الآيات القرآنية المشتملة على الأمثال الظاهرة والتي
تحمل كلمة (مثل) وما يشتق منها وهي كالتالي :

- 1- ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثالات وإن ربك
لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب . (الرعد الآية 6)
- 2-ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك
يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس
فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال . (الرعد 17)
- 3-لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لأفقدوا به أولئك لهم سوء
الحساب وما يأويهم جهنم وبئس المهاد . (الرعد 18)
- 4-مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها
تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار . (الرعد 35)
- 5-فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين . (الزخرف 8)
- 6-وإذا بشرا أحدهم بما ضرب الرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم
 . (الزخرف 17)

- 7- فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين . (الزخرف 56)
- 8- ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون . (الزخرف 57)
- 9- إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل . (الزخرف 59)
- 10- فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه ونحن ولا أنت
مانا سوى . (طه 58)
- 11- يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المتلى .
(طه 63)
- 12- نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثالهم طريقة إن لبثتم إلا يوما .
(طه 104)
- 13- قل إنما أنا بشر مثلكم افتأتون السحر وأنتم تبصرون . (الأنبياء 3)
- 14- إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون . (الأنبياء
52)
- 15- وأتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرك للعابدين . (الأنبياء
84)
- 16- فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . (مريم 17)
- مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم
17- وتركهم في ظلومات لا يبصرون . (البقرة 17)
- وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا
18- شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . (البقرة 23)
- 19- فأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا 20-
ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين . (البقرة 26)
- 21- ما تنسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله له

ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير . (البقرة 106)

22- كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . (البقرة الآية 113)

23- كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون . (البقرة 118)

24- فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكم الله وهو السميع العليم . (البقرة 137)

25- هو مثل الذين كفروا . كمثل الذين ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون . (البقرة 171)

26- فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين . (البقرة 194)

27- أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستكم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه زمتى نصر الله ألا إن نصر الله قريب . (البقرة 214)

28- هولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم . (البقرة الآية 228)

29- هو على الوارث مثل ذلك فإن أراد فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن اردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم وإذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير . (البقرة الآية 233)

30-مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم .
(البقرة 261)

31-ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاه الله . وتثبيتا من أنفسهم . كمثل حبة بريرة أصابها وابل فأنت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير . (البقرة 265)
32- ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . (البقرة الآية 275)

33-فمثلته كصفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا . (البقرة 294)
34-يرونها مثلهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار . (آل عمران 13)
35-إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . (آل عمران 59)

36-قل إن الهدى هدى الله أن يوتي أحدكم مثل ما أوتيتم أويحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم . (آل عمران 73)

37-مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا. كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون .
(آل عمران 117)

38-إن يمسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين .
(آل عمران 140)

39- أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثلها فلم قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وإن الله على كل شيء قدير . (آل عمران 165)

40- يوصيكم الله في أولادكم الذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له أخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آبؤكم وأبنؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما . (النساء 11)

41- إنكم إذا متلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا . (النساء 140)

42- وإن كانوا أخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم . (النساء 176)

43- قال يا ويلتي اعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين . (المائدة 31)

44- لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم . (المائدة 36)

45- ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام . (المائدة 95)

46- وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه . إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون . (الأنعام 38)

47-ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم وأخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون.
(الأنعام 93)

48-قالوا لن نؤمن حتى تؤتي مثل ما أوتي رسل الله أعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون . (الأنعام 124)

49-من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون . (الأنعام 160)

50-وإذا تتلى عليكم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين . (الأنفال 31)

51-والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . (يونس 27)

52-أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . (يونس 38)

53-فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا أنبي معكم من المنتظرين . (يونس 102)

54-أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . (هود 13)

55-مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون . (هود 24)

56- فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين . (هود 27)

57- لا يجر منكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صلاح وما قوم لوط منكم ببعيد . (هود 89)

58- للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء . ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم . (النحل 60)

59- فلا تضربوا لله الأمثال أن الله يعلم وانتم لا تعلمون . (النحل 74)

60- ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستتوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . (النحل 75)

61- وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ولا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لآيات بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم . (النحل 76)

62- وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . (النحل 112)

63- وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خيرا للصابرين . (النحل 126)

64- انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلا . (الإسراء 48)

65- قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . (الإسراء 88)

66-ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا
كفورا. (الإسراء 89)

67-والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى
الظالمون إلا كفورا . (الإسراء 99)

68-ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بقي عليه لينصرنه الله إن الله
لعفو غفور . (الحج 60)

69-يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه
ضعف الطالب والمطلوب . (الحج 73)

70-فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي موسى من قبل قالوا
ساحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون . (القصص 48)

71-يا ليت لنا مثل ما أتي قارون إنه لذو حظ عظيم . (القصص 79)
72-ولا ينبئك مثل خبير . (فاطر 14)

73-لمثل هذا فليعمل العاملون . (الصافات 61)

74-وقال الذي آمن يا قوم أي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب .
(غافر 30)

75-مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما
للعباد. (غافر 31)

76-من عمل سيئة فلا يجزي إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى
وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب . (غافر
40)

77-قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إليه واحد فاستقيموا إليه
واستغفروه وويل للمشركين . (فصلت 6)

78- فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . (فصلت
13)

79- فورب السماء والأرض أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون . (الذاريات 23)
80- فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون .
(الذاريات 59)

81- فأتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما انفقوا واتقوا الله الذي أنتم به
مؤمنون . (المتحنة 11)

82- قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشرًا مثلكم . (إبراهيم 11)

قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا . (إبراهيم 10)

83- مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح . (إبراهيم
18)

84- ومثل كلمة خبيثة كخبرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض . (إبراهيم
269)

85- ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة . (إبراهيم 23)

86- ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . (إبراهيم 25)

87- وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال . (إبراهيم 45)

88- فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل

عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين .
(المؤمنون 24)

89- ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون .

(المؤمنون 33)

90- ولئن اطعمتم بشرًا مثلكم إنكم إذا لخاسرون . (المؤمنون 34)

91- فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون . (المؤمنون 47)

- 92- قيل قالوا مثل ما قال الأولون . (المؤمنون 81)
- 93- ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين .
(الشعراء 154)
- 94- وما أنت إلا بشر مثلنا ونظنك لمن الكاذبين . (الشعراء 186)
- 95- واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون . (يس 13)
- 96- قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون . (يس 15)
- 97- وخلقناكم من مثله ما يركبون . (يس 42)
- 98- أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم . (يس 81)
- 99- وإن يأتيهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون . (الأعراف 169)
- 100- فمثلته كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . (الأعراف 176)
- 101- ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون .
(الأعراف 177)
- 102- إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين . (الأعراف 194)
- 103- وأضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرجا . (الكهف 32)

104- لنفذ البحر قبل أن تتفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا . (الكهف
(109)

105- يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين . (النور 17)

106- ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم . (النور 35)

107- ولقد ضربنا للناس في القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون . (الزمر
(27)

108- ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون . ورجلا سلما لرجل
هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . (الزمر 29)

109- ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من
سوء العذاب يوم القيامة وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون . (الزمر
(47)

110- ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير . (الشورى 11)

111- وجزاء سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب
الظالمين . (الشورى 40)

112- وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فأمّن واستكبرتم إن الله لا
يهدي القوم الظالمين . (الأحقاف 10)

113- فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين . (الطور 34)

114- أرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد . (الفجر 8)

ووهبنا له وأهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب . (ص
(43)

115- الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينتزل الأمر بينهن
لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما .
(الطلاق 12)

116- انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا .
(الفرقان 9)

117- ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا . (الفرقان 33)

118- وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا . (الفرقان 39)

119- مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا

وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . (العنكبوت 41)

120- وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون . (العنكبوت
43)

121- وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .
(الروم 27)

122- ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتم بأية ليقولن
الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون . (الروم 58)

123- كذلك يضرب الله للناس أمثالهم . (محمد 3)

124- دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها . (محمد 10)

125- مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من
لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل
مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في
النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم . (محمد 15)

126- وأن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم . (محمد 38)

كمثل غيث أعجب الكافر نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي
الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع
الغرور . (الحديد 20)

127- كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم .
(الحشر 15)

128- كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين . (الحشر 16)

129- وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون . (الحشر 21)

130- مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله . (الجمعة 5)

131- ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين . (التحريم 10)

132- وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين .
(التحريم 11)

133- ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء

وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر . (المدثر 31)

134- ذلك مثلهم في التوراة . ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فابتوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما . (الفتح 29)

135- على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون . (الواقعة 61)

136- وحوور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون . (الواقعة 23)

137- وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا . (الإنسان 28)

138- يعملون له ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات عملوا آل داوود شكرا وقيل من عبادي الشكور . (سبأ 13)

وبعد أن فرغنا من حصر جميع الآيات القرآنية المشتملة على كلمة مثل
نفعل نفس الشيء فيما يخص الأحاديث النبوية الشريفة.

المثل في الحديث النبوي الشريف

كان الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لسانا وأعلمهم بيانا مما
جعل كلامه يرقى إلى المنزلة السامية من البلاغة والفصاحة والبيان ولم
تك تخلو أحاديثه من الأمثال فقد تناقلها الناس وجرت على ألسنتهم وفتنوا
بها، فكما ضرب الله تعالى لعباده الأمثال ضرب الرسول لأمته الأمثال
فانتشرت وذيعت وسارت في البلاد تتداولها القبائل والشعوب لحكمة
أرادها لها .

واهتم الأولون بهذا اللون من الكلام لما له من مكانة هامة وفائدة كبيرة
وتأثير عجيب في الأذان وتقرير غريب لمعانيها في الأذهان، فأفردوا لها
مؤلفات عديدة نخص بالذكر منها : كتاب أمثال الحديث المروية عن
الرسول صلى الله عليه وسلم للهمموزي، وكتاب الأمثال السائرة عن
الرسول صلى الله عليه وسلم للحراني المتوفى 318هـ وكتاب الأمثال
لمحمد بن جعفر المتوفى 369 هـ.

وحاولنا حصر جميع الأحاديث النبوية الشريفة التي جاءت عبارة عن
أمثال ضربها الرسول الكريم للناس لتقريب المراد وإيصاله إلى ذهن
السامع لتأنس النفس فتتقد انقيادا لما ضرب لها، ((فالأمثال شواهد
المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته))

وقد حددناها في مائة وإحدى وأربعين حديثا وهي كالتالي:

- 1- إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى.
- 2- إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم.
- 3- من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو سبيل الله.
- 4- إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار.
- 5- المرء مع من أحب.
- 6- لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان.
- 7- القرآن حجة لك أو عليك.
- 8- كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها.
- 9- ما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر.
- 10- إنما يرحم الله من عباده الرحماء.
- 11- إنما الصبر عند الصدمة الأولى.
- 12- من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.
- 13- إن عظم الجزاء مع عظم البلاء.
- 14- ليس الشديد بالصرعة.
- 15- الجنة تحت ظلل السيوف.
- 16- إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة.
- 17- دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.
- 18- الصدق طمأنينة والكذب ريبة.
- 19- رفعت الأقلام وجفت الصحف.
- 20- تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة.

- 21- الكيس من دان نفسه.
- 22- من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.
- 23- سبقك بها عكاشة.
- 24- قل آمنت بالله ثم استقم.
- 25- نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ.
- 26- المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.
- 27- أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز.
- 28- حجت النار بالشهوات، وحجت الجنة بالمكاره.
- 29- يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله.
- 30- الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله.
- 31- خير الناس من طال عمره وحسن عمله.
- 32- يبعث كل عبد على ما مات عيه.
- 33- لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق.
- 34- في كل كبد رطبة أجر.
- 35- كل معروف صدقة.
- 36- هلك المنتطعون.
- 37- إن الدين يسر ولن يشادّ الدين إلا غلبه.
- 38- إن لجسدك عليك حقا.
- 39- إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة.
- 40- كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي.
- 41- إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث.
- 42- من دل على خير فله مثل أجر فاعله.
- 43- لأن يهدي بك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم.

- 44- الدين النصيحة.
- 45- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.
- 46- أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر.
- 47- الظلم ظلمات يوم القيامة.
- 48- إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.
- 49- اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين حجاب.
- 50- المسلم المسلمون من لسانه ويده.
- 51- المهاجر من هجر ما نهى الله عنه.
- 52- لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما.
- 53- المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا.
- 54- من لا يرحم لا يرحم.
- 55- من لا يرحم الناس لا يرحمه الله.
- 56- من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة.
- 57- كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه.
- 58- انصر أخاك ظالما أو مظلوما.
- 59- لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة.
- 60- كل أمتي معافى إلا المهاجرين.
- 61- الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.
- 62- اشفعوا تؤجروا.
- 63- الكلمة الطيبة صدقة.
- 64- الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله.
- 65- ببس الطعام طعام الوليمة.
- 66- استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع.

- 90- طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا.
- 91- ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه.
- 92- ليس الغني عن كثرة الغرض، ولكن الغني غني النفس.
- 93- إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه.
- 94- من يستغفب يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله.
- 95- ما أكل أحد طعاما قط خيرا من يأكل من عمل يديه.
- 96- إن مال أحدكم ما قدم، ومال وارثه ما أخر.
- 97- ما نقصى مال من صدقة.
- 98- ما زاد الله بعفو إلا عزا.
- 99- ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عزّ وجلّ.
- 100- ما فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر.
- 101- إنما الدنيا لأربعة نفر.
- 102- اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.
- 103- كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.
- 104- أكثروا من ذكر هادم اللذات.
- 105- إن الحلال بين، وإن الحرام بين.
- 106- إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله : ألا وهي القلب.
- 107- البرّ حسن الخلق.
- 108- البرّ ما اطمأنت إليه النفس.
- 109- الإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر.
- 110- دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.
- 111- تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد.
- 112- إن الله جميل يحب الجمال.

- 113- الكبر بطر الحق و غمط الناس.
- 114- إن من خياركم أحسنكم أخلاقا.
- 115- أكمل المؤمنون إيماننا أحسنهم خلقا.
- 116- إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله.
- 117- إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه.
- 118- من يحرم الرفق يحرم الخير كله.
- 119- إن الله كتب الإحسان على كل شيء.
- 120- بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معثرين.
- 121- ليس الشديد بالصرعة.
- 122- إن المقسطين عند الله على منابر من نور.
- 123- الحياء لا يأتي إلا بخير.
- 124- لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى أخاك بوجه طليق.
- 125- إياك وإسبال الأزار فإنها من المخيلة.
- 126- اعملوا فكل ميسر لما خلق له.
- 127- إنما يرحم الله من عباده الرحماء.
- 128- السفر قطعة من العذاب.
- 129- إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف.
- 130- ما أغبرت قدم عبد في سبيل الله فتمسه النار.
- 131- فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم.
- 132- إن العلماء ورثة الأنبياء.
- 133- إياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.
- 134- البر حسن الخلق.
- 135- الاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس.

- 136- الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة.
- 137- من قتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.
- 138- الحرب خدعة.
- 139- الدعاء هو العبادة.
- 140- لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.
- 141- إذا لم تستح فاصنع ما شئت.
- هذا ماتوصلنا إلى حصره وجمعه من الأمثال التي حفلت الأحاديث النبوية الشريفة وكذا الآيات القرآنية.

- الدراسة الجمالية في الأمثال الشعبية -

قسّم علماء اللغة الجملة إلى ثلاثة أنواع وقد تناولها من ثلاثة منطلقات:

1- المنطلق الوظيفي العام: فقالوا أن الكلام طلب وخبر وإنشاء وأضاف بعضهم وتعددت الأنواع إلا أن حصرها ابن هشام في الخبر والإنشاء إذ كل الأنواع ترجع إليهما، فقالوا الجملة الخبرية وقالوا الجملة الإنشائية وهذا المنطلق لا يمكن أن يغفل في الدرس اللغوي ولا سيما في دراسة الجملة العربية على أنها بنية نحوية تقوم على مبدأ توفر الإسناد فيها ومهمتها في ذلك أن تستخدم كوحدة للاتصال بمعنى أنها تصير كلاماً يتمتع بمعنى تام يحسن السكوت عليه، وقد تتنوع العلاقة الإسنادية ومن خلال هذا التنوع تبرز الوظيفة للإسناد التي تسم الجملة بسمة وظيفية كأن تكون جهة الإسناد الإثبات أو النفي أو النهي أو التأكيد أو الاستفهام... الخ. (1)

2- المنطلق التركيبي وقد اعتمد فيه النحويون على ما تبدأ به الجملة من مفردات فإن هي بدأت بفعل فهي جملة فعلية، وإن بدأت باسم فهي جملة اسمية، وإن بدأت بظرف سميت جملة ظرفية، وإن بدأت بأداة شرط سميت جملة شرطية، لكن هذا التقسيم الثنائي أو الثلاثي أو الرباعي لم يكن المقصود بالدرس النحوي، فامتد نظر بعض النحويين إلى نطاق أكثر اتساعاً بالإضافة إلى التقسيم السابق قسموا الجملة إلى صغرى وكبرى.

وقالوا: الكبرى هي الجملة الاسمية التي خبرها جملة نحو: "زيد قام أبوه"

1- الجملة العربية دراسة نحوية ص 149

والصغرى هي المبنية على المبتدأ كالجملـة المخبر بها في (زيد أبوه قائم) وهناك من ينحو منحى هذا الاتجاه يرى أن الجملة ثلاثة أنواع : الجملة الأصلية وهي تقتصر على ركني الإسناد، الجملة الكبرى وهي ما تركيب من مبتدأ خبره جملة اسمية أو فعلية، والجملة الصغرى وهي الجملة الاسمية أو الفعلية إذا وقعت إحداهما خبرا لمبتدأ . (1)

وقسموا الجملة الكبرى إلى جملة ذات وجهين وجملة ذات وجه فذات الوجهين هي اسمية الصدر فعلية العجز نحو: " زيد أبوه قائم "، أو فعلية الصدر اسمية العجز مثل : " ظننت زيدا أبوه قائم " وذات الوجه هي ما كانت اسمية الصدر والعجز مثل " زيد أبوه قائم "، أو فعلية الصدر والعجز مثل " ظننت زيدا يقوم أبوه. "

ومن خلال هذا التقسيم تتكون الأنماط الآتية:

- 1-الجملة الاسمية
- 2-الجملة الفعلية
- 3- الجملة الظرفية
- 4-الجملة الشرطية
- 5- الجملة الكبرى ذات الوجهين
- 6- الجملة الكبرى ذات الوجه. (2)

3-منطلق الاحتمالات الموقعية : كأن يكون الجملة في موقع الخبر أو المفعول به أو النعت أو الحال أو الصلة أو المضاف أو المعطوف أو الابتداء أو لإستثناء ومن ثم تحدثوا عن الجمل التي لها محل من الإعراب

1-الجملة العربية ص -149

2-المرجع نفسه ص 152

من الاسم كما لم يكن الاسم الأول بد من الآخر في الابتداء (1)
إن سيؤويه قد تناول موضوع الجملة البسيطة فعلا ولو أنه لم يفصح عن
ذلك صراحة، فعنصر الإسناد ضروري في الجملة البسيطة بحيث لا
يمكن الاستغناء عنه، وهي تدور حول فكرة واحدة وقد جاء ذلك واضحا
فيما ذكر في باب الإسناد.

أما ابن السراج المتوفى (316هـ) فقد استخدم في مفهوم الجملة البسيطة
مصطلح الجملة المفيدة في قوله : (والجملة المفيدة على ضربين إما فعل
وفاعل، وإما مبتدأ وخبر) (2)

ونجد عبد القاهر الجرجاني صاحب المغني يعرف الجملة بقوله: (اعلم
أن الواحد من الاسم، والفعل والحرف يسمى كلمة فإذا ائتلف إثنان فأفادا
نحو خرج زيد، يسمى كلاما ويسمى جملة، والائتلاف يكون بين الاسم
والفعل كما ذكرنا، وبين الاسمين كقوله: زيد منطلق، وبين الحرف الاسم
في النداء، خاصة نحو: يا زيد) (3)

وسار الزمخشري على منوال سابقه في تعريفه للكلام المرادف للجملة
فقال: (والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداها إلى الأخرى وذلك
لا يتأتى إلا في اسمين كقولك زيد أخوك وبشر صاحبك، أو في فعل
واسم نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر وتسمى جملة) (4)

1-الكتاب ج 1 ص 23

2-الأصول في النحو ج 1 ص 64

3-كتاب الجمل في النصوص ص 29

4-المفصل ص 6

الجملة البسيطة وإن لم تظهر في تعريفات علماء اللغة القدامى بالتسمية المعروفة حالياً إلا أن مفهوم ما جاءت به كتبهم في موضوع الجملة كان يصب في عملية الإسناد التي تتركب أساساً من عنصرين هما : المسند والمسند إليه سواء كان ذلك، من فعل وفاعل أو من مبتدأ وخبر، فكل جملة مكونة من مركب إسنادي واحد يؤدي فكرة واحدة مستقلة ومفيدة يحسن السكوت عليها فهي بالمفهوم الحديث جملة بسيطة .

والجملة البسيطة في تقسيم علماء اللغة المحدثين تأخذ بعين الاعتبار طبيعة المكونات الأساسية للجملة وبناء على ذلك فإن الجملة البسيطة هي: "الوحدة الكلامية التي تتضمن عملية إسناد واحدة" (1)، وعلى ضوء هذا المفهوم تصبح الجملة البسيطة في مفهوم علماء اللغة المنطلق الرئيسي لدراسة نظام العلاقات اللغوية والنحوية في التركيب " من حيث أنه يمثل بناء منظماً من الصيغ المتحركة عبر سياق منطلق الوصف اللغوي " (2)، فالجملة البسيطة في الأمثال الشعبية كثيراً ما تتعلق بركني الإسناد مفردات ومركبات تعتبر كوسائل مساعدة غير اسنادية تجعل الجملة تطول وتتنوع شأنها في ذلك شأن الجملة العربية في الفصحى .

1-التركيب عند ابن المقفع ص21

2-نفس المرجع ص22

أما إذا أخذنا المثل الشعبي وحاولنا إخضاعه إلى ضوابط النحو العربي، فلا نجده يخلوا من هذه المميزات فهو أيضا يتكون من العناصر الأساسية التي تتكون منها الجملة العربية البسيطة والمتمثلة في المسند والمسند إليه:

-المشكور مفعور

-تخبل الغزل

-اوزن الكلام

-العرق دساس

تحتوي هذه الأمثلة كلها على الأركان الأساسية المكونة للجملة العربية البسيطة أصغر بنية نحوية تعتبر كلاما تاما يحسن السكوت عليه لاشتماله على المسند والمسند إليه في أبسط صيغة لهما (1)

الملاحظ أن الأمثال الشعبية تحتوي في تركيبها على مكونات أساسية التي تشتمل عليها الجملة البسيطة في الفصحى، فهناك جمل بسيطة مكونة من مركب إسنادي واحد يؤدي فكرة مستقلة.

وقد نجد المفعول به الذي تعلق بالفعل هو أيضا من العناصر الأساسية في التركيب حيث أن الكلام لا يتم بدونه فإن حذفه أو الاستغناء عنه يجعل المعنى ناقصا، وقد وردت العناصر المكونة لهذا التركيب في المثل الشعبي على الصورة التي يقتضيها نظام الجملة العربية في ترتيب عناصرها فقد يتقدم الفعل الفاعل والمفعول به فالمثل الشعبي يكون إذن مشتملا، على مسند ومسند إليه ومفعول به ومثال ذلك: أحظي الصقلة قبل...

1-الموجز في شرح دلائل الإعجاز ص 107

أعطي الحلوة للجمل...

تصدر الفعل الرتبة الأولى في سياق الكلام، هذه الرتبة جعلت منه المركز الأساسي الذي تتجذب إليه بقية العناصر يرتبط بالمسند إليه بواسطة علاقة الإسناد الضمني والمفعول به عن طريق التعديّة المباشرة، وصفة التعديّة اقتضت عنصرا ثالثا بعد المسند والمسند إليه اعتبره النحاة من العناصر الأساسية في التركيب، لأن الاستغناء عنه يخل بالمعنى ويزيل فائدة التركيب، وحظي بالرتبة الثالثة ذلك أن طبيعة ترتيب عناصر الجملة الفعلية تقتضي أن يسبق الفعل الفاعل ويسبق الفاعل المفعول به.

والميزة البارزة التي تلفت الانتباه في الجملة الفعلية الرتبة الأولى التي يحتلها الفعل بصفة مطلقة وهو بهذه المكانة يعتبر المحور الأساسي الذي تتعدّد عليه بقية العناصر الأخرى وتقوّي مركزه في العملية الإسنادية ذلك أن " الفعل هو أساس التعبير وهو أهم مقومات الجملة، ومن الأركان الرئيسية في تأليف الكلام، يتصدر الفعل الجملة في معظم الأحوال، لأن الفعل أو الحدث هو موضوع اهتمام المتكلمين بالعربية".

وقد يتقدم المفعول به الفاعل في مواضع ثلاثة:

إذا أريد قصره على الفاعل، أو كان الفاعل مقترنا بضمير يعود على المفعول به، أو كان المفعول به ضميرا متصلا والفاعل اسما ظاهرا.

غير أن التركيب في المثل الشعبي: " يقولها اللسان ويهرب تحت السنان" ولو أن المفعول به تقدم الفاعل لكن التركيب لا ينطبق وهذه المواضع الثلاث، وتقديم المفعول ليس ذا أهمية في التركيب عندما نجد سيبويه يقول: " وإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول وذلك في قولك: ضرب زيدا عبد الله لأنك إنما أردت به مقدما" (1)

فالمثل الشعبي " تهلى في جارك هو ستار عارك " المفعول في الفصحى الذي يقع عليه الإسناد مباشرة يؤدي معنى ضروريا في العملية الإسنادية، بينما لا يؤدي المفعول المجرور بالحرف إلا معنى فرعيا قد يستغنى عنه.(2)

بينما المفعول به المجرور بالحرف في المثل الشعبي يكتسي أهمية ويعتبر عنصرا أساسيا في التركيب لا يمكن الاستغناء عنه كما هو الحال في العربية . الفعل "أعطى" والذي يعتبر من الأفعال المتعدية إلى مفعولين، نجده في المثل الشعبي يقوم بنفس الوظيفة فحين نسوق المثال " اعطي التريد للعبيد... "

وهناك جمل بسيطة أخرى مكونة من مركب إسنادي واحد وما يتعلق بعنصريه أو باحدهما من مفردات أو مركبات غير اسنادية تساعدها على الامتداد والتوسع وتفتح مجالات أخرى للدراسات وأما الوسائل المساعدة على امتداد الجملة البسيطة في المثل الشعبي فمتنوعة فمنها ما يتعلق بالفعل ومنها ما يتعلق بالاسم ومنها بالوصف ومن أمثلة ذلك:

1-الكتاب 40/2

2-المرجع نفسه 41/2

ساب التريد للعبيد

-ابرم والديه

أما الجملة العربية البسيطة المكونة من مركبين اسناديين أو أكثر وكل مركب قائم بنفسه وليس أحدهما معتمدا على الآخر، وكل مركب منها مساو للآخر في الأهمية ولا يربطها إلا العطف، ويصلح كل منها أن يكون جملة بسيطة أو جملة ممتدة مستقلة بمحوارها الأساسي، ولا مانع من أن يشتمل أحدهما على ضمير راجع إلى مذكور في مركب سابق عليه. (1)

ومما جاء في الأمثال الشعبية مايلي :

-يموت النفاق ويبقى الرزاق

-غابت السبوعة وقعدت الضبوعة

-لا تصحب حتى تجرب ولا تضرب حتى تقرب.

-كذب اللوز وصدق المشماش وكذب الشيب وصدق التكماش.

نجد أن الجملة البسيطة في الأمثال الشعبية مكونة من مركبين إسناديين فأكثر وكل مركب قائم بنفسه وقد وردت العناصر الأساسية المكونة لهذا التركيب على الصورة التي يقتضيها نظام الجملة العربية في ترتيب عناصرها فقد اشتملت العناصر الإسنادية من مسند ومسند إليه، وبناء

1-التركيب عند ابن المقفع ص 21-22

على ذلك فإن الجملة البسيطة هي : " الوحدة الكلامية التي تتضمن عملية إسناد واحدة " (1)

وقد تعدد عملية الإسناد في نفس التركيب بواسطة أدوات العطف، وعلى هذا الأساس قسم النحاة الجملة البسيطة إلى:

1-أساسية وتحتوي على عملية اسنادية واحدة ولا تضاف إلى ركني الإسناد فيها عنصر لغوي آخر. مثل : (عبّات الباس) (طاحوا قرون) (يحن الله)

2-موسعة أو ما تعرف بالمتعددة وهي ما يضاف إلى ركنيها الأساسيين عنصرا أو أكثر يؤثر في مضمونها أو يوسع أحد عناصرها .(2...)

على ضوء هذا المفهوم للجملة البسيطة عند علماء اللغة فإنها تصبح المنطلق الأساسي لدراسة نظام العلاقات اللغوية في التركيب " من حيث أنه يمثل بناء منظما من الصيغ المتحركة عبر السياق منطلق الوصف اللغوي " (3)

ومن خلال ما سبق يتضح أن كل تركيب تكون من مسند ومسند إليه سمي جملة بسيطة، فإن تضمنت فعلا بين ركنيها سميت جملة فعلية بسيطة، وإن لم تتوفر عليه سميت اسمية.

1-التركيب عند ابن المقفع ص21

2-الجملة العربية دراسة نحوية ص153

3-المرجع نفسه ص152

الجملة الفعلية البسيطة قد لا تكفي بركني الإسناد، وإما تتعلقنهما مفردات أو مركبات غير إسنادية تساعد على الامتداد والتوزيع، وتظل محافظة على بساطتها أما الوسائل التي تساعد على امتداد الجملة البسيطة فمتوعة منها ما يتعلق بالفعل ومنها ما يتعلق بالاسم ومنها بالوصف والأمثلة كثيرة في الأمثال الشعبية....

ما يلاحظ في هذا النمط التركيبي من الجمل البسيطة في الأمثال الشعبية أنه تم عطف جملة بسيطة على أخرى اشتملت كل منهما على جميع المركبات الأساسية في الجملة من مسند ومسند إليه والمفعول الذي تعلق بالفعل والذي أصبح هو أيضا من العناصر الأساسية في التركيب بحيث أن الكلام لا يتم بدونه وإن الاستغناء على عنصر في التركيب الشعبي كالمفعول به أو حذفه يجعل المعنى ناقصا شأنه في ذلك شأن التركيب العربي الفصيح.

وقد جاءت العناصر المكونة لهذا التركيب على الصورة التي يقتضيها نظام الجملة العربية في ترتيب عناصرها كتقدم الفاعل المفعول به، وتصدر الفعل سياق التركيب، فالجملة البسيطة في المثل الشعبي اشتملت إذن على مسند ومسند إليه ومفعول به.

أما الفعل في التركيب الشعبي قد يجيء من حيث الدلالة الزمنية ماضيا، مضارعا، أو أمرا، متصدرا التركيب أي الرتبة الأولى في سياق الكلام هذه الرتبة جعلت منه المركز الأساس الذي تتجذب إليه بقية العناصر فهو يرتبط بالمسند إليه بواسطة علاقة الإسناد الضمني، إضافة إلى المطابقة التامة في جميع الجوانب سواء المتعلقة بالنوع أو العدد.

وإذا تقدم الفعل الفاعل جاء بصورة المفرد، وإن كان فاعله بصيغة المتنى أو الجمع، فجمهور النحويين ومراعاة للشائع من النصوص

اللغوية المروية يوجبون عدم إلحاق الفعل علامة دالة على كون الفاعل متنى أو جمعا، وهذا بغض النظر عن بعض الحالات الشاذة. فالفعل إذن عندما يتقدم فاعله يثبت على صيغة المفرد في التركيب اللغوي الفصيح سواء كان فاعله متنى أو جمعا، أما التركيب العامي فلا يتقيد بهذا القيد فقد يأتي على الصورة التي تقتضيها القوانين النحوية مثال ذلك:

(يحن الله).

وقد يخرج عن هذا النمط تماما وتلحق به علامات التثنية والجمع بالرغم من تصدره التركيب وهذا عند الكثير من القبائل العربية باعتبار الفوارق اللهجية لهذا القبائل ومن أمثلة ذلك قولهم: (طاحوا قرون لكباش) حتى ولو اعتبرنا هذا انحرافا على ما هو مألوف ومعروف عند علماء اللغة، فإن هذا النوع من التراكيب في الأمثال الشعبية استعمل في لغة العرب قديما وهو موجود في القرآن الكريم، و الحديث النبوي الشريف، وفي الشعر وكلام العرب، وقد وقف النحاة من هذه الاستعمالات مواقف مختلفة منها و متباينة. (1)

وقد ذكر سيبويه في هذا المقام أن من العرب من يقول: ("ضربوني قومك وضرباني أخواك) فشبهاوا هذا بالتاء التي يظهرونها في (قالت فلانة) وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث وهي قليلة " (1)

وعرفت هذه الظاهرة قديما في اللغات السامية وكانت متفشية فيها بحيث يلحق الفعل علامة التثنية والجمع كما تلحق علامة التأنيث عندما يكون الفاعل مؤنثا.

ومن هذه التركيب التي حفل بها القرآن الكريم قوله تعالى:
"وأسروا النجوى الذين ظلموا" . (2) الآية...

فإنما يجئ على البدل كما ذكر سيبويه، وكأنه قال: انطلقوا، ف قيل له: من؟ فقال بنو فلان، فقوله عزّ وجلّ: "وأسروا النجوى الذين ظلموا" على هذا فيما زعم يونس". (3)

وجاء في تركيب قرآني آخر على هذا النحو في قوله تعالى: "ثم عمّوا وصمّوا كثير منهم" وكثير هنا جاءت على البدل من الواو حسب الإسناد الذي حكاه سيبويه.

وجاءت في الحديث النبوي الشريف استعمالات من هذا النوع في قوله عليه الصلاة والسلام: "يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار"

1-الكتاب ج2 ص 40

2-سورة الأنبياء الآية 3

3-الكتاب ج2 ص 41

كما أن التاء في قالت حرف دال على التانيث فإن هي عند سيبيويه
حرف دال على الجماعة، وقيل هي اسم مرفوع على الفاعلية، ثم قيل أن
ما بعدها بدل منها، وقيل مبتدأ والجملة خبر مقدم (1)

وقال الخليل رحمه الله : من قال أكلوني البراغيث أجرى هذا على أوله
فقال : مررت برجل حسنين أبواه) و (مررت بقوم قرشيين أبأؤهم)
وكذلك أفعل نحو أعور، وأحمر نقول : مررت برجل أعور أبواه،
وأحمر أبواه، وإن تثيت قلت : مررت برجل أحمران أبواه تجعله اسماً،
ومن قال أكلوني البراغيث، قلت على حد قوله : مررت برجل أعورين
أبواه، وتقول : مررت برجل أعور أبأؤه، كأنك تكلمت به على حد
أعورين، وإن لم يتكلم به، كما توهموا في هلكى، وموتى، ومرضى أنه
فعل بهم فجاؤوا به على مثال جرحى و قتلَى ن ولا يقال هلك، ولا
مرض، ولا موت . " (2)

فالخليل بن أحمد الفراهدي كان أول من سمى مثل هذه التراكيب المخالفة
للقواعد اللغوية العامة بلغة اكلوني البراغيث، ثم أطلق اللغويون بعده
على هذا النوع من التراكيب اللهجية التي لا تردّ وتنكر لغة نفس التسمية
غير أننا نجد بعض النحاة المتأخرين من أمثال ابن مالك يطلقون عليها
تسمية أخرى تكاد تكون قريبة من الأولى، وهي لغة (يتعاقبون فيكم
ملائكة)

1-مغني اللبيب ص 365

2-الكتاب ج 2 ص 42

غير أن الدكتور عبد الجواد الطيب في كتابه (لغة هذيل) يعلق على هذه التسمية الأخيرة قائلاً : وهذه العبارة قد أخذت أخذاً غير موفق من حديث شريف هو قول الرسول الكريم : (وإن لله ملائكة يتعاقبون فيهم ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)

فالواو في يتعاقبون لا تتجه إلى لاحق لها بل تعود على سابق عليها فابن مالك على غير حق فما ذهب إليه (1)

2- الجملة المركبة : تتكون الجملة المركبة من جملتين بسيطتين لا يمكن استغناء إحداهما عن الأخرى وتسمى الأولى الجملة الأصلية، والثانية الجملة المرتبطة (2)

وقد تصاغ الجملة المركبة من أكثر من جملتين، وفي هذه الحالة فإن النوع الأول المشتمل على جملتين يصطلح عليه التركيب المفرد، أما النوع الثاني فيصطلح عليه التركيب المتعدد.

1- لغة هذيل ص 373

2- مدخل إلى دراسة الجملة العربية ص 148

واستخدم علماء اللغة القدامى مصطلح العطف للربط بين الجمل المركبة ويكون بواسطة حروف العطف أو النسق أو عطف البيان، فالعطف بالحروف يشمل أنواع المفردات والجمل وأشباه الجمل، أما العطف بالبيان فمقصود على الأسماء المفردة.

فالربط إما أن يكون بعاطف أو بدون عاطف، كما هو الشأن بالنسبة للجمل الإعتراضية والتفسيرية والبدلية، ومع ذلك فليست هناك إشارة تنص على أن هذه الجمل تعاطفت بدون عاطف.

فالجملتان البسيطتان المستقلتان عن بعضهما صارتا جملة واحدة بعد عملية الربط، وهو ما اصطلح عليها بالجملة المركبة " وهي ما تعددت فيها عمليات الإسناد في مستوى سياق التركيب ". (1)

تتضمن الجملة المركبة على مركبين اسناديين أحدهما مرتبط بالأخر ومتوقف عليه، ويكون أحدهما فكرة مستقلة لا تحمل معنى إلا بالمركب الأخر، ويعتمد الارتباط بين المركبين على أداة تكون علاقة بينهما. وقد تظهر هذه العلاقة على النحو الآتي :

-علاقة جمع بواسطة واو مفردة ربطة بين جملتين، دون إلزام بترتيب منطقي أو تعقيب زمني، والجملة المركبة من هذا النوع تظهر بكثرة في تركيب المثل الشعبي الذي نجده في أغلب الأحيان يعتمد على العطف

1-التركيب عند ابن المقفع ص87

بواسطة الواو لتكتمل الغاية منه . ومن ذلك نذكر : (الحر بالغمزة والعبد
بالدبزة) (الحرث بالدوام والصابية بالعوام) (ضربني وابكى واسبقني
واشتكى) (ماتت أصحاب الهيبة وقعدت أصحاب الخيبة).

والجملة إما أن تكون مرتبطة برابط، ويحدث هذا الربط بين الجملتين عن
طريق علاقة الجمع أو الإستدراك، وعلاقة يقرر فيها مضمون الجملة
باستعمال (لو) مسبوقه بالواو، وقد تكون العلاقة سببية بحيث يكون
مضمون الجملة التالية مسببا في مضمون الجملة السابقة، أو علاقة
إضراب بالعدول عن الجملة الأصلية إلى مضمون الجملة المرتبطة، أو
علاقة غاية "ويكون فيها مضمون الجملة الثانية غاية لمضمون الجملة
الأولى، وذلك باستخدام حتى الرابطة بين الجملتين". (1) وقد تكون
الجملة المركبة بدون رابط، وتشمل ما يطلق عليه النحاة الجملة
الإعتراضية، والتفسيرية والأمر وجوابه. والجملة الإعتراضية في نظر
علماء النحو "ما يتوسط بين أجزاء الكلام متعلقا به معنى، مستأنفا لفظا،
عن طريق الالتفات... وقد يجئ بعد تمام الكلام". (2)

أما الجملة التفسيرية عندهم " هي الفصلة الكاشفة لحقيقة ما تليه " (3)
ويحدث التركيب بالتفريع ما يحل محل المفرد، وما لا يحل محله.
1- ما لا يحل محل المفرد ويأتي في الجملة الشرطية والجملة الظرفية.

1-إعراب الجمل واشيائه الجمل ص75

2-المرجع نفسه ص 76

3-المرجع نفسه ص76

2- ما يحل محل المفرد ويكون في جملة المصدر المؤول والجملة الحالية والجملة الموصولة والجملة المضاف إليها وجملة النعت (1)

ونحاول ذكر بعض النماذج الموظفة في الأمثال الشعبية.

(إذا شاب السبع يطمعوا فيه الدياب)

اشتمل التركيب على بنيتين فرعيتين اشتركتا فاصلتهما في المقطع الأخير، وجاءت البنية الأصلية مشتملة على جميع عناصر الإسناد، غير أنها ليست تامة و غير مفيدة، ولن يتأتى لها ذلك إلا حين تقترن بالبنية الثانية فالجملة إذا شاب السبع، جملة ناقصة تنتظر الإتمام، فهي لا تستغني عن الجملة الثانية التي تتم معناها فالعلاقة بينهما علاقة شرطية بين فعل الشرط وجوابه الواقعين بعد أداة الشرط، ولأن جواب الشرط متوفق على فعل الشرط.

وقد اختلف النحاة في الجملة الشرطية فمنهم من عدّها جملتين : جملة الشرط لكونها تتوفر على جميع عناصر الإسناد، وجملة جواب الشرط لكونها هي الأخرى مشتملة على عناصر الإسناد الأساسية في التركيب. بينما يرى فريق آخر أن الجملة الشرطية هي جملة واحدة، وقال بعضهم " ينبغي أن نعلم أن العرب قد أجرت كل واحدة من جملتي الشرط والجواب مجرى المفرد لأن شرط الجملة أن تكون مستقلة بنفسها، قائمة

برأسها، وهاتان الجملتان لا تستغني إحداهما عن أختها، بل كل منهما مفتقرة إلى التي تجورها، فجزتا مجرى المفردين اللذين هما ركنا الجملة وقوامها " (1)

والعلاقة التي تمت بين الجملتين جاءت بسبب أداة الشرط التي تصدرت الجملة وهي (إذا) وقد وضعت لمجرد تعليق الجواب بالشرط ن فالجملتان لا يمكن استغناء إحداهما عن الأخرى.

الشرط يبني على جزئين : الأول منزل منزلة السبب، والثاني منزل منزلة المسبب، ولا يمكن تحقيق الثاني إلا إذا تحقق الأول، وينعدم الثاني بانعدام الأول، لأن وجود الثاني معلق على وجود الأول، ثم عطف جملة (يطمعوا فيه الذباب)

3- الجملة الاسمية

لا بد من التعرض إلى ما يصطلح عليه في علم الدراسات اللغوية الحديثة بالمصطلح التركيب الاسمي، وهو لا يخرج بدوره عن الجنس الذي نعتبره من الفصائل النحوية الهامة في التركيب الاسمي، وقد عني به علماء اللغة المحدثون مثلما عني به اللغويون القدماء، فعلامات التأنيث الثلاث في اللغة العربية بشكل عام هي التي تميز المذكر من المؤنث ولكل لغة خصوصيتها في الجنس. (1)

والشائع أن الجنس في العربية تتميز هوياته ما بين المذكر والمؤنث من خلال ما يتصل بنهاية المؤنث، ومنه قول الفراء : "للمؤنث علامات ثلاث : منها الهاء التي تكون فرقا بين المؤنث والمذكر، مثل فلان وفلانة وقائم وقائمة . ومنها المدة الزائدة التي تراها في (الضراء والحمراء والصفراء) وما أشبه ذلك . ومنها الياء التي تراها في (حبلي وسكري وصغري) فأما المدة والياء، فلا يقعان لمذكر في حال أبدأ، وأما لهاء فلهل ضرور تقع فيها. (2)

فقالوا حماما على حمامه، وقالوا جرادا على جراده، يريدون ذكرا على

1- الجملة العربية ص : 66

2- دراسات سانتكسية للهجات العربية القديمة - ص : 425

أنثى ... قال الكسائي : سمعت كهذا النوع من العرب بطرح الهاء من ذكره إلا قولهم : (رأيت حية على حية) فإن الهاء لم تطرح من ذكره (1).

وأما الخليل بن أحمد فقال : (هذا شاة بمنزلة قوله تعالى : (هذا رحمة من ربي)

وتعرض سيبويه للجنس في أكثر من موضع، فهو يرى أن المذكر أخف من المؤنث)) واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول وهو أشد تمكنا، وإنما يخرج التأنيث من التذكير (((2)

وقال في موضع آخر ((لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد فكل مؤنث شيء والشيء يذكر، فالتذكير أول، وهو أشد تمكنا)) (3)

وقد يحصل التبادل بين المذكر والمؤنث ((وقد يكون الشيء المذكر يوصف بالمؤنث،... ويكون الشيء المؤنث يوصف بالمذكر، وقد يكون الشيء المؤنث له الاسم المذكر، فمن ذلك هذا رجل ربعة و غلام يفعة فهذه الصفات ...ومن ذلك أيضا قولك : هذه امرأة عدل، ومن الأسماء فرس، هو للمذكر، فجعلوه لهما، وكذلك عدل ...)) (4)

1-المذكر و المؤنث ص : 69-70

2-الكتاب 1-22

3-الكتاب 3/241

4-المرجع نفسه ص 2/212

لكن هناك من اللغويين المتقدمين من يرفض أن يكون أمر الجنس في العربية قياساً مطرداً، وأن العلامات التي تعد مميزة لهوية الجنس حين يكون مؤنثاً ليست قياسية في كل حال ((ليس يجري أمر المذكر والمؤنث على قياس مطرد، ولا لهما باب يحصرهما، كما يدعي بعض الناس لأنهم قالوا: إن علامات المؤنث ثلاث:

-الهاء في قائمة وراكبة

-والألف الممدودة في حمراء وخنفساء

-والألف المقصورة في مثل حبلى وسكرى

وهذه العلامات بعينها موجودة في المذكر: أما الهاء ففي مثل قولك: رجل باقعة، ونسابة، وعلامة، وربعة، وراوية للشعر، وأما الألف الممدودة فمثل: رجل بزلاء إذا كان جيد الرأي، وأما الألف المقصورة ففي مثل رجل خنشى، وزبعرى للسيئ الخلق ... ووصفوا المذكر هو الذي ليس فيه شيء من هذه العلامات، مثل زيد وسعد، وقد يوجد على هذه الصورة كثير من المؤنث مثل هند، ودعد، وأتان ورخل وعنز ((... (1)

ويتحدث ابن فارس في باب أجناس الاسماء ((قال بعض أهل العلم: الاسماء خمسة: اسم فارق، واسم مفارق، واسم مشتق، واسم مضاف واسم مقتض))

لكن اليوم النظرة إلى الجنس قد تغيرت، فإذا عدنا إلى المعاجم اللسانية المعاصرة نجد أنها تنظر إلى الجنس في اللغة من الوجه النحوية أو الشكلية

1-فقه اللغة لابن فارس ص: 86

لأنهما الشيطان الوحيدان اللذان يلاحظان في الواقع، وعليه فهي معرفة بواسطة خصوصيات شكلية وليست دلالية، غير أننا نجد بعض اللغات

الغربية تميز بين الجنس المتحرك والجنس الجامد، وأخرى تصنف
الاسماء إلى جنسين كالفرنسية والايطالية والاسبانية، وإلى ثلاث أنواع
في الروسية والألمانية. (1)

ونريد بالجملة الاسمية تلك الهيئة التركيبية المكونة في أبسط صورها مما
يعرف بالمبتدا والخبر، فالمبتدأ هو الاسم الصريح أو المؤول المجرد من
العوامل اللفظية مرفوع بالإبتداء، والأصل فيه أن يكون معرفة لأنه
محكوم عليه أو مخبر عنه، وأما الخبر فهو الذي يشكل مع المبتدأ جملة
مفيدة، مرفوع بالمبتدأ وهو المخبر به.

ومن السمات العامة لهذا المركب أولاً وجوب مطابقة الخبر للمبتدأ في
النوع والعدد، إلا في حالات استثنائية.

قد تختلف عناصر الجملة الاسمية في أشكالها وأنواعها انطلاقاً من
استعمالاتها داخل العربية الفصحى، فقد يحذف احد عناصرها المكونة
أويقدم اجبارياً أو اختيارياً أو يؤخر، أو يأتي جملة أو شبه جملة.

وكذلك الجملة في الأمثال الشعبية تأتي على أشكال وقد تماثل في كثير
من الأحيان الجملة العربية الاسمية ولناخذ على سبيل المثال لا الحصر
الجمل

التالية : (الشركة هلكة) (الدنيا غرارة) (الصمت حكمة) (العنقود حامض).

الملاحظ أن هذه الأمثلة كلها مطابقة لقوانين اللغة العربية وضوابطها . فمن المعروف عند نحاة العرب أن يكون المبتدأ معرفاً والخبر نكرة وجاءت جميع الأمثلة مستوفاة للشروط التي اقتضتها قواعد اللغة العربية . فكل الاسماء التي تصدرت الجمل معرفة بالألف واللام على أساس كونها مبتدأ .

ويعتبر هذا النوع من التراكيب في الأمثال الشعبية أقصر الجمل إذ يتألف من كلمتين فقط....

وهناك نوع آخر من الجمل الاسمية التي لاكتفي بمركب إسنادي واحد كما سبق الذكر و من أمثلة ذلك:

1- (الدنيا فايئة وتفوت والحي فيها يموت والطامع فيها مشموت)

2- (الهدرة فضة والصمت الذهب)

3- (الحديث طويل والقاضي مشغول)

أما الخبر في هذه التراكيب فقد خضع هو الآخر لنفس الشروط التي تتطلبها مقتضيات نظام الجملة العربية . وكما سبق الذكر فإن احد المكونات الساسية في الجملة الاسمية قد يخرج من الإفرادية إلى الجمالية ، فالخبر قد لا يلزم صورة الإفراد وإنما يصير إلى جملة فعلية أو اسمية أو شبه جملة .

الخبر جملة فعلية

ومن أمثلة الخبر جملة فعلية في الأمثال الشعبية، نذكر ما يلي:
(الطمع يفسد الطبع) (الدوام يتقرب الرخام) (الصابر ينال) (الدهشة طارت) (البلاد تتدخل بمالها)

الملاحظ أن الخبر في هذه الأمثلة جاء جملة فعلية ففي المثال الأول والثاني جاء كلا منهما مشتملا على جملة فعلية تامة بكل عناصرها الأساسية المكونة لها من فعل وفاعل ومفعول به لأن الفعل متعد بنفسه.

وجاء الخبر في المثال الثالث والرابع أيضا جملة فعلية مشتملة فقط على فعل وضمير مستتر في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية في هذه الأمثلة تسمى ركنا فعليا لأنها في الأصل خبر . لكن الملاحظ أن الفعل الماضي في المثال الرابع والمتضمن تاء التأنيت الساكنة قد تطابق من حيث النوع مع الابتداء، وهذا الأمر قد لا يقع في الكثير من الأمثال الشعبية.
وأما الخبر في المثال الخامس والأخير فقد اشتمل على فعل وفاعل وشبه جملة متعلقة بالفعل المضارع تتدخل .

الخبر جملة اسمية

إن هذا النوع من التراكيب اللغوية في الأمثال الشعبية قليلة الاستعمال بالمقارنة مع التركيبات الأخرى كالجملة الفعلية وشبه الجملة ويعود ذلك أصلاً إلى البساطة والسهولة وسرعة الفهم فغالبية الأمثال الشعبية لا تحتاج إلى تفسير، فبمجرد ما تسمع يتبادر لذهنك ما تريد الإبانة عنه...

أما الاستعمال اللغوي في هذا الميدان يتطلب نوعاً خاصاً من المستوى الثقافي، ولأبأس من ذكر عينة من هذا النوع ومنه : (فلان نوره يسطع)

الخبر شبه جملة

تحفل الأمثال الشعبية بهذا النوع من التراكيب، فتكون البنية إما مشتملة على جار ومجرور، أو من ظرف مكان، أو ظرف زمان ومن أمثلة هذا النوع نذكر ما يلي :

1- البركة في القليل

2- الراحة بالوقية

3- الهم بالمعانة

4- النار تحت التبن

5- الحبيب وقت الشدة

جاءت بنية الخبر في الأمثلة الثلاثة الأولى مكونة من جار ومجرور، أما في المثال الرابع فالخبر شبه جملة من ظرف مكان : تحت، والأخير ظرف زمان : وقت.

من خلال الملاحظة والإستقراء والاستنباط يتبادر إلى ذهن القارئ أن الجملة الاسمية في الأمثال الشعبية لا تختلف اختلافاً بيناً بينها وبين نظيرتها في الفصحى، إلا في الحركات الإعرابية الخاضعة لقواعد اللغة العربية، لأنها تدخل ضمن التعبير الشعبي العامي الذي يفتقر إلى قواعد ثابتة، سواء على الصعيد الصوتي أو التركيبي أو الدلالي.

والذي يهمننا هنا الجانب التركيبي أو النحوي هو الخلاف بين التعبير العامي والتعبير الفصيح مرده إسقاط الإعراب من لغة التخاطب الحيّ مما جعلها لغة تحليلية، لم تخضع للدرس والتصنيف والتفعيد مثلما حصل للفصحى التي حظيت بمثل هذه الدراسة نتيجة امتلاكها ل ذخيرة علمية وحضارية، وقدرتها على التفريع والاشتقاق وقد وضع لها العلماء الأولون قواعد وأوزان، مما جعلها طيعة في جميع المجالات وظلت حتى اليوم تمثل لغة تركيبية تستخدم وحدات صوتية متصلة، بفضل حفاظها على حركات الإعراب.

النواسخ والمثل الشعبي

تدخل على العملية الاسنادية الجملة الاسمية نواسخ سواء تمثلت في أفعال أو حروف ومهما كان نوعها فإن جمهور النحاة يعتبرونها جملة اسمية ويؤكد سيبويه أن المبتدأ هو أساس الجملة وهو أول جزء فيها، وهو سابق على ما عداه، ومن ثم فإن له من الأولوية والقوة ما ليس لغيره (1) وتحدث النواسخ التي تدخل على العملية الاسنادية تغييرا حركيا في المبتدأ والخبر وتعديلا في اسم المبتدأ. وبما أن الجملة الاسنادية تتم في حالة اللزوم بوجود المسند والمسند إليه فلا يفيد إسناد الفعل الناقص إلى مرفوعه الفائدة الأساسية المطلوبة من التركيب، فالخبر هو الذي يتم المعنى الأساسي ويحقق الفائدة الأصلية للجملة، لا يدخل بعض النواسخ في الجدول التصريفي بل يحمل على الفعل ويسمى الأحرف المشبهة بالفعل ومن المستحسن اعتباره كحرف أو كأداة تقوم بعمل معين، وبما أنها جميعا تنسب معناها إلى محتوى الجملة فهي بحكم الحروف والأدوات لا تشكل عنصرا أساسيا في الجملة ولا تعد من عمدتها. (2)

تساعد النواسخ الجملة الاسنادية على تحقيق دلالات وتدل كان وأخواتها على الكينونة، وعلى إدخال الحدث في أوقات معينة وعلى التحويل والإستمرار والمثابرة، فالجملة الاسنادية التي تتكون من مبتدأ وخبر وقبل دخول الناسخ عليها تكون تامة كاملة مفيدة مثل (الوطن آمن) الجملة عملية اسنادية مسند إليه + مسند + الإسناد الضمني.

1-الاسنية العربية ص66 - 67

2-الصاحبي في فقه اللغة ص56

فالجملة الاسمية قبل دخول الناسخ دلت على استمرار الحدث، وهي تدل بعد دخول الناسخ (كان الوطن آمنة) على استمرار الحدث بلا انقطاع في فترة من الزمان الماضي.

والنواسخ لا تقتصر في اللغة العربية على كان وأخواتها أو إن وأخواتها وإنما هناك أفعال المقاربة التي جرت العادة على إلحاقها بأفعال الكينونة، ونوع آخر يشبه ليس في معناه المثلث بالنفي وفي عمله المؤثر على العملية الإسنادية حركيا.

وتدخل النواسخ على الجمل الاسنادية وتعمل في المسند والمسند إليه دون أن تتعدى جوهر التركيب، أو تغير أو تحوّر طبيعة الإسناد، أو تحويله من عملية إسنادية واحدة إلى عمليتين أو أكثر . فالجمل التي دخلتها أفعال أو أدوات ناسخة أبقّت على تركيبها الجوهري والهيكلية دون المساس في وحدتها الاسنادية المكونة من المسند والمسند إليه والإسناد الضمني . (1)

هذه الأساليب متوفرة في الأمثال الشعبية ولاختلف عن الاستعمالات الموجودة في الفصحى إلا في الجانب الإعرابي الذي يعد الركيزة الأساسية في كل تركيب لغوي فصيح بينما العابير العامية لا تكثرت لذلك بل تعتمد ترك الحركات الإعرابية تفاديا لكل التباس لغوي، كما أن اعتماد الوقف في آخر الكلمة والذي يعد أحد سماتها يسهل من عملية الفهم والنفاهم بين جميع الأفراد على اختلاف شرائحهم .

إن التعبير العامي في مختلف الأقطار العربية يفتقد إلى قواعد نحوية وهو بمعنى آخر يهمل الإعراب الذي هو تغيير الحركات في أواخر الأسماء والأفعال المعربة وهو من أهم خصائص الفصحى، إن الإنسان العربي

غالبا ما يستعمل الأسلوب العامي، ويقف على أواخر الكلمات بالسكون ولم تعرف هذا الاستعمال قبيلة من القبائل العربية القديمة ذلك إلا أحيانا لضرورة الشعر كما أشار إلى ذلك إمام النحاة سيبويه في الكتاب بقوله : إن العرب يسكنون الحرف المرفوع والمجرور في الشعر، ويمثل لذلك بقول امرئ القيس .(1)

فاليوم أشرب غير مستحقب * إثمًا من الله ولا واغـل
حيث سکن امرؤ القيس الفعل المضارع (أشرب) وحقه الرفع
فالإعراب قد يخرج عن القواعد العامة في الكثير من المواقف الأدبية
والإعراب في نظر سيبويه قد تحدثه ضرورة الشعر في بعض الأشعار.
ومما لا يختلف فيه اثنان أن الإعراب كان ولا زال وسيبقى جزءا لا
يتجزأ من النطق باللسان العربي أكان ذلك في القرآن الكريم أو الحديث
النبوي الشريف أو في الشعر أو في كلام البلغاء والخطباء.
والثابت أن إهمال الإعراب لا يخص عامية دون الأخرى، بل يشمل
جميع العاميات في البلاد العربية.

وهذه الظاهرة تشبه إلى حدّ بعيد اللهجات العربية القديمة قبل نزول القرآن الكريم وقبل التقعيد للغة التي نزل بها حين كانت هذه اللهجات تنطق عن طريق السليقة دون إعراب وكان التفاهم سائدا بين كافة الأفراد والقبائل، والدوافع التي كانت وراء التقعيد للغة السائدة بين الشعوب والقبائل العربية بعد اختلاطهم بالأجناس الأجنبية معروفة لكل متتبعي الظواهر الإعرابية في اللغة العربية، لكن جوهر المشكل لا يكمن في هذه الظواهر، بل في عدم وجود لغة رسمية متداولة بين جميع القبائل العربية التي كانت تسكن شبه الجزيرة العربية، فنظرا لوجود عدة لهجات متفرقة ومتنوعة، إن لم نقل لكل قبيلة لهجتها الخاصة، أحال دون توحيد اللسان العربي على لهجة واحدة كما هو الشأن بالنسبة لهم في الوقت الحاضر حين نجد الشعوب العربية تجمعها لغة واحدة هي لغة القرآن لا يكاد يختلف عليها إثنان.

ويبقى المشكل يطرح نفسه بأقل حدّة فيما يخص إهمال ظاهرة الإعراب من هذه اللهجات العربية الحديثة لكونها لم ترقى بعد إلى المستوى المطلوب لتستقل عن اللغة الأم وهو أمر مستبعد جدا كون أن الشعوب العربية التي تمارس هذه اللهجات التي تمثل مفرداتها المحرّفة قليلا نسبة كبيرة من اللغة العربية، بالإضافة أن الشعوب العربية في غنى على ترقية هذه اللهجات إلى لغات لأن لها لغتها العربية التي تميزها عن بقية الشعوب الأخرى.

4- الجملة الفعلية :

وهي التي صدرها فعل تام أو ناقص نحو (اقتربت الساعة) . (وكان الناس أمة واحدة) - وسواء كان متعديا أو لازما. وهذا النوع من المركبات إذا استقل بنفسه ولم يكن عنصرا في تركيب لغوي أطول سمي جملة (1)

وهذه الهيئة التركيبية هي المتعارف عليها عند علماء النحو واللغويين بالجملة، والفعل والفاعل هما العنصران الأساسيان اللذان أقل ما تتركب منهما الجملة الفعلية المفيدة.

والمركب الفعلي لا يكون إلا إسناديا ويتركب من الفعل ومتطلباته الإيجابية والاختيارية.

ويعتبر الفعل أساس التركيب وأهم مقومات الجملة الفعلية ومن الأركان الأساسية في تأليف الكلام، وهو يتصدر الجملة في معظم الأحوال العادية باعتباره حدث أو موضوع اهتمام المتكلم، كما نجده يؤدي وظيفة المسند والإسناد الضمنية، وقوة الفعل تجعله يعمل متقدما ومتأخرا، ويكون ذلك إما في عنصر واحد أو أكثر في حالة التعدي بداتها أو بأشباهه من مصدر، واسم فاعل، اسم مفعول، صفة مشبهة، صيغ مبالغة. (2)

1- شذا العرف في فن الصرف ص : 25 - 26

2- المرجع في اللغة العربية نحوها وصرفها ص : 20

وقد اعتبرت الدراسات اللغوية الحديثة الجملة بصورة عامة سواء كانت اسمية أو فعلية عملية اسنادية وبالتالي فلا فائدة من تقسيمها إلى فعلية واسمية، فالجملة إن هي ابتدت باسم مسند إليه، أو فعل مسند فهي في كلتا الحالتين جملة اسنادية. (1)

ومن أبرز سمات المركب الفعلي نذكر ما يلي:

- أن يتقدم الفعل على فاعله:

إن مسألة التطابق العددي والنوعي في التركيب اللغوي أمر قطعي، ولا سيما ما يتصل بين الفعل والفاعل.

ما هو معروف في الدراسات النحوية الصرفية عند علماء اللغة أن الفعل عندما يتقدم الفاعل يلزم صورة واحدة ثابتة سواء كان فاعله في صيغة مثنى أم جمع - إلا في حالات شادة تخرج عن قوانين تقعيد اللغة العربية وقد أطلق اللغويون المتقدمون على هذا النوع من التراكيب التي تنفرد بها بعض القبائل العربية وهي لا ترد وتكرر لغة (أكلوني البراغيث) وأطلق المتأخرون عليها لغة يتعاقبون فيكم ملائكة (2)

لكن هذا التركيب الموجود في العربية الفصحى تحالفه الكثير من القبائل العربية في استعمالها الخطاب الشعبي - والتي تلحق علامات التنثية أو الجمع حتى ولو تصدر الفعل هذه التراكيب.

1-الألسنية العربية ص54

2-دراسات سانناكسية للهجات العربية القديمة ص481

ومما جاء في قولهم : (غابوا اسبوعا وابقوا الضبوعا (وموقف النحاة من هذه الاستعمالات مختلفا، فهناك من لا يعير هذا اهتماما ويعتبره من التراكيب التي تخرج عن قواعد اللغة العربية وتدخل في سياقات لا تحكمها ضوابط لغوية لأنها نتاج عوامل تخرج عن النطاق وهناك من ينظر إلى هذه التراكيب من موقف الإلهام بطبيعة هذه التراكيب كمفردات وخطابات لاغير (1)

ونجد معظم الشعوب العربية وعلى اختلاف خطاباتها الشعبية تتحو نحو هذه الاستعمالات وأصبحت ظاهرة شائعة في معظم التراكيب بل أكثر من ذلك، فان الاستعمال الشعبي لا يعترف إطلاقا بصيغة أو علامات التثنية فمثلا عند قولهم : (جاوا الأولاد)

لا يمكن معرفة الصيغة المقصورة من خلال التركيب أهي صيغة جمع أم صيغة مثنى ، كما لا يمكن الوقوف على حقيقة هذا النوع من التراكيب من حيث النوع والعدد إلا المتكلم أو المخاطب.

إن الاستعمال اللغوي يبني أساسا بين وحدات لغوية صغرى بهدف بناء مكونات أكبر فمركبات فجمل، وتخضع عملية التأليف اللغوي إلى تنظيم على مستوى رتب الكلمات، وقد يختلف هذا الترتيب في اللغة الواحدة

كما يختلف من لغة إلى أخرى، و هذه التغيرات ليست (اعتباطية أو غير محددة، بل هناك ما يدل على وجود قيود على رتب المكونات الكبرى داخل الجمل) (1)

كما أن الفعل في العربية تلحق به علامة التثنيه أو الجمع إذا كان الفاعل مثنى أو جمعا ظاهرا.

قسم النحاة العرب الفعل في اللغة العربية بحسب الزمان إلى ثلاثة أقسام كما ذكر في الكتاب " وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع " (2) ورتبت الأفعال كما أوردها سيبويه في الكتاب - الفعل الماضي والمستقبل - والحال - (3)

غير أن بعض النحاة خالفوا هذا الترتيب ومن بينهم الزجاجي الذي رتب الأفعال على الشكل التالي : " المستقبل، الحال، ثم الماضي " (4). فحين يذهب هؤلاء النحاة إلى أن فعل الحال هو أسبق الأفعال ذلك أن

1- اللسانيات واللغة العربية ص 103

2- الكتاب ج 1 ص 12

3- زمن الفعل في اللغة العربية ص 3

4- الإيضاح في علل النحو ص 85

الأصل في الفعل أن يكون صدقا، وبالإشارة إلى فعل الحال يتحقق وجوده
ويصدق الخبر عنه، والماضي والمستقبل معدومان (1)
غير أن جمهور النحاة متفقون على أن ترتيب الأفعال من حيث الدلالة
الزمنية تنحصر في ثلاثة أزمنة مرتبة بحسب العرف والسائد والمشهور -
الفعل الماضي - الفعل - المضارع - والأمر.

والفعل له حدث وزمان والحدث بدون زمن يسمّى مصدرا والزمان بدون
حدث يسمّى ظرف زمان والحدث والزمان يعطيان الفعل - ووظيفة الزمن
اللغوي للفعل يتناولها من جانبين صرفي ونحوي وهما يختلفان عن
بعضهما البعض فالزمن الصرفي وظيفته صيغة لفعل وهيئته خارج
السياق والجميع يكاد يتفق على أن صيغة (فعل) وقيلها تفيد وقوع
الحدث في الزمن الماضي، أما صيغتي (يفعل) و(أفعل) تفيدان وقوع
الحدث في الحال والاستقبال - ومادام النظام الصرفي يقدم إلى السياق
قوايب تحمل إليه سماتها الدلالية فان صيغة (فعل) ينبغي أن تتمسك
بالدلالة الزمنية حين تنقلها إلى السياق - هذا كله يعني أن زمن الفعل
يكون صرفيا في الأفراد ونحويا في السياق - (2)

وقد ظل التقسيم الثلاثي لزمن الفعل في اللغة العربية مستقرا ثابتا على

1-الأشباه والنظائر ج2 ص 16

2-اللغة معناها ومبناها ص102

نفس النمط منذ عهد سيبويه (1) ، فالصرف علم يختص بنظام المباني
والصيغ (2)
أما الجانب الثاني المتمثل في الزمن النحوي فان وظيفته تعرف في
السياق يؤديها الفعل، أو الصفة أو ما نقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى
للکلم كالمصادر (1) والخوالم (3).

1-دروس في المذاهب النحوية ص17

2-اللغة معناها ومبناها ص 242

3-المرجع نفسه ص 242

لزومية الأفعال وتعديتها

فأثناء تعرض علماء اللغة إلى تقسيم الفعل حسب الزمن وتعلقة بالاسم قالوا بأن الفعل يمكنه أن يشكل مع الاسم جملة مفيدة إفادة يحسن السكوت عنها من خلال عملية اسنادية واحدة مكونة من مسند ومسند إليه، وقد تتضاف إلى عملية الإسناد فضلا لإتمام المعنى إن تطلب الفعل ذلك.

واستتبطت قواعد لتحديد طبيعة الأفعال التي تتطلب الاكتفاء بالاسم مع وضوح المعنى والتي تحتاج إلى متمم، وتعرف هذه الأفعال باللازمة والمتعدية، وضبطت للأفعال اللازمة وهي التي تشكل قلة قوانين يمكن من خلالها وبالاعتماد عليها التوصل إلى الغاية المرجوة دون إطناب أو إضاعة الوقت وهدر الجهود . (1)

وحصر النحاة الأفعال اللازمة في وزن (فعل) وهي الأفعال الدالة على صفة تلازم صاحبها ولا يمكن مفارقتها إلا لسبب قاهر، أو الأفعال الدالة على لون أو عيب أو حلية أو الدالة على نظافة أو دنس، و وزن فعل بخفض العين، الأفعال الدالة على أمر عرضي طارئ يزول بزوال سببه المؤقت، ووزن يفعل الذي يتعين لزومه من حركة عينه ووزن افعلل وإفعلل وانفعل واستفعل الذي يفيد الصيرورة وأوزان المطاوعة . (2)

1-الألسنية العربية ص60

2-اللغة العربية نحوها وصرفها ص27/3

وقد يصير الفعل المتعدي لازما إذا صيغ في أوزان المطاوعة من ذلك (جمعه فتجمع) ومن الممكن أيضا جعل الفعل الثلاثي اللازم متعديا، وذلك بإحدى الأدوات التالية:

إدخال همزة النقل على الفعل اللازم الثلاثي وتضعيف عينه وتحويله إلى وزن استفعل وفاعل ومعاملته بحرف الجر (اكرم وكرم واستحسن) يصير الفعل اللازم متعديا في الحالات الآتية:

إذا دخلت همزة على الفعل ففي جلس الولد تقول أجلس الولد، الفعل أصبح متعديا بواسطة همزة في أوله.

ويصير أيضا متعديا بتضعيف عينه ففي نحو: قدم الرئيس، تقول قدمت الرئيس، صار الفعل اللازم متعديا بواسطة تضعيف عينه وهي الدال (1).

-إذا نقل الفعل اللازم من وزن فعل إلى وزن فاعل نحو: مشى الطالب ماشيت الطالب، تعدى الفعل اللازم بانتقاله إلى وزن فاعل.

-ويتعدى كذلك إذا نقل إلى وزن استفعل نحو: خرج المال، استخرجت المال. (2)

1- اللغة العربية نحوها وصرفها ص 33-34

2- اللغة العربية نحوها وصرفها ص 34

أما في حالة تعدي الفعل اللازم بواسطة حرف جر، فإن المجرور قد ينصب بنزع الخافض وإسقاط حرف الجر، ولا يخضع في هذه الأثناء لضوابط أو قواعد معينة، ويدخل في باب السماع الذي لا يقاس عليه كقوله تعالى: (واختار موسى قومه سبعين رجلا) أي اختار موسى من قومه فلما سقطت (من) نصب قوم بنزع الخافض أي علامة الجر. (1)

والمتعدي هو الذي يتجاوز أثره من الفاعل إلى مفعول به واحد أو أكثر نحو: ضرب عمر زيدا، ومنح الأستاذ التلميذ جائزة. ومن علامة الأفعال المتعدية أن تقبل هاء الضمير التي تعود إلى المفعول به، فإذا تم معناه كان متعديا وإلا كان غير ذلك.

والفعل المتعدي إما أنه يتعدى بنفسه مباشرة نحو: اعمل الخير أنساه، وإما بواسطة حرف الجر نحو: ساب التريد للعبيد، اضحك مع الكلب يهر عليك.

والفعل المتعدي أنواع:

-الفعل المتعدي إلى مفعول به واحد ويوجد بكثرة في اللغة العربية بحيث يشكل عملية اسنادية واحدة مكونة من مسند، ومسند إليه، وفضلة.

-الفعل المتعدي إلى مفعولين، والأفعال من هذا النوع تنقسم إلى قسمين:

-أفعال تنصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبر

-وأفعال تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر

و النواع الثاني قسمان :

أفعال القلوب : وهي أفعال تعني الإدراك بالحس الباطن فمعانيها قائمة بالقلب والعقل، وليس كل فعل قلبي يتعدى إلى مفعولين (1)

-أفعال التحويل : وهي بمعنى صيّر وتنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر نحو : صيّرت الماء جليداً، وقوله تعالى : (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)

المتعدي لثلاثة مفاعيل

الأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل تنحصر في سبعة وهي : أرى، أعلم، حدّث خبر، أخبر، أنبأ، نبأ نحو : يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم الهاء ضمير متصل مفعول به مقدم، وأعمال مفعول به ثان، وحسرات مفعول به ثالث منصوب بالكسرة النائبة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم. (2)

العلاقة بين المفعولية والجر بالحرف.

يتعدى الفعل في الكثير من الأحيان بنفسه دون الاستعانة بحرف الجر وأن الاسم الواقع عليه الحدث والذي يطلق عليه المفعول به منصوب لوقوع الإسناد عليه وهو يستمد قوته من الإسناد الضمني مباشرة، بغض النظر عن الأفعال التي تحتاج أحيانا إلى حرف جر، وقد يختفي فيها هذا الحرف وتنصب حينئذ على نزع الخافض كقولهم : توجهت مكة . (3)

1-اللغة العربية نحوها وصرفها ص31/3

2-الأسنية العربية ص60-61

3-المرجع نفسه ص 62-63

وأما المجرور بالحرف فهو في عداد المجرورات ومن علامته الكسرة وحروف الجر. أدوات تختص بالأسماء وتعمل فيها وتمنحها مميز حركي معين، وإذا أردنا أن نفرّق بين المفعول المنصوب بالفعل المتعدي بنفسه والمجرور بالحرف وجدنا أن الأول يؤدي معنى ضروريا في العملية الإسنادية لأنه طرف أساسي فيها، بينما لا نجد للنوع الثاني أهمية معنوية أو نحوية في العملية الإسنادية وبالتالي فهو لا يؤدي إلا معنى فرعيا قد يستغنى عنه لأنه تكملة لا غير.

فقد نعثر على المفعولات في الجمل الفعلية التي تنصدرها أفعال متعدية بينما لا نجد لها أثر يذكر في الجمل الفعلية التي يتصدرها فعل لازم، كما نجد المجرور بالحرف مع الأفعال المتعدية واللازمة.

وإذا أردنا معرفة المجرور بالحرف وأهميته في التركيب والذي لا يكاد ينكشف معناه الجديد إلا بعد أن يوضع الحرف مع مجروره في التركيب ليتبين المدلول الإضافي المتوخى من العلاقة القائمة بين الحرف والمجرور وبين الإسناد الضمني. ومن هنا نستطيع الوصول إلى أن الجار والمجرور يتألف من عناصر ثلاث، الحرف، والمجرور، والعلاقة الضمنية التي تربطهما بالعملية الإسنادية. (1)

فمهمة المجرور بالحرف هي إتمام معنى التركيب واستكمال بعض

نقصه بما يضيفه من معنى فرعي جديد، والمراد من تعلق الجار والمجرور بالإسناد الضمني هو ارتباطهما معنويا لتكملة معنى الإسناد.

علامات الفعل:

كما سبق الذكر فإن الفعل هو ما دل على حدث وزمن، والفعل عمده في اللغة العربية ومكوناتها التركيبية وأساس الجملة الفعلية، ولنفرّق بين الفعل وبقيّة الوحدات الكلامية لابد من الوقوف على مميزات الفعل وخصائصه خاصة بين الأفعال الدالة على زمن غير زمن الفعل الآخر -
فعلامات الماضي غير علامات المضارع أو فعل الأمر -
ويجوز أن يسبق الفعل بأدوات تفيد النفي أو الاستفهام أو الشرط أو التأكيد والتحقيق والتقليل أو الاستقبال أو الطلب من ونهي وعرض وتحضيض وتمن وترج. (1)

الفعل الماضي:

لكي نقف على العلامات المميزة للفعل الماضي يجدر بنا أن نتتبع آثار الكتاب الذي يعد أول مصدر لغوي عربي عالج هذه المواضع بدقة متناهية بحيث قال: (وأما بناء ما مضى فذهب - وسمع - ومكث وحمد" وقوله: " والفتح في الأفعال التي لم تجر مجرى المضارعة قولهم: ضرب وكذلك كل بناء من الفعل كان معناه فعل. (2)

1-الكتاب 31/1 -المفصل ص243

2-المرجع نفسه /112

وذهب الجرجاني في فلك سيبويه في تحديد علامات الفعل الماضي حينما قال : أنواع الفعل على ثلاثة أمثلة : فعل المفتوح الآخر، نحو ضرب وانطلق واستخرج، وهو للماضي خاصة " (1)

أما الزمخشري الذي عرف الفعل الماضي بأنه حدث مرتبط بزمان قبل زمن التكلم، فقد ذكر أن الفعل الماضي يبني على الفتح، ثم على حركتي السكون والضم اللتان تلحقان آخر الماضي ما لم يكن معتل الآخر . (2) اجمع علماء النحو القدماء على أن علامات الفعل الماضي تنحصر أساسا في الصيغة أولا وفي الحركة الإعرابية التي تلحق آخر الفعل ثانيا . ولم يخرج النحاة العرب عن سابقهم في تحديد العلامات التي تلحق آخر الفعل الماضي.

لقد حفلت أمهات الكتب النحوية واللغوية القديمة بالأفعال الماضية على اختلاف صيغها وبنيتها وحركاتها، للفعل الماضي الثلاثي صيغ ثلاث وهي صيغة فعل بفتح الفاء والعين، وصيغة فعل بفتح الفاء وكسر العين وصيغة فعل بفتح الفاء وضم العين.

هذه الصيغ لا توجد في العامية بنفس الطريقة التي تخضع للمقاييس

1-الجمال في النحو ص : 38-الكتاب 16/1

2-المفصل ص : 244

الصرفية وإنما بنوع من التحريف في صيغ الفعل الماضي الثلاثي بحيث لا يمكن النطق في العامية بصيغة فعل بكسر العين نقول : سمع ضحك، حزن، فهم، ورث كل هذه الأفعال على صيغة فعل بكسر العين لكنها تنطق في العامية بفتحها بدل الكسر، وقد نجد هذا النوع من التحريف أيضا في صيغة فعل بضم العين فمثلا: بطل، سهل، طهر كلها حرقت ونطقت بصيغة مخالفة لما عليه في الفصحى، بحيث نقول : بطل، سهل، طهر بفتح العين. تبقى العامية على الصيغة الأولى فعل بفتح الفاء والعين مثل العربية، وإن لم تتجو هي الأخرى من التحريف لأن البعض ينطق فاء الفعل ساكنة نقول : دخل، كتب، خرج بإسكان الفاء .

وليست هذه الصيغ المستعملة في الفعل الماضي الثلاثي من صيغ الفصحى، نفس التحريف نجده على مستوى الأبنية والحركات حيث أن العامية لا تخضع لمقاييس صرفية في بنية الكلمة واشتقاقها هذا من جهة أما من جهة ثانية فهي لا تعترف بما يصطلح عليه بالحركات الإعرابية التي يعتبرها علماء أجلاء في علوم العربية هي مفتاح وسرّ جمال اللغة العربية .

ومن الأمثال الشعبية التي يمكن أن نقف على بعض استعمالاتها والتي قد توافق أو تخالف تلك المستعملة في العربية الفصحى نأخذ المثل التالي :

(ضربني وابكى وسبقني واشتكى)

اشتمل التركيب الشعبي على بنيتين أساسيتين (ضربني) و (سبقني) انعطفت على كل بنية جملة فعلية أعطت للتركيب أكثر وضوحا وحقت غرضا بلاغيا تمثل في التوافق بين الفاصلتين (بكى - ويشتكى) مما أحدث تناغما وإيقاعا موسيقيا . لكن الذي يهمنا أن الجملة الفعلية

(ضربني) توفرت على جميع العناصر المكونة للجملة الفعلية في اللغة العربية الفصحى من (فعل - فاعل - مفعول به) غير أن الفعل الماضي الذي من علامته البناء على الفتح جاء في التعبير الشعبي مبنى على الوقف وهذه خاصية من خصائص التعبير العامي، الذي لا يراعي ولا يعترف بقواعد اللغة العربية إلا بما جاء عفويا سماعيا لا يستند إلى أية قاعدة لغوية .

وهذه الخاصية لا تقتصر على الأفعال فقط بل تتعداها لتشمل الأسماء أيضا ولنأخذ المثل الشعبي التالي : (حج وزمزم وجا للبلا متحزم) اشتمل التركيب هنا على أربعة أفعال ماضوية جاءت جميعها مبنية على الوقف الآ فعل (جا) لاعتبارات لغوية صوتية على أساس أن الهمزة في الاستعمال الشعبي إما أن تحذف أو تكون منقلبة وهذا تجنباً للتقل والمعروف أن الخطاب الشعبي يميل دوماً إلى البساطة والسهولة ولأن فعل (جا) في العامية حذفت منه الهمزة لأن الأصل (جاء) تبسيطا وتخفيفا وتسهيلا للنطق والاستعمال، وحذفها في العامية كثير .

ونجد الأسماء التي اشتمل عليها نفس التركيب تخضع هي الأخرى لعلامات الوقف، فعملية الوقف تكاد تعم الخطاب الشعبي برمته إلا في استثناءات قليلة.

الملاحظ أن الجملة الفعلية في التعبير الشعبي والمشتمة على العناصر الأساسية المكونة لها تكاد تنفرد بأسلوب لغوي يختلف عما هو متعارف عليه في اللغة العربية الفصحى بحيث نجد أن الفاعل في التعبير الشعبي يأتي دوماً ضميراً مستترا كقولهم:

(جا يضرب الكرمة اخطى الجنان)

(خلطها تصفى)

(كذب اللوز وصدق المشماش كذب الشيب وصدق التكماش)

أما الفاعل كاسم ظاهر لانكاد نعثر عليه في الخطاب الشعبي إلا نادراً وهذا يعود في رأينا إلى طبيعة المثل الذي لا يعرف قائله فكان فاعله هو الآخر مجهول، وحتى وإن ذكر كان عاماً غير خاص كقولهم:

شافوني الناس وشافوك الناس

الفعل المضارع

تميز الفعل المضارع عن غيره من الأفعال علامات وهي تخص الهيئة التركيبية، منها الزوائد الأربعة وهي: الهمزة، التاء، الياء، والنون، وذلك قولك (أفعل أنا، وتفعل أنت، ويفعل هو، ونفعل نحن) (1)

أما على المستوى الإعراب فالفعل المضارع يقبل دخول حروف النصب والجزم (وإنما العمدة في تعريف المضارع دخول (لم) عليه)

ومن مميزات الفعل المضارع أنه يقبل دخول (السين) و(سوف) في أوله كما تلحقه (لام) كما هو الشأن بالنسبة لاسم الفاعل وهذه (اللام) لا تلحق الفعل الماضي نحو قولك : إن زيدا (ليفعل) وفي اسم الفاعل نحو : إن زيدا لفاعل، والفعل المضارع يقبل كذلك دخول (قد) وما النافية (1) ومن علامات الفعل المضارع أن ينصب بناصب ويجزم بجازم، والجزم لا يخص إلا الفعل المضارع كما جاء به سيبويه : ((واعلم أن حروف الجزم لاتجزم إلا الأفعال، ويكون الجزم إلا في هذه الأفعال المضارعة للأسماء، كما أن الجر لا يكون إلا في السماء)) (2)

يظل يخدم ويبات كالفاس برّي

يطيح الفار يتفلق

تتحي الطمع يصفى الحساب

نبكي ونمشي

نعرفوا بعضنا بعض

علامات الفعل المضارع تتمثل في الزوائد بالدرجة الأولى هي نفسها نجدها في استعمالات الفعل المضارع في الأمثال الشعبية باستثناء الهمزة التي تتحول في صيغه المتكلم إلى (نون) وبالتالي تصبح كل من صيغة المتكلم المفرد وصيغة جمع المتكلم تبدأان بالنون مثل (نبكي ونمشي)

1-قطر الندى ص44 -شذور الذهبي ص23

2-الكتاب - 9 / 3

بدل (أبكي وأمشي) و(نعرفوا بعضنا بعض) علامة الفعل المضارع هنا تتمثل في النون الزائدة والدالة على جمع المتكلم، وعلامة الجمع (الواو) التي هي في آخر الفعل، وبذلك فإن الصيغة في الاستعمال الشعبي تختلف والصيغة في الاستعمال اللغوي الفصح . ما بقية الصيغ الأخرى كالمخاطب والغائب فهي تحتفظ بنفس العلامات التي توجد في الفعل المضارع في اللغة العربية، أما علامات النصب والجزم التي تحدث بفعل تأثير من حروف تسبق المضارع، فهذا التأثير اللغوي على أواخر الأفعال المضارعة لا تنطبق بتاتا على الأفعال المضارعة في الأمثال الشعبية أو بصفة عامة في التعبير العامي، وهذا بسبب عدم إخضاع التعبير العامي لقواعد الإعراب، وما دخول الأدوات الناصبة أو الجازمة على الأفعال المضارعة في التعبير الشعبي إلا شكليا بحيث لا تؤثر على الجانب الإعرابي كون أن كل الأفعال تنطق ساكنة باستثناء الأفعال المعتلة التي ينطبق عليها ما ينطبق على الأفعال المعتلة الآخر في اللغة العربية ومثل ذلك (تحي الطمع يصفى الحساب)

لكن الجانب البنيوي له شأن آخر فعندما تدخل أدوات النفي أو النهي على الأفعال في التعبير الشعبي فإنها تضيف عليها معاني أسلوبية جديدة لا تقل أهمية بالنسبة للأساليب اللغوية الأخرى المستعملة في أرقى اللغات، ومن أمثلة ذلك قولهم (لا تضرب حتى تقرب ولا تصحب حتى تجرب) اشتمل التركيب على فاصلتين توافقت وتساوت تقفية ورويا، وقد تصدر كل بنية حرف نهي (لا) الناهية الجازمة التي تدخل على الفعل المضارع فزيادة عن جزمها للفعل المضارع، تفيد نهي عن فعل الشيء والكف عن الإتيان به .

هذه الميزة نجدها في المثل الشعبي السالف الذكر، الجزم والنهي، غير أن الجزم هنا ليس من اختصاص (لا) الناهية التي سبقت الفعل فهي لم تؤثر في الفعل الذي تقدمته لكن الجزم هو خاصية من الخصائص التي تلازم الفعل بصورة عامة.

وقد نجد ذلك أيضا في أسلوب النفي عندما نجدهم يقولون : (ما يعمل خير ما يتفق عليه) بحيث احتوى التركيب على بنيتين اثنتين تصدر كل بنية حرف نفي (ما) ويرى النحاة أنها تعمل عمل ليس بشروط، ومن هذه الشروط ألا يتقدم خبرها على اسمها، ولا تزداد بعدها إن فإن زدت بطل عملها، وألا يكون في جملتها (إلا) وأن لا تكون داخلة على الفعل فإن دخلت أهملت كما هو الشأن لها بالنسبة للمثل الذي نحن بصدد الحديث عنه فهي هنا مهملة غير عاملة.

لكن هذا لا يعني أنها لم تؤدي وظيفتها الدلالية المتمثلة في نفي عملها في كلا البنيتين، والذي قد اشتمل عليهما التركيب .

حين يقترن الفعل المضارع بواو الجماعة في مثل تكتبون وياء المخاطبة في مثل تكتبين تلازمه النون لأنها علامة رفعه، إلا إذا دخل عليه جازم أو ناصب فإنها تحذف في الحالتين إذ يقال : لن تكتبوا ولن تكتبي.

هذه قاعدة اللغة العربية الفصحى وقد أشار إلى ذلك ابن مالك في كتابه التسهيل (ندر حذفها مفردة في الرفع نظما ونثرا) ويذكر السيوطي في الهمع أن حذف النون في المضارع المجموع والمخاطب به الأنثى ورد في النظم والنثر، ويأتي بأمتلة على حذف النون دون ناصب أو جازم من القرآن الكريم (قالوا سحران تظاهرا) فقد قرئت : (قالوا ساحران تظاهرا) بتشديد الظاء والأصل تتظاهران فأدغمت التاء في الظاء وحذفت نون الرفع، والمعروف أن صيغة المضارع المقترن بعلامة

التثنية غير موجودة في العامية، إذ نجد عوضاً منها واو الجماعة دالة على التثنية والجمع، وسوقنا هذا المثال لأن صيغة (تظاهرة) تعدّ أختاً لصيغة تظاهروا المقترنة بواو الجماعة.

كما استشهد بالحديث النبوي الشريف (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا) بحذف نون الرفع من الفعلين (تدخلوا وتؤمنوا) المنفيين بلا النافية، ولم يسبقهما جازم ولا ناصب يقتضي حذف النون . (1)

تستخدم العامية مكان علامة التثنية ضمير جماعة الذكور وتعممه مع الإناث فتقول :

يدخلوا الولاد للمدرسة) و(لولاد يدخلوا للمدرسة) و (يدخلوا البنات للمدرسة)

واو الجماعة جاءت بصيغة التثنية بحيث لا يمكن أن نفرق بين صيغة الجمع والتثنية في التعبير العامي، ونفس المعنى التي يحملها المثال الأول هي التي نجدها في المثال الثاني . أما المثال الثالث فإن الفعل المضارع وإن جاء بصيغة جمع الذكور غير أنه يؤدي معنى التثنية أو جمع المؤنث، وهو إخلال شديد بصياغة العربية، إذ القاعدة الصرفية في حالة التثنية للإناث حضرتتا - تحضران.

وقد تجري العرب أحيانا الإثنيين مجرى الجمع كما جاء في قوله تعالى في سورة الحج : (هذان خصمان اختصموا في ربهم) وقوله جلّ شأنه في صورة الحجرات : (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) بإعادة ضمير الجماعة في الآيتين على مثني كل منهما .

وأجاب الأسلاف على ذلك بأن الواحد في الخصمين والواحدة في الطائفتين: كلا منهما مكون من أفراد أي أن اللفظتين مثنيان في الظاهر وجمعان في الواقع، ولذلك عاد عليهما ضمير الجماعة .

فلا يجوز في قانون العربية أن يقال : زيد وعمر جاءوني بل يقال : جاءاني إلزاما بقواعد اللغة العربية في وجوب المطابقة بين الضمير وما يعود عليه مفردا ومثني وجمعا .

يبدو أيضا أن العامية لا تفرّق بين ضمير جماعة الذكور وضمير جماعة الإناث، كما أنها لا تستخدم نون جماعة النسوة مع الإناث، واكتفائها بضمير جمع الذكور في كلا الحالتين.

وهذه ظاهرة لغوية رافقت العامية منذ القديم وأصبحت ميزة من مميزاتا يصعب التخلص منها بسهولة.

قد نجد في الاستعمال العامي أن الأفعال المنفية في صيغة المضارع وحتى في الماضي تلحق بحرف الشين فتقول في الأفعال المنفية.

ما حضر - ما يحضر (ما حضرش - ما يحضرش)
ويعتقد أن العامية المستعملة في الأقطار العربية اختزلت (الشين) من
كلمة (شيء) التي كانت تلحقها بالماضي والمضارع في مثل (ما حضر
شيء - ما يحضر شيء) قائلة (ما حضرش - ما يحضرش). ومع مرور
الوقت أصبحت الشين في العامية لا تدل على كلمة (شيء) وإنما تدل
على تأكيد النفي، وقد نجد استعمالات أخرى دالة هي الأخرى على النفي
فعندما نقول مثلا : (منيش عارف) وكلمة (منيش) هي مركبة من ما
النافية وضمير المتكلم بالإضافة إلى الشين الدالة على النفي و الملاحظ
أن ما النافية حذفت منها الألف، والضمير قلبت فيه الألف ياء، وقد
يصعب كما سبق الذكر التخلص من هذه الظواهر في الاستعمالات
العامية .

ومن علامات الفعل المضارع ثبوت النون في الأفعال الخمسة، فهي تظهر
في آخر الفعل أثناء الرفع وتختفي أثناء النصب والجزم، بسبب تأثر الفعل
بعوامل خارجية كدخول عليه حروف النصب والجزم، أما إذا أخذنا
التعبير الشعبي (يتعلموا العجامة في روس اليتامى) فالأمر يختلف تماما
فقد خرج الفعل عن العادة المألوفة بفقدانه لعلامة الوقف التي هي خاصية
من خصائصه ويعود ذلك في اعتقادنا لصيغة الجمع وعلامة الواو دالة
على ذلك، لكن التساؤل عن سبب حذف النون يبقى مطروحا بالرغم من
عدم دخول أي حرف يستطيع أن يؤثر على الجانب الإعرابي للفعل غير
أن ما يمكن تفسير هذه الظاهرة اللغوية في التعبير الشعبي تتمثل في
اللجوء إلى البساطة والسهولة في استخدام المفردات اللغوية في التعابير
الشعبية بدل التعقيد .

الفعل الأمر

لا يقع الأمر إلاّ على الفعل ومثله النهي، يرى الخليل أن الأمر قد يقع على الغائب ويكون ذلك بلام الأمر، ويجوز أن يؤمر المخاطب بلام الأمر، وذلك بين من خلال الحديث الشريف الذي استشهد به الخليل لتأخذوا ماصافكم"

قال : سيبويه : والأمر والنهي لا يكونان إلاّ بفعل وذلك قولك : زيداً اضربه، وعمراً أمر به، وخالداً اضرب أباه، وزيداً اشتر له ثوباً . ومثل ذلك : أما زيداً فاقتله، وأما عمراً فاشتر له ثوباً - وأما خالداً فلا تشتم أباه . وأما بكراً فلا تمرر به، ومنه زيداً ليضربه عمرو، وبشراً ليقتل أباه بكر، لأنه أمر لغائب بمنزلة أفعال للمخاطب " (1)

الأمر لا يقع إلا على الفعل ومثله النهي وهذا ظاهر قول سيبويه كما نجده يوافق أستاذه في أمر الغائب بلام الأمر كأمر المخاطب دون الاعتماد على اللام في حالة الخطاب - والنهي عندهما بمثابة الأمر - فلا يخلو الفعل في حالة النهي من " لا " الناهية، والنهي محمول على الأمر كما تصوره ابن جنّي (1)

كما نجد سيبويه يتعرض إلى تعريف الأمر من خلال الحركة الإعرابية في سياق حديثه عن الكلم من العربية فقد جاء (والوقف قولهم اضرب في الأمر) - وبذلك فإن الوقف ميزة يعرف بها فعل الأمر -

ويعتبر الجرجاني هو الآخر الوقف شرطاً أساسياً في تعريف فعل الأمر الذي يخص المخاطبة في رأيه (2)

بينما عرف الزمخشري فعل الأمر عن طريقة المضارع بنزع الزوائد فتقول: ضع، وفي تضارب، ضارب، مما تحرك أوله، فإن سكن فيصدر بهمزة وصل لئلا يبتدأ بالساكن، فتقول: في تضرب اضرب، وفي تنطلق وتستخرج - انطلق، واستخرج...

فإن كان الزمخشري قد اعتبر فعل الأمر بمثابة الفعل المضارع المجرد من الزوائد وهو مذهب المدرسة البصرية وسار على نفس النهج ابن

1- الخصائص - 15/3

2- كتاب الجمل في النحو - ص 41

هشام أحد أقطاب المدرسة المصرية، وحدد علامة فعل الأمر بشيئين
عندما يقول " وعلامة الأمر مجموع شيئين لا بدّ منهما.

1- أحدهما أن يدل على المخاطب، والثاني أن يقبل ياء المخاطبة " (1)
وياء المخاطبة التي يقبلها فعل الأمر في آخره، تميزه عن اسم فعل
الأمر، فإن ياء المخاطبة في آخر الفعل دالة على فعل وإلا فهي اسم فعل
وعلامة الفعل الأمر إما معنوية تعرف من خلال الاستعمال الدال على
المخاطبة أو النهي، أو مادي يتمثل في علامة الوقف على آخر الفعل
وإذا رجعنا إلى الفعل في صيغة الأمر بالنسبة للاستعمال الشعبي وجدناه
يتوفر على جميع المعايير الموجودة في اللغة ومن أمثلة ذلك نذكر (انجر
وقيس) - (اخدم يا التاعس للتاعس) - (بكر لحاجتك تقضيها)

جميع هذه الأفعال المذكورة في الأمثال الشعبية جاءت على صيغة الأمر
مستوفاة لجميع الشروط والمقاييس اللغوية والمتمثلة في الطلب والمخاطبة
والوقف على آخر الحرف بالسكون، تماما كما هو الشأن في نظام قواعد
اللغة العربية.

فعل الأمر عند النحويين كلمة تدل على أمرين هما : المعنى الدال على
فعل الأمر وتحقيقه في الزمن المستقبل، كما لا بد أن يدل بنفسه مباشرة
على طلب من دون زيادة على صيغة (افعل) وذلك واضح في قول
سيبويه: (وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمرا : اذهب، واقتل،
واضرب.) (1)

ومن خلال قراءتنا وتفحصنا للامثال الشعبية، وقفنا على توظيف الجمل الفعلية الدالة على الأمر بشكل ملفت للنظر مقارنة بالجمل الفعلية الماضية والمضارعية، وهذه النسبة العددية المرتفعة في الاستعمال تعود بالدرجة الأولى إلى أن المثل الشعبي يعتمد الأسلوب الخطابى المباشر استجابة للموقف الذي يتطلب العبرة والموعظة.

5- شبه الجملة:

قبل أن نتطرق إلى مفهوم شبه الجملة كما عرفها علماء اللغة ينبغي الوقوف على معاني حروف الجر التي تعتبر عمدة في تأسيس شبه الجملة

ولا بأس من عرض معاني حروف الجروما تؤديه من وظائف نحوية ولغوية.

فإذا كان الاسم والفعل يدلان على معنى في أنفسهما، فإن حرف الجر كلمة تدل على معنى في غيرها وتسمى حروف الجر لأنها تجر ما بعدها من الأسماء، وتسمى بحروف الإضافة أيضا لأنه تضيف أو توصل معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها.

وإذا تصفحنا أهم المصادر اللغوية نجد أن علماء اللغة العربية قد قسموا حروف الجر إلى ثلاثة أنواع ويمكن حصرها فيما يلي:

1-نوع يلزم الحرفية وهي : من، إلى، حتى، في، الباء، اللام، ربة،
واو القسم، وناء القسم.

2-نوع يكون الحرف فيه حرفا ويكون اسما وهي : على، عن، الكاف،
مذ، ومنذ.

3-نوع يكون حرفا ويكون فعلا وهي: حشا، وعداء، خلا.

ولا بأس من ذكر معنى كل حرف جر .

من: ولها عدة معاني بحسب استعمالاتها في التركيب فهي تفيد ابتداء
الغاية نحو (خرجت من البيت) وتكون للتبعيض من قوله تعالى (خذ
من أموالهم صدقة) بمعنى بعضها، وقد تكون بيانية للجنس (هذا رجل من
حديد) وتكون مزيدة للتأكيد نحو: ما رأيت من أحد، ويرى علماء النحو
وفي مقدمتهم سيبويه أنها لا تزداد إلا إذا تقدمها نفي أو نهي أو استفهام
وأن يكون المجرور بكسرة، فاعلا أو مفعول به أو مبتدأ.

وتفيد السببية والتعليل مثل: (مما خطيئاتهم اغرقوا) وتأتي بمعنى (عن)
مثل: (يا ويلنا لقد كنا في غفلة من هذا)

إلى : وهي بعكس من بحيث تدل على انتهاء الغاية، وتدل أيضا على
معنى المصاحبة وهي بذلك تؤدي معنى (مع) نحو : فاغسلوا وجوهكم
وأيديكم إلى المرافق.

حتى : وهي بمنزلة (إلى) إلا أنها تختلف عنها في أن مجرورها يجب أن
يكون آخر جزء من الشيء إلا أن حتى تدخل فيه ما قبلها من المعنى فإذا
قلت : أكلت التفاحة حتى لبثها فاللّب مأكول . وربما استعملت (حتى)
غاية ينتهي الأمر عندها، فنقول صمت الأيام حتى يوم الفطر، وحينئذ لا

تكون قد صمت يوم الفطر، ولا تجر المضمر، فلا يجوز أن نقول حتاه
كما نقول إليه .

في : معناها الظرفية مثل خالد في مدرسته، أي أن المدرسة قد حوته
وتفيد معنى (مع) مثل ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم، أي : مع أمم.
الباء : وهي أيضا لها معاني عديدة ومتنوعة ومنها الإلصاق، والاستعانة
والسببية والتعليل، و تكون للتعدية، و للقسم ، وتكون أيضا للعوض،
وتفيد معنى الظرفية وكذلك معنى (مع) ومعنى (من) التبعيضية ومعنى
(على)، وقد تزداد الباء في الكلام فتفيد التوكيد.

اللام : وهي تدل على الملك أو الإختصاص وتأتي هذه اللام مكسورة مع
الاسم الظاهر وتكون مفتوحة مع المضمر نحو : هذا المال لك .
وقد تكون زائدة لمجرد توكيد الكلام، وتفيد معنى الصيرورة وتسمى لام
العاقبة.

ربّ : حرف من حروف الجر ويحمل معنى تقليل الشيء الذي يدخل
عليه وهو نقيض كم الخبرية إذ هي للتكثير وربّ للتقليل والفرق بينهما
هو أن الخبرية اسم وربّ حرف نحو : ربّ أخ لك لم تلده أمك، ولا تقع
رب إلا على نكرة، وهذه النكرة المجرورة إما أن تكون اسما ظاهرا أو
مضمرا.

واو القسم وتاء القسم : أصل حروف القسم الباء، أما الواو فمبدلة منها
توسعا في اللغة، لان الواو أخف من الباء، وتبدل التاء من الواو.
ويلاحظ أن باء القسم تدخل على الظاهر والمضمر فتقول : بالله وبه
والواو لا تدخل إلا على الظاهر فتقول : والله، والتاء لا تدخل إلا على

لفظ الجلالة وتالله، كقوله تعالى : (تالله تفتأ تذكر يوسف) وقوله : (وتالله لأكيدن أصنامكم)

عن - أيمن : أيمن عند سيبويه اسم مفرد وضع للقسم، مشتق من اليمن وهو البركة وهمزة أيمن همزة وصل خلافا للقاعدة إذ لم تجئ همزة وصل مفتوحة في الأسماء، في غير هذا الحرف.

وقد التزمت العرب في أيمن الرفع على الابتداء . وقال البصريون أن (أيمن) مفرد مشتق من اليمين . وقال الكوفيون أنه جمع يمين وهمزته همزة قطع.

على : وهي من الأدوات التي يمكن أن تكون حرفا أو اسما، فإذا كانت حرفا دلت على معنى الاستعلاء فيما دخلت عليه كقولك خالد على الفرس خالد علينا أمير.

وإما إذا كانت اسما فتكون ظرف مكان بمعنى الجهة ويدخل عليها حرف الجر كما يدخل على غيرها من الجهات.

عن : وهي مشتركة بين الحرف والاسم أيضا والحرفية معناها المجاوزة، نحو: انصرفت عن خالد، وإذا كانت اسما فتكون بمعنى الجهة أو الناحية فتقول جلست من عن يمينه، وتعرف بدخول حرف الجر عليها لأن حرف الجر لا يدخل على حرف مثله.

الكاف : الكاف الجارة معناها التشبيه، وتكون اسما بمعنى مثل كقولك أنت كخالد فعند سيبويه والبصريين أنها حرف إلا إذا وقعت موقع الاسم المفرد مثل: أنت ككما قيل لي، والتقدير أنت كمثل ما قيل لي، فدخول الكاف الأولى على الثانية لا يعني إلا أن الثانية اسم لأن حرف الجر لا

يدخل على حرف مثله، وقد تفيد التوكيد وتكون حينئذ زائدة مثل : ليس كمثل شيء أي ليس مثله شيء.

مذ ومنذ : تكونان اسمين وتكونان حرفين فإذا كانت إحداهما اسما رفعت ما بعدها وإذا كانت حرفا جرته، وكذلك إذا كانت حرفا كانت متعلقة بما قبلها نحو: ما رأيته منذ يوم الجمعة فهي هنا حرف جر، وإذا قلت ما ذهبت إلى المدرسة مذ أنت فيها .

فهي هنا اسم، وإذا قلت : ما رأيته مذ يومان خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هو يومان.

حاشا : معناها التنزيه والبراءة وتكون حرف جر كما تكون فعلا يدل على الاستثناء ويكون ما بعدها منصوبا على المفعولية.

فإذا قلت حاشا لله، فلا يكون (حاشا) إلا فعلا لأنه لو كان حرف جر لما أمكن أن يدخل على حرف مثله (واللام عند بعضهم زائدة)

عدا و خلا : يكونان حرفين فيجران ما بعدهما نحو : أتاني القوم خلا سالم و عدا خالد ويكونان فعلين فينصب ما بعدهما على انه مفعول به نحو : جاء الرجال عدا سليما، فإذا تقدمتهما ما المصدرية تقرر اعتبارهما فعلين فقط نحو : جاء الجنود ما عدا القائد، ف (القائد) مفعول به فقط.

كي : قد تكون كي حرف جر إذا دخلت على ما الاستفهامية نحو : كيـه وهي بمعنى له، فما الاستفهامية مجرورة بكي، وحذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها، والهاء للسكت (1)

ويقصد بها الظرف، أو الجار الأصلي مع المجرور وإنما سميت بذلك لأنها مركبة كالجمل، فهي تتألف من كلمتين فأكثر، لفظاً أو تقديراً، وهي غالباً ما تدل على الزمان أو المكان. وإن تعلقت بكون محذوف دلت على ضمير مستتر أيضاً، فكانت كالجمل في تركيبها . ولهذا فهي تغني أحيانا عن ذكر الجملة، وتقوم مقامها.

ولما كانت أكثر ما تتعلق بالفعل وتدل على الجملة كانت أشبه بالجمل منها بالمفردات، ولما كانت العلاقة بين كلماتها غير إسنادية، ولا شرطية خرجت عن الجمل فدرستها النحاة مع المفردات.

ولأن الجار والمجرور غالباً ما يفيدان معنى الظرفية المكانية أو الزمانية فقد توسع النحاة في معنى الظرف، فأطلقوه أحيانا على الجار والمجرور وجعلوه مرادفاً لـ "شبه الجملة" ولكن الأفضل أن يكون تمييز واضح بين هذه المصطلحات.

إن الهيئات التركيبية التي تنصدرها حروف الجر وهي: (من، إلى، عن، على، في، اللام، الباء، التاء، الواو، الكاف، كي التعليلية، حتى الجارة، رب، مذ، منذ، خلا، عدا، حشا . فالحروف السبعة الأولى يليها مباشرة اسم، أو ضمير، أو مركب إضافي، أو مركب موصولي

وقد مثل للجملة الظرفية الزمخشري بقوله: (خالد في الدار)

وهو مبني على أن الاستقرار المقدر فعل لا اسم وعلى أن حذف وحده وانتقل الضمير إلى الظرف بعد أن عمل فيه، فالظرفية هي المصدرة بظرف أو مجرور، نحو: أعندك زيد - أفي الدار زيد، إن قدرت زيدا فاعلا بالظرف، والجار والمجرور، لا بالاستقرار المحذوف، ولا مبتدأ مخبر عنه بهما.

والخبر إذا وقع ظرفاً أو جاراً ومجروراً كما ذكره الزمخشري، ليس الظرف بالخبر على الحقيقة لأن الدار ليست خالد في شيء وإنما الظرف معمول الخبر، ونائب عنه، والتقدير خالد استقر عندك. (1)

من عندي ومن عندك تنطبع ولا غيل من عندي ومن عندك لا تنقطع) يربط حرف الجر الأصلي الاسم المجرور بالإسناد الضمني مع توطيد العلاقة بينهما وفي هذه الحالة تكون مهمة المجرور بالحرف الإسهام في إتمام معنى التركيب، يشتمل الكلام في هذا التركيب على أكثر من جار ومجرور واحد.

و مثلما تختلف التراكيب الاسمية والفعلية من لغة إلى أخرى، تختلف أيضاً التراكيب الحرفية والظرفية في الأمثال الشعبية... بالرغم من وجود أغلب الحروف وأشهرها مستعملة في الخطاب الشعبي إلا أن طريقة توظيفها تختلف كلية عن ما هو معمول به في قواعد اللغة العربية الفصحى... ومن من أمثلة ذلك:

- بالرزنة تنباع الصوف
- على خيرك يا رمضان نصوم عواشرك
- في عشنا ونشنا
- كحميد في زمان الصيف
- من ديار الكبرى تخرج العبرى

- حروف الجر في العربية من اختصاص الأسماء فهي تدخل عليها فتحدث بها تأثيرا حركيا وتضيف إليها معنى لغويا، والملاحظ أن الأمثال الشعبية جميعها جاءت محتوية على الخصائص اللغوية التي تتطلبها قواعد العربية غير أن الخلاف يكمن ضمن الحركات الإعرابية التي يتوجب فيها الوقف على آخر الأسماء المجرورة في المثل الشعبي وبالرغم من ذلك فالإجراء لا يؤثر في المعنى العام للتركيب سواء من ناحية البناء أو الإعراب الذي قد يجلب معاني أخرى للكلام...

وإن كانت حروف الجر خاصة بالأسماء كقاعدة لغوية، فإن التعبير الشعبي يتجاوز هذه القواعد ولا يعترف بها، ولذا نجد استعمالات تخالف القاعدة العامة وتدخل حروف على الأفعال كما أنها تدخل أيضا على الظروف وحتى على الأفعال ومن أمثلة ذلك نذكر ما يلي :

- من غابوا طير المراكب كولي اللحم يا دجاجة

- من عندي ومن عندك تتطبع ولا غير من عندي تتقطع

هذه الاستعمالات لا نكاد نعثر عليها في اللغة العربية، لكن التحريف الذي حدث بها جعل الكثير من الاستعمالات تأخذ منحى آخر يختلف تماما عما كان عليه في القصحي وجعل من حروف الجر مثلا تقبل استعمالات مغايرة للقواعد اللغوية والنحوية التي تعرفها العربية .

6- الجملة الشرطية:

يرى الكثير من النحاة أن الجملة تكون على صنفين فقط جملة اسمية وجملة فعلية منكرين بذلك الجملة الشرطية جاعلين منها جملة فعلية إذا صدرت بحرف شرط وجملة اسمية إذا صدرت باسم شرط والحقيقة

مستقلة بنفسها وهو ما ذهب إليه ابن يعيش بأن حرف الشرط ربط كل من جملة الشؤط والجزاء حتى صارتا كالجملة الواحدة، لأن الشرط لا يستقل إلا بذكر الجزاء كالجملة الواحدة التامة التي يحسن السكوت عنها (1)

وما ذهب إليه علماء النحو بإدماج الجملة الشرطية ضمن الجملة الفعلية أو الجملة الاسمية بحسب أداة الشرط يعود في رأينا بسبب تغافلهم، بأن حرف الشرط وحده لا يؤدي فائدة لغوية أو نحوية إلا بتحقيق جوابه، كما أن الجواب لا يمكن تحقيقه إلا بذكر فعل الشرط، ضف إلى ذلك أن الجملة الشرطية تتوفر على العناصر الأساسية للإسناد ففعل الشرط هو المسند وجواب الشرط هو المسند إليه، فاقتران فعل الشرط بجوابه يؤدي إلى تحقيق عملية الإسناد في التركيب النحوي والبلاغي، ونستطيع القول وانطلاقاً من هنا أن الجملة الشرطية جملة مستقلة في اللسان العربي وإن كانت تحتوي في جزئها على الفعل وهذا بخلاف الجملة الفعلية والاسمية.

أن التراكيب الشرطية هي قائمة في الأصل على جملتين لكن بتضمناها معنى الشرط تصبح جملة واحدة مركبة من جملتين يربط بينهما الرابط الشرطي بجعل الأولى سببا للثانية ولا مانع من أن تتكون الجملة من جملتين وقولك : أكرمك حين تجيء، جملتان بلا شك ولا يجوز أن يدعى جملة واحدة.

أضف إلى هذا الارتباط السببي بين الشرط والجواب يكون الشرط سببا والجواب مسببا يعني أن وقوع الفعلين ليس في وقت واحد، وأن الثاني سيقع بعد الأول، والفرق الزمني بينهما قد يطول أو يقصر نظرا لما يقتضيه المقام (1).

وقف النحاة عند أبسط صورة من صور تركيب الكلمات فأطلقوا عليها لفظ الجملة وعرفوها بأنها تركيب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى ولم يتحدث النحويون عن جملة مركبة بل جعلوا الكلام هو المركب وحاولوا إرجاعه إلى جمل بسيطة، ولعل أسلوب الشرط كان من أهم المواضع التي قادتهم إلى الحديث عن الجملة المركبة من جملتين، ونراهم يصرحون بأن أسلوب الشرط جملتان لا جملة واحدة، إذ نجد سيبويه يقول : (واعلم أن حروف الجزاء تجزم الأفعال وينجزم الجواب بما قبله) (2)

ما يهمنا هنا من كلام سيبويه أنه يعتبر الشرط أو الجزاء مؤلفا من جملتين هما : جملة الفعل الذي ينجزم بحرف الشرط وجملة الجواب الذي ينجزم بما قبله، نحو قولك : إن يقيم زيد يقعد عمر، فإن دخول إن

1-رسالة المباحث المرضية 46/1-48

2-الكتاب 180/1

جعلت إحدى الجملتين شرطا والأخرى جوابا، فلا بد للشرط من جواب وإلا لم يتم الكلام وهو شبيه المبتدأ الذي لا بد له من خبر، جملة الشرط جملة قائمة بذاتها، ولكنها غير مفيدة، إذ لا يتم بها الكلام إلا بالجملة الثانية لأنه لا بد للشرط من جواب وإلا لم يتم الكلام(1).

وإلى ذلك ذهب شيخ فقهاء العربية ابن جني حيث صرح أن بعض الجمل قد تحتاج إلى جملة ثانية احتياج المفرد إلى المفرد وذلك في الشرط وجزائه والقسم وجوابه فالشرط نحو قولك : إن قام زيد قام عمرو والقسم نحو قولك: أقسم ليقوم زيد .(2)

وقد غالى أبو حيان - بينا - وبينما - فزعم أن الجمل بعدهما لا محل لها من الإعراب لأنهما متعلقان بأفعالهما - والصواب أن تعلقا بالفعل الثاني الذي هو بمثابة الجواب لهما . وتضافا إلى الجملة بعدهما فقول الحارث بن حلزة

1-المرجع نفسه 180/1

2-شرح قطر الندى ص44

بينما الفتى يسعى ويسعى له تاح له، من أمره خالج تعلق بينا ب " تاح " وتضاف إلى الجملة الاسمية " الفتى يسعى " فان لم يكن بعدهما ما هو بمثابة الجواب علقتا بما قبلهما نحو قولك:

زارني المهنئون بينما أنت نائم . وهما غالبا ما تضافان إلى الجملة الاسمية.

وقد زعم بعض النحويين أن " لَمَّا " ليست اسم زمان إنما هي حرف وجود لوجود . فالجملة بعدها لا محل لها من الإعراب.

والصحيح أنها اسم بمعنى إذ لأنها تدل على الزمان وتختص بالفعل الماضي وبالإضافة إلى الجمل نحو قول الشاعر:

وكنّا قد عقدنا عقدة الوصل بيننا فلما تواتقنا شددت وحلت.

أما الزمخشري والرضي فقد ذهبوا إلى أن (كَلِّمًا) اسم شرط جازم يضاف إلى الجمل أيضا . وظنها الرضي أنها مركبة من كل المبنية على الفتح و"ما" الزائدة التي كفتها عن الإضافة إلى المفرد، وهياتها للإضافة إلى الجمل.

والاختيار الذي عليه الجمهور أن كل معربة ومضافة إلى المفرد هو المصدر المؤول من " ما " المصدرية الزمانية وما بعدها . أو إلى " ما " النكرة الموصوفة التي بمعنى " وقت " وعلى هذا تكون كل منصوبة على

الظرفية وناصبها الفعل الذي هو كالجواب لها في المعنى . (1)

وذكر النحاة جملة رابعة أسموها الجملة الشرطية وهي المصدرة بأداة شرط، نحو لولا العمل لضاع الأمل - إذا أكرمت الكريم ملكته (2)

لأبي علي الفارسي وعبد القاهر الجرجاني إشارة إلى الجملة الشرطية " ثم " جاء الزمخشري ونصّ عليها ومثّل لها بخبر المبتدأ في قولك : بكر أن تعطيه يشكرك . وغيرهم من النحاة يزعمون أن هذه الجملة فعلية إن كان صدرها حرف شرط وفعل، أو اسم شرط معمول لفعله لأن المقصود بها هو جملة الشرط وهي بعد الأداة وهم يجعلون الجملة اسمية إذا كان صدرها حرف شرط ومبتدأ أو اسم شرط غير معمول لفعله " (1) فالجملة عند الزمخشري تركيب إسنادي يقوم على المسند والمسند إليه كالفعل والفاعل، أو المبتدأ والخبر، وإما أن تقوم على تركيب شرطي مكون من شرط وجزاء .

ويرى فخر الدين قباوة " والصواب ما ذهب إليه الزمخشري لأن الجملة إما أن تقوم على تركيب إسنادي، كالفعل والفاعل أو المبتدأ والخبر وإما أن تقوم على تركيب شرطي "

غير أن ابن يعيش يرى أنها من قبل الفعلية " الشرط ربط كل جملة من الشرط والجزاء حتى صارتا كالجملة الواحدة نحو المبتدأ والخبر فكما أن

1- فخر الدين قباوة : إعراب الجمل وأشباه الجمل - ص 18

2- المرجع نفسه : - ص 18 - 19

المبتدأ لا يستقل إلا بذكر الجزاء، ولصيرورة الشرط والجزاء كالجمل
الواحدة جاز أن يعود إلى المبتدأ منهما عائد واحد، نحو: زيد أن تكرمه
يشكرك عمرو - فالهاء في تكرمه عائدة إلى زيد، ولم يعد من الجزاء
ذكر، ولو عاد الضمير منهما جاز - وليس يلزم نحو: زيد إن يقيم أكرمه.
ففي يقيم ضمير من زيد، وكذلك الهاء في أكرمه إليه أيضا " (1)

فإن الجملة عند الزمخشري تقوم على تركيب إسنادي كالفاعل والفاعل، أو
المبتدأ والخبر، وإما أن تقوم على تركيب شرطي .

وإذا عدنا إلى الجمل الشرطية الموظفة في الأمثال الشعبية ووقفنا على
الأدوات المستخدمة في عملية الشرط وجدنا أن معظم الأدوات الشرطية
غير مستعملة وأهملت لأسباب لغوية متخلفة، بينما تكثر أداة (إذا)
الشرطية الظرفية غير الجازمة في الخطاب الشعبي ومن ذلك:

(إذا حبك مول الطعام كل يديك بلا غسيل)

تضمن التركيب معنى الشرط وهو الذي عقد الصلة بين جملتين وعلق
إحدهما على الأخرى، مما يوضح أن الصلة بين جملة الشرط وجملة
الجواب هي صلة تعليق أو تابع بمتبوع، وتصدرت المثل إذا وهي
شرطية ظرفية غير جازمة متعلقة بالجواب دائما وتختص بالجملة الفعلية
فإدخال الشرط يعني تغيير العلاقات الإسنادية في كل من الجملتين قبل
دخول أداة

1-المرجع نفسه ص - 19

2-المرجع نفسه ص - 19

الشرط إذا، وجعل إحداهما بتمامها أحد الركنين الإسناديين للجملة الأخرى، وكل ما فعله الشرط هنا أنه علق وقوع الثانية على وقوع الأولى ويقتضي أيضا ذكر جملة ثانية تتم معناه كما لا يحدث تخللا في العلاقة الإسنادية في كل منهما بل يحافظ عليها ويجعل حصول الثانية من حيث المعنى متوقفا على حصول الأولى .

ويبدو أن أول من أشار إلى هذا الخلاف في تقسيم الجملة النحوية هو أبو علي الفارسي، الذي نقله الخالفون من النحاة، فالجملة عنده أربعة أنواع وهي قسمة لفظية، والزمخشري في حقيقة الأمر لم يصف الجملة الشرطية كما توهمه بعض النحاة إقتداء بابن هشام إنما هي من قبل قسمة أبي علي غير أنه مثل ونص عليها وليست من زعمه.

"لكن هذا التقسيم الثنائي أو الثلاثي أو الرباعي، لم يكن وافيا كل الوفاء للدرس النحوي، فقد امتد نظر بعض النحاة إلى نطاق أوسع " (1)

وأضافوا أقساما أخرى لما كان موجودا سابقا، فقال السيوطي: وتقسم أيضا " يريد الجملة " (إلى الكبرى والصغرى، فالكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة نحو: زيد قام أبوه " و " زيد أبوه قائم " والصغرى هي المبنية على المبتدأ كالجملة المخبر بها في المثالين) (2)

"وعندما نقف مع الآراء السابقة الخاصة بتقسيم الجملة فنحن نميل إلى التقسيم الذي سار عليه جمهور النحاة عندما قالوا أن الجملة في لغة العرب

1-الجملة العربية دراسة لغوية ونحوية ص 150

2-المزهر في علوم اللغة وأنواعها 12

قسمان : اسمية و فعلية، وهو تقسيم منطقي بالنظر إلى طبيعة اللغة العربية من حيث النشأة والتكوين " (1)

فكلام العرب يتألف من ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف وأول كتب هذا العلم قد أشارت إلى ذلك فقد جاء في الكتاب : " الكلم اسم وفعل وحرف " (2)

وكذلك جاء في المقتضب " الكلام كله اسم وفعل وحرف لمعنى " (3)

وسار بعد ذلك نحاة العرب على درب التقسيم السابق " (4)

المنطق الثاني - لقد اقتضى المنهج المعتمد في دراسة اللغات تصنيف الجمل وتحديد أنواعها، وهذا العمل ليس مقصور على اللغة العربية وحدها وإنما نجده في كل لغات العالم، فالتعبير عن المفاهيم المختلفة يستلزم هذا الصنف أو ذلك التركيب وقد ذهب النحاة العرب إلى التمييز بين أنواع الجمل اعتمادا على ما تبدأ به الجملة من كلمات، فإن هي بدئت بفعل سميت جملة فعلية وإن بدئت بحرف سميت ظرفية، وإن بدئت بأداة شرط سميت شرطية، وهذا التقسيم الرباعي للجملة هو لأبي علي الفارسي يقول:

1- نفس المرجع السابق ص 151.

2- الجملة النحوية - نشأة وتطورا وإعرابا ص : 81

3- المرجع نفسه ص - 81 - عن الكتاب 2/1

4- عن المقتضب ص - 38 - الأصول في النحو 4/1

وأما الجملة التي تكون خبرا فعلى أربعة ضرب الأولى أن تكون جملة مركبة من فعل وفاعل والثاني أن تكون مركبة من ابتداء وخبر والثالث أن تكون شرطا وجزاء والرابع أن تكون ظرفا " (1).

غير أن علماء النحو قد ذهبوا مذاهب متباينة في تحديد أنواع الجمل، فمعظمهم يرى أن الجملة النحوية قسمان، جملة اسمية وجملة فعلية وهو تقسيم صحيح يقرّه الواقع اللغوي " (2)

فالاسمية هي التي صدرها اسم، كزيد قائم، وهيئات العقيق، وقائم الزيدان عند من جوزّه، وهو الأخفش والكوفيون، والفعلية : وهي التي

1-محمد عبادة : الجملة العربية ص - 149 - المقتصد في شرح الإيضاح ج273/1

2-مهدي مخزومي في النحو العربي نقد وتوجيه ص 39 "

صدرها فعل - كقام زيد وضرب اللص - وكان زيد قائماً، وظننته قائماً،
ويقوم زيد وقم". (1)

وذهب بعض النحاة إلى القول بأن الجملة قسمان لا أكثر، وأكدوا على
ذلك بحيث أن جميع أنواع الجمل تعود إلى الاسمية أو الفعلية.
جواب الشرط غير الجازم:

الشرط يعني في الأصل ارتباط حدث بآخر ارتباطاً سببياً ليكون أحدهما
سبباً والآخر نتيجة، وهو يقتضي أن يتعلق الحدث الثاني بالأول فيقع
لوقوعه أو يمتنع لامتناعه، أو يمتنع لوقوعه.

وجواب الشرط هو الجملة تكون جواباً لإحدى أدوات الشرط غير
الجازمة وهي: (لو، لولا، لوما، إذا، كيف)

وأدوات الشرط غير الجازمة توافق الاستعمال العامي بحيث لا تخضع
التراكيب العامية لتأثير الأدوات سواء كانت ناصبة أو جازمة أو جارة
فهي تلزم صورة الوقف عدا الأفعال أو الأسماء المعتلة، وقد لا نعثر
على أدوات الشرط في التعبير العامي إلا نادراً باستثناء أداة (إذا) التي
تكثر استعمالها في التراكيب الشعبية ومن أمثلة ذلك:
1- إذا شفت ملك مهدم قل حبوس ولا مات مولاه.

إذا حبك مول الطعام كل بيديك بلا غسل.

3- إذا حلفوا فيك الرجال بات نعسات، وإذا حلفوا فيك النساء بات سهران

4- إذا صاحو رياحك دري

5- إذا غلبت عف

إذا تأملنا الأمثلة وجدناها مشتملة على أداة شرط غير جازمة إذا وقد أدت وظيفتها اللغوية بحيث ربطت جملة الشرط بجملة جواب الشرط، لأن الشرط من الأساليب اللغوية القائمة على التلازم بين شيئين، لناخذ مثلاً (إذا غلبت عف) فالجملة الشرطية احتوت على جملتين ارتبطت إحداهما بالأخرى لفظاً وتلازماً معنى وتلك هي وظيفة الشرط، كما لأن العلاقات الإسنادية لم تخضع لأي تغيير في كلا الجملتين.

أما المثال الثالث من المجموعة فيحتوي على فاصلتين وكل فاصلة تتكون من جملتين جملة الشرط وجوابه لأداة الشرط التي تصدرت الكلام، وكذا جملة الشرط وجوابه لأداة الشرط إذا التي تصدرت الفاصلة الثانية وهذا النوع من التراكيب نجد استعماله في الأساليب العامية وافر...

لكن الملاحظ أن التعبير الشعبي لا يخضع لقواعد نحوية أو مقاييس صرفية والدليل أن الفعل المستخدم في صيغة جمع الذكور نجده بنفس الصيغة مستخدم في صيغة جمع الإناث (حلفوا) للرجال وللنساء.

أن الشرط والجزاء جملتان تربط بينهما الأداة فإذا علقنا الطرف بالجواب في نحو (إذا غلبت عف) يكمن إن يصبح التقدير: عف حين تغلب وأصبحت جملة واحدة لا إثنين.

ومع هذا كله فإن العامل في الظرف هو الجواب وأن يكون الظرف مضافاً إلى الجملة بعده أما ما ذهب إليه بعض النحاة في استدلالهم بعمل فعل الشرط في أسماء الشرط غير الظرفية هو قياس مردود، لأنها لا تضاف إلى الجمل أبداً، وإنما تكتسب شيئاً من التخصيص يزيل عنها الغموض بجملة الشرط بعدها وهي بمثابة الصلة بالنسبة إليها.

ومن التركيب الشرطية في الأمثال الشعبية التي قد تلفت النظر المتتبعين لها يكمننا ذكر ما يلي :

(من احتاجتك يا وجهي خربشوك القوط)

تصدر التركيب من الشرطية وهي تحتاج إلى فعلين بعدها فتجزمهما ويكونان في محل جزم بها (1)

لكن بخروجها إلى التعبير الشعبي فقدت عملها في جزم الفعلين بالرغم من وجودهما في التركيب، فحافظ أسلوب الشرط على الشرط والجزاء كما هو الشأن تماماً في العربية، لكن الإشكال وقع على المستوى الصرفي والنحوي، بينما توافق على المستوى الدلالي ففي الجانب الصرفي وقع تحريف في بنية الكلمة بالنسبة لفعل الشرط وكذلك الجواب، أما الجانب النحوي فنجد أن فعل الشرط ينطق بالوقف وليس معنى ذلك من باب تأثير (من) الشرطية التي هي الأخرى انحرفت وكسرت ميمها بدل فتحها، وأما فعل الجزاء فقد أخذ صيغة الجمع بالرغم من صدارته فخالف بذلك القواعد الشائعة في اللغة العربية في مثل هذه الأحوال.

لنأخذ مثلا شعبيا بنفس الأداة (من)

(من كان يكوي الناس يصبر لكيات راسو)

فأداة (من) الشرطية احتفظت بالصيغة الحقيقية لها كما هي في العربية ومن هنا يتضح أن بعض هذه الأدوات قد تأخذ أكثر من حركة دون أن تحدث تغييرا دلاليا أو نحويا كما هو الشأن بالنسبة ل(من) الشرطية فتارة تنطق الميم مكسورة وتارة أخرى مضمومة دون أن تخرج عن شرطيتها أما إذا وقع نوع من هذا القبيل في العربية فإنه سيحدث تغييرا على المستويين النحوي والدلالي، فإن فتحت ميمها كانت شرطية وإن كسرت كانت حرف جر ولكل وظيفته النحوية والدلالية.

وقد اشتمل التركيب في المثل الشعبي على جميع العناصر الأساسية التي تتطلبها العملية الإسنادية الشرطية في الاستعمالات اللغوية ونستطيع أن نحكم من خلال الدراسة للأمثال الشعبية كنموذج للاستعمالات العامية بأنها قريبة جدا من اللغة وقواعدها وليس هناك تباين شاسع وإنما اختلاف طفيف يمكن تصحيحه وارجاعه إلى العربية الفصحى، إن توفرت الإدارة في خدمة اللغة العربية وترقية لهجاتها التي تسير معها جنبا إلى جنب إلى زمن غير محدود.

البلاغة وعلاقتها بالنحو

بدأت الدراسات البلاغية أول ما بدأت إشارات بلاغية في كتب اللغة والأدب والنقد . ففي كتاب سيبويه نجد ملاحظات بلاغية كثيرة : " باب اللفظ للمعاني " (1) و"باب الإستقامة من الكلام والإحالة " (2) وكذلك قوله " هذا باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى، لاتساعهم في الكلام وللإيجاز والاختصار " (3) ويستشهد على ذلك بقوله تعالى : (واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) (4) ثم يقول : إنما يريد أهل القرية فاختصر...

فكتاب سيبويه ليس كتاب نحو فقط كما يعتقد الكثيرون، بل هو إضافة إلى ذلك كتاب صرف وبلاغة وعروض وصوت أيضا، لكن شهرته النحوية غطت بقية العلوم.

وقد نجد في كتب الجاحظ أحاديث طويلة عن البلاغة، فالبيان والتبيين تضمّن موضوعات كثيرة في البيان والبلاغة والفصاحة، وفيه تعريفات عن البلاغة عند الأمم المختلفة، كالفرس واليونان والرومان والهنود(5)

1-الكتاب ج 1 ص 24

2-المرجع نفسه ج 1 ص 25

3-المرجع نفسه ج 1 ص 211

4-الآية 28 من سورة يوسف

5-البيان والتبيين ج 1 ص 88

وعلى ما يبدو أن الصلة بين البلاغة وبقية العلوم العربية الأخرى وبخاصة منها النحو لم تنقطع بعد أن استقلت البلاغة وأصبحت علما قائما بذاته . ذلك أن البلاغيين ظلوا معتمدين إلى حد كبير على المتوارث من قواعد التوجيه النحوية وبخاصة ما دار منها حول المعنى من الخبر والإنشاء، والذكر والحذف، والتقديم والتأخير وغير ذلك .(1)

لقد تضافرت جهود النحاة والبلاغيين جيلا بعد جيل على بحث مختلف قضايا أصول البلاغة، وإبراز عناصرها المتنوعة، دون العناية بالتنظيم أو التبويب (2)، ثم بدأ الاهتمام يتجه نحو تجميع العناصر البلاغية المتفرقة التي تمت إلى أصل واحد والتأليف بينهما.

فقد كانت أول الأمر وحدة شاملة بلا تحديد ولا تمييز، ولعل خير شاهد على ذلك كتب المتقدمين من علماء العربية، وهي تحمل خلطا في المسائل البلاغية، بعضها ببعض (3).

ثم أخذ الاهتمام بالبلاغة ينحو منحى التخصص والاستقلال، إذ جمع عبد الله ابن المعتز (ق:3) جميع فنون البديع المتفرقة في أمهات الكتب العربية وألف منها أول كتاب، أعلن به ميلاد (علم البديع) واستقلاله.

1-الأسلوبية والأسلوب ص : 1 - 2

2-في تاريخ البلاغة العربية ص : 246

3-المرجع نفسه ص : 246

ثم جاء في القرن الخامس الهجري عبد القاهر الجرجاني، الذي عرف على يده هذا العلم دفعا قويا إلى الأمام، فوضع نظرية (علم المعاني) في كتابه (دلائل الإعجاز) ونظرية (علم البيان) في كتابه (أسرار البلاغة) وهو بذلك يعد رائد في مجال هذين العلمين (1)

وان كان الجاحظ، كما أشار طه حسين هو واضع أساس علم البيان فان عبد القاهر الجرجاني، هو الذي رفع قواعده وأحكم بناءه (2)

وهو - بهذا العمل - شق طريقا لكثير من رجال البلاغة من بعده (3) فأتموا البنين الذي رسم حدوده ومعالمه، وأرسى قواعده وأركانها . وانحصرت جهودهم في جمع قواعد علوم البلاغة، التي وضعها هذا العالم ورتبها، وجعلوا لها أبوابا .

وغالبا ما كانت تختصر هذه القواعد فيكتنفها الغموض مما يجعلها في حاجة إلى وضع شروح، توضح غموضها وتذلل صعابها.

فالجرجاني عاش في عصر بدأ الضعف يدب فيه إلى اللغة، وهي لا تزال في أوج قوتها وحنفوان شبابها حين انصرفت عناية الكتاب والأدباء إلى اللفظ دون المعنى، عندما وجدوا أنفسهم أمام قوانين وأحكام نحوية

1- البلاغة والاسلوبية ص 22-42

2- في تاريخ البلاغة العربية - ص 247

3- نظرية المعنى في النقد العربي ص : 20 - 41

"ومدلول الألفاظ المفردة، والجمل المركبة وانصراف عن معاني الأساليب ومغازي التراكيب، وعدم الحفاوة بتصريف مناحي القول وصوره المختلفة " (1).

حزّ في نفسه أن يرى هذا الفساد يتسرب إلى أساليب اللغة، فأشفق منه، ودوّن أصول البلاغة صيانة لها، كما أشفق من قبله الغيورون من علماء العربية على اللغة من ظهور اللحن فيها، فهبوا إلى وضع قواعد وأحكام، حفاظا على سلامتها وعضويتها وعصمة الألسنة من الخطأ والزلل.

وقد تعرض الجرجاني إلى التصدي لنظريتين قديمتين إحداهما أن بلاغة الكلام في اللفظ، والأخرى أن بلاغة الكلام في المعنى، وانتهى إلى نظرية خاصة، مختلفة أصلا، قائلة أن بلاغة الكلام ليست في اللفظ ولا في المعنى، وإنما في اللفظ والمعنى معا، فالفصاحة لا تكون في الكلمات المفردة، بل تكون في ضم بعضها إلى بعض (2)

وجملة الأمر لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنها نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها، فإذا قلنا في لفظة (اشتعل) من قوله : تعالى : " واشتعل الرأس شيئا " (مريم : 4) إنها في أعلى المرتبة في الفصاحة، ولم نوجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولا بها (الرأس) معرفا بالألف

1-التركيب اللغوي للأدب ص المقدمة

2-دلائل الإعجاز ص : 308 - 309

واللام، مقرونا إليهما (الشيب) منكرا منصوبا (1)
قد نقول هذا لفظ فصيح، ولا نقول هذا معنى فصيح، وفصاحة اللفظ في
الحقيقة، عائدة إلى معناه " فاللغة تكون في غاية الفصاحة في موضوع،
ونراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة قليل
ولا كثير " (2)

وجملة الأمر أن البلاغة في ضمّ الألفاظ بعضها إلى بعض " وتعليق
بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب بعض " (3) علما بأن (ذي
سوسير) قد أكد هذه القاعدة اللغوية أخيرا فيما دعاه (نظرية النسق
اللغوي) (4).

فالبلاغة هي عبارة عن مزية أفادها المتكلم ولما لم تزد إفادته في اللفظ
شيئا لم يبق إلا أن تكون عبارة عن مزية في المعنى، وقد رجعت المزية
إلى حسن الاختيار في النظم (5)، وأن تعرف لكل من ذلك موضعه.

1-المرجع نفسه 307

2-الموجز في شرح دلائل الإعجاز ص 42

3-دروس في اللسانيات العامة - ذي سوسير.

4-الأسلوب - دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ف (1)

5-الأسلوبية والأسلوب - المقدمة -

وبتعبير آخر، فالبلاغة إنما هي في العلاقة بين الألفاظ في العبارات من جهة وبينها وبين المعنى من جهة أخرى (1). وقد سمي عبد القاهر الجرجاني هذه العلاقات بالنظم (2).

وقبل أن نفارق عبد القاهر الجرجاني لا يسعنا إلا أن ننوه بجهوده المصنوية في حقل البلاغة، وإن نتعرف أنها ترعرعت وازدهرت على يديه، حيث رسم حدودها وأبعادها، وأقام على الطريق معالمها، وبثّ فيها من فكره الخصب ما أثارها وأضاء جوانبها، فسار على نهجه كثير من علماء البلاغة، يلتقطون ما جاء به، فيتوسعون فيه ويبنون عليه (3) وظلت البلاغة ماضية في طريق النمو والتطور الذي عبده لها عبد القاهر الجرجاني.

ثم جاء بعده عالم جليل، انتهج نهجه وتلمذ في كتابيه : (دلائل الإعجاز) (أسرار البلاغة)، ذلك هو جاد الله الزمخشري، الذي تعمق في فهمها واستيعابها مما ساعده على تأليف كتابه (الكشاف)، الذي قرر في مقدمته أن المفسر لا يكفي أن يلم بالفقه أو النحو أو اللغة أو علم الكلام أو القصص والأخبار، وإنما ينبغي فيمن يتصدى له أن يكون

1-دلائل الإعجاز - وأسرار البلاغة

2-اللغة بين البلاغة والأسلوبية ص : 425 - 446

3-الاستعارة بين النظرية والتطبيق ص : 229 - 280

بارعا في علمين مختصين بالقرآن هما : علم المعاني وعلم البيان وتأثره ببلاغة عبد القاهر الجرجاني باد في كتابه (الكشاف)، إذ يستمد قواعده ملتصقا لها الشواهد من القرآن الكريم، فمثلا في ميدان علم المعاني نجده يعرض للإيجاز والإطناب وأنواع كل منهما، وأغراضه البلاغية، والتقديم والتأخير في المسند إليه (1)، والأغراض التي قد تلحق به في حالة تكثيره وتعريفه.

كما يعرض للأساليب الخبرية والإنشائية من أمر ونهي واستفهام ونداء وتمن للمعاني البلاغية الأخرى التي قد يخرج كل منها عن معناه الأصلي للدلالة عليها عليها، وكذا القصر والوصل والفصل . (2)

أما في ميدان علم البيان فإنه لا يقف عند مباحث عبد القاهر الجرجاني بل إضافة إلى ما فطن إليه، فهو يستكمل الناقص، ويفصل المفضل، ويوضح المبهم، ويتوسع فيما يتطلب ذلك . وساعده على ذلك حسه الفني الذي امتاز به برغم نشأته الفارسية، وما أوصله إليه اجتهاده من محاولات متكررة للكشف عن أسرار هذا العلم . (3)

1-في تاريخ البلاغة العربية ص : 184 - 159

2-المدخل إلى دراسة البلاغة العربية ص : 184

3-المرجع السابق ص : 263 - 265

لقد تعرض للكناية وفرق بينها وبين التعريض والاستعارة، على اختلاف أقسامها : من تصريحية ومكنية، وأصلية وتبعية وتمثيلية والتشبيه بكل صوره، وإلى المجاز المرسل والعقلي..

وفي ميدان علم البديع فقد كانت إشارته إلى ما ورد في بعض ما جاء من الذكر الحكيم، من فنون البديع، ولم تكن مساهمة الزمخشري خدمة مباحث هذا العلم بمقدار ما كان القصد من ورائها بيان أثرها في بلاغة القرآن الكريم واعجازه (1)

ان البديع لم يحظ بالعناية والإهتمام من قبل كبار البلغاء، فالجرجاني مثلاً، عندما تعرض في كتابه (أسرار البلاغة) للجناس والسجع وحسن التعليل والطباق، كان حديثه في معرض الإستدلال على نظريته في نظم الكلام، وهو بالنسبة إليه لا يدخل في بحث الاعجاز القرآني، وما ورد منه دون قصد وتكلف (2)

ونأتي إلى أحد أعيان رجال البلاغة في القرن السابع الهجري وهو (أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي)، وشهرته في هذا الميدان تعود - في حقيقة الأمر - إلى القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم) الذي تضمنت

1-النقد التحليلي - عبد القاهر الجرجاني - ص : 129 - 151

2-المختصر في تاريخ البلاغة ص 50 :

علمي المعاني والبيان، وألحق بهما مبحثاً عن البلاغة وآخر عن فنون
البديع اللفظي والمعنوي.

وكما أن علمه ليس ابتكاراً خالصاً، إنما هو تلخيص دقيق، يجمع بين
أفكاره الخاصة وأفكار غيره ممن سبقه في هذا الميدان.

ما تجدر الإشارة في هذا العمل، فلعله كان أول من نظر في المحسنات
البديعية بامعان وقسما إلى محسنات بديعية وأخرى لفظية، وهو أمر
يحسب للسكاكي، لأن من تقدموه أوردوها مختلطة ولم يحاول أحدهم
التفريق بينهما، كما فعل هو (1)

ونستطيع أن نتبين بوضوح أن علم البلاغة ظهر أساساً لمعالجة قضية
الإعجاز القرآني، تماماً كما فعل النحاة، وقد صنف كتب كثيرة لبيان
وجوه الإعجاز، اعتمدت على علوم البلاغة من معان وبيان وبديع،
ومعظم الكتب البلاغية التي وصلتنا نجدها تعرض للإعجاز، بمعنى أن
الاهتمام بقضية الإعجاز في القرآن يكون هو السبيل إلى نشأة علم
البلاغة العربية وتطورها السريع (2)

وأخذ البحث في البلاغة ينمو ويتطور منذ أن نشأ في أوائل القرن
الثاني الهجري إلى أن وصل ذروته في أواخر القرن الخامس وأوائل

1- علم الأسلوب - مبادئه وإجراءاته ص الفصل 1 - 2

2- المختصر في تاريخ البلاغة ص : 267

القرن السادس وكان ذلك على يد كل من عبد القاهر الجرجاني و
الزمخشري ولم يكتب للبلاغة النجاح بعدهما، ولم يشأ لها أن تستمر في
ذلك التطور الذي عرفته على يديهما، بل سلكت مسلكاً آخر قادها تدريجياً
إلى التأخر والجمود خاصة مع بداية القرن السابع عندما جاء رجال
البلاغة وبين أيديهم ثمار الجهود البلاغية التي بذلها هذان العالمان،
فبدل أن يواصلوا الجهود في إثراء البلاغة والسير بها قدماً نحو النمو
المطرد، وقفوا مذهولين، مبهورين أمام بلاغة الرجلين، فلم يبذلوا جهداً
ولم يضيفوا جديداً (1)

وبهذا الموقف فقدت البلاغة حرارتها وأسن مأوها، مما جعلها تعرف
جموداً وعمقا تحت وهم أن المتقدمين لم يتركوا للمتأخرين شيئاً (2)
تحت هذا الوهم ركبت حياة الأدب وكادت تصيب العقول بالشلل عندما
انصرفت اهتمامات البلاغيين إلى الزينة اللفظية والنغمة الموسيقية، دون
نظرة واعية إلى الفكرة (3). أما المضمون فكان استلهاً للصناعة
والبديع أكثر من استلهاً للأصالة والابتكار، وبذلك يتحول الأدب إلى
هيكل

مزخرف لا حياة فيه، يثير العجب بدل الإعجاب به (4).

1- المرجع نفسه ص 268

2- الصورة الأدبية ص : 46 - 87

3- المختصر في تاريخ البلاغة ص : 268 - 269

4- التلخيص في علوم البلاغة ص : 37

من المعروف أن علم البلاغة تجمعها أقسام ثلاثة هي علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع ويجمعها تعريف واحد هو:

مراعاة المقال لمقتضى الحال مع فصاحته، وان يتوفر لديها عناصر التأثير والإقناع والحسن.

ولو حاولنا تفسير معنى كل علم من علوم البلاغة لوقفنا على مواطن مشتركة بين جزئياتها:

فعلم المعاني يختص بدراسة أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال (1)، وتكون هذه الأحوال في الأفراد والتركيب للكلمة وكذا الكلمات مجتمعة في صور مركبة (2)

وعلم البيان يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة مع وضوح الدلالة عليه (3)

والدلالة في مفهومها الخاص والعام، مع مراعاة المقاييس النحوية والصرفية، ترتبط ارتباطا وثيقا وواضحا بعلم المعاني (4) ولهذا اعتبر السكاكي أن البلاغة تقوم على علمي البيان والمعاني

1- علم الدلالة العربي ص : 11 - 93

2- التلخيص في علوم البلاغة ص : 13

3- علم الدلالة العربي ص : 271 - 273

4- مفتاح العلوم ص : 200

وأطلق عليهما اسم (علمي المعاني والبيان)، واعتبر المحسنات اللفظية
والمعنوية من توابع العلمين السابقين (1)

وعلم البديع يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح
الدلالة (2)

فجميع أصناف علوم البلاغة توافرت لها المطابقة ووضوح الدلالة .
ويضم عبد القاهر الجرجاني التحسين والسجع، وهما من ضروب البديع
إلى الحسن الذاتي الذي يراه جمالا للشعر والنثر، ويعتبران من دعائم
نظرتة في (النظم).

وبهذا المفهوم نستطيع القول بأن علم البديع من أسس علمي المعاني
والبيان في وحدة المفهوم واشتمال الدلالة.

وقد اشترط الجرجاني لضم التجنيس والسجع إلى البلاغة العربية
شروطا منها أن يكون المعنى هو الذي يطلب اللفظ، ويكون من هذه
الوحدة بين المعنى واللفظ، بإفادة في الفهم، والإبانة في الغرض والقرب
في الغاية، وهذا يستدعي ترتيب المعاني في الذكر كترتيبها في
الفكر، على أن يقع هذا الترتيب موقعا حميدا من العقل (3)

1-التخليص في علوم البلاغة ص 347

2-دراسة في اللغة البلاغية ص 17

3-علم البديع ص : 7 - 29

بدأ الاهتمام يتّجه أساساً إلى علم البديع في نهاية القرن الرابع الهجري ومطلع القرن الخامس، إذ أُلّف فيه كبار رجال البلاغة واستخدموا له أنواعاً جديدة من المحسنات اللفظية، وإن كان الفضل في ذلك يعود إلى ابن المعتز (المتوفى سنة 296هـ) الذي قام بأول محاولة علمية جادة في ميدان علم البديع، بوصفه أول كتاب في هذا اللون، سار على نهجه البلاغيون والنقاد من بعده، وأضافوا إليها ما استكملوا به مباحث هذا العلم وقضاياها، ونذكر منهم قدامة بن جعفر (المتوفى سنة 337هـ)، صاحب كتاب الصناعتين، وابن رشيق القيرواني (المتوفى سنة 464هـ) صاحب كتاب العمدة، وعبد القاهر الجرجاني (المتوفى سنة 471هـ) والزمخشري (المتوفى سنة 538هـ)، وغيرهم (1)

والبديع، كما عرفه الخطيب القزويني، في كتابه (التلخيص) هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة (2) أما عند ابن خلدون فهو النظر في تزيين الكلام وتحسينه، بنوع من التتميق، أما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع أوزانه، أو تورية على المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما، أو طباق بالتقابل بين الأضداد، وأمثال ذلك (3)

1- في تاريخ البلاغة العربية ص : 46 - 101

2- علم البديع ص 7

3- المقدمة ص : 1060

- السجع -

السجع لغة من سجع سجعا، استوى واستقام واشبه بعضه بعضا،
والسجع: الكلام المقفى، والجمع أسجاع، وسجع تسجيعا تكلم بكلام له
فواصل كفواصل الشعر من غير وزن (1)

لازم السجع كلام العرب من القدم، فكان حضوره مكتثا في كل الآثار
الأدبية، من أقوال مأثورة وأمثال وحكم وألغاز وشعر ونثر، فلسان
العرب وكلامهم على ضربين : منظور ومنثور، وكل نوع من هذين
الفنين يشتمل على أغراض وفنون مختلفة، فالمنظور يتمثل في الشعر
الذي تحكمه أوزان وقوافي وهو إلى ذلك " كلام مفصل قطعا متساوية في
الوزن، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة هذه القطعات عندهم بيتا
ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق رويأ قافية، ويسمى جملة الكلام إلى
آخر القصيدة " (2)

أما الضرب الثاني من كلامهم فهو المنثور، ومنه السجع الذي يؤتى به
قطعا ويلزم في كل كلمتين منه قافية واحدة، يسمى سجعا، ومنه المرسل
وهو يطلق فيه الكلام إطلاقا لا يقطع أجزاء بل يرسل إرسالا من غير
تقييد بقافية (3).

1-معجم مصطلحات الفنون -مادة-(سجع)

2-المقدمة ص 566

3-المرجع نفسه ص 566

إن الأدب العربي بنوعيه الشعري والنثري، قد حفل بهذا المحسن البديعي اللفظي على اختلاف مراحلها وعصوره، يقوى حيناً، ويضعف أحياناً أخرى . فقد تحدث عنه الجاحظ، وأفرد له أبواباً، ونوه فيها بآثره في الكلام وتأثيره في النفوس (1)

وكثيراً ما كان أهل الكتابة والأدباء يؤثرون الكلام المسجوع، ويلزمون أنفسهم بإقامة القوافي والأوزان . ولما سئل أحدهم عن ذلك، قال : "إن كلامي لو كنت لا أمل فيه الأسماع الشاهد لقل خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه انشط، وهو أحق بالتقييد وبقلة التلفت، وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره . " (2)

نظراً لكثرة الأسجاع وما تميزت به من سهولة اللفظ وجزالته وانسجام حروفه مكنتها من النفوس ورسخت عناصرها في الأذهان، ففنية الصياغة اللفظية وجمال العبارة وإيقاع اللفظ وعذوبة موسيقاه في الأشكال أو الصور الأدبية الراقية أثر ظاهر متميز . " فاللفظ المستعذب مستحسن إيراده في الشعر لأنه مع استعذابه قد يفسر معناه، لمن لا يفهمه(3)

1- الأسس النفسية للأساليب البلاغية العربية ص 107

2- البيان والتبيين 287/1

3- الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية ص 33-66

وهذه ميزة نلمسها في الأمثال الشعبية بحيث تنسجم الأصوات فيها وتتحد فتتكون منها أوزانا وقوافية يرتاح إليها السامع أو القارئ، الأمر الذي يسهل انتشارها بين الناس ويجعلها تنفذ إلى الذهن فتخزن ليتخذ منها دروسا وحكما ومواعظ كلما دعت الضرورة واشتدت الحاجة إلى ذلك.

والظاهر أن السجع كان المساعد الأساسي على الحفظ السريع، وأن النفس تجد فيه من المتعة ما يجعلها تميل إليه، خاصة إذا كانت الألفاظ المسجوعة حلوة، عذبة . (1)

وليس أرقى منزلة في السجع وأشرفها " من أن ترسل المعاني على سجيبتها، وتدعها تطلب لنفسها الألفاظ، فإنها إذا تركت وما تريد، لم تكتس منها إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها " (2)

ومن الملاحظ أن السجع إذا جاء عن عنت وتكلف، أقلق النفوس، ومالت عنه، وبالتالي ذمه الناس وكرهوه، وهو إذا سلم من ذلك كان أرقى وأحسن الكلام، حيث نجد خير الأنام تكلم به لما قدم المدينة قال : " أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام " . (حديث شريف)

إن هذا كله يؤذن بفضيلة التشجيع على شرط البراءة من التكلف، والخلو من التعسف . (3)

1- المرجع نفسه ص 36-60

2- كتاب الصناعتين ص 260

3- فن المقامات في الأدب العربي ص 434

ولما جاء القرن الرابع الهجري أصبح السجع المثل الأعلى الذي يحتذى فقد بلغ العقل العربي في هذه الفترة من القدرة على النفن في استخدام اللغة بنبرات حروفها وإيقاعات كلماتها وأنغام تراكيبها وجميع إمكاناتها المعنوية وطاقتها الصوتية، كما اشترك فن السجع في هذه الأعمال الأدبية في إظهار شاعرية اللغة وحيويتها وثرائها، واهتم الناس بجمال العبارة وفنية الصناعة اللفظية وإيقاع اللفظ وحلاوة جرسه في الأشكال أو الصور الأدبية الراقية.

وأصبح عندهم كل من لم يسجع في كلامه لا شأن له، فقد ران السجع على جميع الأساليب والتراكيب الفنية، وارتقى إلى أن استبد على النثر الفني استبدادا تاما، حيث ظل مهيمنا قرونا عديدة، فكانت الرسائل الديوانية والإخوانية والمقاومات التي ورثها العرب كجزء مهم من تراثهم الأدبي، ثروة فنية ولغوية راقية، و ميدانا فسيحا ومرتعا خصيبا. (1)

كما أن أصحاب المقامات على اختلافهم واختلاف مراحلهم، قد التزموا بهذا الفن فوظفوه في أعمالهم الأدبية، حتى اعتبر روح المقامة وقلبها النابض، والمقامة كانت أقرب إلى لغة الشعب تستخدم فيها التعبيرات البسيطة التي يفهمها عامة الناس الذين يشكلون جمهور القاصر.

وكان يأتي إما خفيفا رشيقا مقبولا، لا تكاد تظهر عليه آثار الصنعة والتكلف، أو يأتي سمجا ثقيلًا باردا، لان امارات التكلف والضعف عليه أبدى.

وشاع هذا المذهب حيث استخدمت فيه جميع التقنيات السجعية العالية بشكل متنوع، كالمرصع الذي تكون فيه الألفاظ متساوية الأوزان متفقتة الأعجاز ومن أمثلة ذلك في الأمثال الشعبية ما يلي :

- 1-الخير عجل به والشر أجل به
- 2-الحر بالغمزة و العبد بالدبزة
- 3-اللي تخدمو طيعو واللي ترهنو بيعو
- 4-القدرة بلا بصل كالمرأ بلا عقل
- 5-الهدرى للساريا و المعنى للجاريا
- 6-بكر مع النعاج وبيت مع الدجاج
- 7-اخدم يصغري لكبرى واخدم يكبري لقبري
- 8-الحاضر اعطوه والغايب انسوه والنائم غطوه

يكثر هذا النوع من الاستعمال في الأمثال الشعبية نظرا لقدرة انتقاء أصحابها لهذه الألفاظ السهلة البسيطة ذات الأجراس الموسيقية ورفضها في أماكنها الملائمة بحيث نلمس ذلك الترابط والتآلف بين الحروب والانسجام والتجانس في الأوزان، وأن الألفاظ تتوالى في وحدات موسيقية إيقاعية تحرك في نفس القارئ أو السامع أحاسيسه الشجوية وبهذه الخصائص تتعلق في الأذهان وتآلفها القلوب وتأنس إليها النفوس فتتدفق إلى أعماقها بكل ما تحمله من معان وأسرار.

فعلى سبيل المثال عبارة : الحر بالغمزة والعبد بالدبزة، أو عبارة الخير عجل به والشر أعجل به. فسواء العبارة الأولى أو الثانية، فعندما نضعهما في إطارهما المنغم فإن كلا العبارتين تبرزان فجأة إلى الأذهان

ويتضح معناهما اللسني والبلاغي ويرتكز معنى كل منهما في الذهن بفضل السياق الجميل جنباً إلى جنب مع معناهما الفصيح.

ومن خلال ما تقدم أن الكلمات التي تألفت منها الأمثال الشعبية إنما نحتت وصيغت وتولدت ونمت وتكاثرت وبعثت إلى الحياة من صلب اللغة القومية الأصيلة أي (اللغة الأم) فإن القارئ لمثل هذه الأمثال المسجوعة القريبة من الفصحى المشتمة على نفس الخصائص والمميزات اللفظية والمعنوية تجذبه الكلمات والعبارات بإيقاعاتها الجميلة وجرسها المؤثر وتلمس أحاسيسه بنبرات أصواتها الموحية وصياغتها المصورة فتتعلق في ذهنه بكل ما تحمله من معان وإيحاءات وما تعكسه من انفعالات.

وما يلفت انتباه القارئ أو السامع هنا أن التشابه في التركيب اللفظي كان كبيراً جداً حتى على مستوى الحروف وأن هذا النوع من الأسجاع قوبل بارتياح لدى المتلقي.

وكما وجدنا استعمالات السجع المرصع في الأمثال الشعبية وجدنا أيضاً نوعاً آخر يعرف بالسجع المتوازي، وهو ما اتفقت فيه اللفظة الأخيرة في الوزن والروي من الفاصلة الأولى مع أختها في الفاصلة الثانية وقد استخدم هذا النوع بكثرة في الأمثال الشعبية لكونه لا يحتاج إلى مقدرة كبيرة.

ولسهولة تداوله وتداركه ومنه ما يلي :

1-بات مع الحديد ولا تبات مع الصديد

2-تهلى في جارك هو ستار عارك

3-بنت عمي مزود همي

4-حديث الوسادة يتلف الدين والشهادة

6-إذا حلفو فيك الرجال بات نعسات وإذا حلفو فيك انسا بات سهران

7-اللي ما جابوه الوالى ما يجيبوه التوالى

8-لا تتخل بالموجود ولا تتكأف للمقصود

إن المتأمل لهذه الأمثال العامية لا يجد فرقا كبيرا بين الألفاظ المستعملة فيها وتلك التي تستخدم في اللغة الأصلية المقننة، مما جعل التلاعب بالألفاظ تلاعبا يخدم هذا النوع من التعبير وما زاده رقة وجمالا هو تجانس هذه الألفاظ وتآلفها مع بعضها البعض لتؤدي معنى هادفا يستحق التقدير، إضافة إلى النغمة الموسيقية التي تركت الكلام يخلو ويسهل حفظه فترتاح له الأنفس وتطمئن له القلوب...

وهناك استعمالات أخرى من الأسجاع تختلف عن تلك التي تقدمت ويعرف هذا النوع بالمطرّف : وهو ما اختلفت فيه الفواصيل وزنا وانفقت رويا، ونظرا لسهولة هذا النوع من الأسجاع فقد استعمل في الأمثال الشعبية بكثرة مفرطة ذلك أن الوصول إليه لا يتطلب جهدا فكريا ولا تكلفا، ومن دون عنث يذكر.

الأسجاع المطرّفة التي عمت الأمثال نستطيع ذكر ما يلي :

1-اللي ما عندو فلوس كلامو مسوس

2-اللسان الللاح والقلب الذباح

3-اللي داق ما يسمى مشتاق

4-بيت من الرجال ولا بيت من المال

5-حج وزمزم وجاء للبلا متحزم

6-الدنيا فايئا وتفوت والحي فيها يموت والطامع بها مشموت

7- اللّي ينوي يشبع عمرو ما يجوع

8- حاسبني محاسبة عدوك وكني مأكلة خوك

الملاحظ في هذه الأمثال ذات التسجعة المطرقة أنه تم انتقاء الألفاظ ذات الأجراس الموسيقية المتجانسة بدقة متناهية ووضعها في أماكنها المناسبة بحيث يحدث بينها الترابط والتآلف والانسجام فتجعل المتأمل والقارئ يشعر وكأنها خلقت في موضعها الذي وضعت فيه . وما يثير الانتباه أن العناصر التركيبية المكونة لهذا النوع جاءت متشابهة تشابها كبيرا حتى على مستوى الحروف، فقبلت بالارتياح وترسخت في الأذهان... وهناك نوع من الأسجاع يكاد يندم لصعوبة الظفر به وقلمًا وجد في الأمثال الشعبية.

ويعرف هذا النوع المتوازن الذي تراعى فيه وزن الكلمتين الأخريتين من الفواصل مع اختلاف الحرف الأخير منها أو ما يسمى بالروي بحيث لم تحفل الأمثال العامية بهذا النوع المتميز والنادر ولم يرق إلى درجة الأنواع الأخرى التي سبق ذكرها لصعوبة الظفر به.

نفس النوع يتعذر العثور عليه في الأساليب اللغوية في العربية الفصحى إلا نادرا، وتقل استعمالاته لنفس السبب الذي سبق ذكره في الأمثال الشعبية وهذا ما يؤكد أن أساليب العامية لا تختلف كثيرا عن نظيرتها في الفصحى لما يربطها بها من عوامل لغوية أسلوبية مشتركة في جميع المجالات .

ويمكن ذكر بعض الأمثلة من هذا النوع الممتع : (كل منقوص منحوس)، قد نلاحظ تغيير طفيف على مستوى الروي بحيث هناك تقارب وتجانس بين حرف الصاد وحرف السين مما يجعل واضح هذه الأمثال لا

يبتعد كثيرا عن روي الفاصلة الأولى للمحافظة على النغمة الموسيقية من جهة والتجانس اللفظي من جهة أخرى، دون إغفال الوزن .

ومما يلاحظ في الأمثال العامية وحتى في الفصحى، أن هذا النوع من السجع لا يستعمل إلا قليلا إذا ما قيس ببقية الأنواع الأخرى وذلك نظرا لصعوبة الوصول إليه الأمر الذي جعل معظم أسجاع هذا النوع تبدو مثقلة بأنواع من التكلّف والتصنع ولا يهتم في اعتقادنا إن اضطربت المعنى ما دامت السجعة قائمة.

وإذا عدنا إلى اللغة العربية وجدناها تتميز بغزارة مادتها ومرونة أصواتها وطواعية مفرداتها وهي بذلك تعطي أبعادا لفظية ومعنوية جديدة مما يجعل هذه الكلمات والتراكيب مرنة ثرية في معانيها وإيحاءاتها، تعبر عن المواقف الشعورية والحركات الحسية والأفعال الحقيقية بكل أنواعها كما تستعمل للتعبير عن أغراض مجازية متعددة أو خلجات نفسية، ولم تكن وسيلة للتعبير فقط وإنما كانت ثروة فكرية ونبعة من الأحاسيس ملأت نفوس وعقول الأدباء والمفكرين فعبروا بها عن أحاسيسهم فصاغوا بها تراثهم الفكري والأدبي وجعلوا من اللغة أكثر غزارة وخصوبة وقابلية للتطور والنماء والاتساع والثراء، وتحقق للعربية رصيد لفظي ضخم كما أظهرت براعة الفنان العربي في استخدام هذا الرصيد والارتقاء به بحيث نجد "رسائل القرن الرابع الهجري هي أدق آية من ازدهار الفن الإسلامي ومادتها هي أنفس ما عالجت يد فنان وهي اللغة ولو لم تصل إلينا آيات الفن الجميلة التي صنعتها أيادي الفنانين في ذلك العهد من الزجاج والمعادن لاستطعنا أن نرى في هذه الرسائل مبلغ تقدير المسلمين للرشاقة الرقيقة، وامتلاكهم لناصرية البيان في صورته الصعبة وتلاعبهم بذلك تلاعبا، ليس من محض الاتفاق أن كثيرا

من الوزراء في ذلك العهد كانوا من أساتذة البيان وأعلامه، لذلك استطاعت رسائلهم أن تتال من التقرير ما جعلها خليقة أن تنشر كتباً للناس". (1)

فالسجع ظاهرة لغوية بلاغية تشع نغماً موسيقياً بجانب مدلولها اللغوي تنفذ إلى النفوس وتتعلق في الأذهان، بكل ما تحمل من معاني وظلال، وبكل ما يكمن فيها من أسرار.

فقد بلغ العقل العربي من القدرة على التقنن في استخدام اللغة بنبرات حروفها وإيقاعات كلماتها وأنغام تراكيبها وجميع إمكاناتها المعنوية وطاقاتها الصوتية، وشارك السجع في إظهار شاعرية اللغة وحيويتها وثرائها. كما شارك أيضاً في إبراز الإحساس العربي والطبيعة الموسيقية التي ميّزت هذا الإحساس. (2)

إن أثر الأسجاع العفوية الجميلة ظاهر ومتميز من خلال جمال العبارة وفنية الصناعة اللفظية حلاوة اللفظ وجرسه في الأشكال والصور الفنية الراقية، إن اللغة المستخدمة في الأمثال العامية تكاد تسمو إلى لغة الشعر التصويرية الموسيقية فالكلمات تتوالى في وحدات موسيقية إيقاعية وهي بهذه الخصائص الفنية المميزة تألفها القلوب و تأنس إليها النفوس وتتعلق في الأذهان .

1-الخصيلة اللغوية ص134- العربية ولهجاتها ص58

2-المرجع نفسه ص134

الجناس

يعتبر الجناس من أنواع البديع الأكثر انتشارا في أعمال الأدباء وقد ظهر هذا اللون البديعي على وجه الخصوص عند أصحاب المقامات عندما كانت تعقد الحفلات الشعبية في الأماكن العمومية وبخاصة منها الأسواق لرواية الأقاويص والحكايات والأساطير والخرافات وحتى يفهم عامة الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية والفكرية كان يستعمل الأسلوب السهل البسيط الذي يكتظ بألوان البديع من سجع وجناس واقتباس...

فيكسب القول جمالا وتأثيرا في النفس (1)

والجناس ضرب من ضروب المحسنات البديعية وقد تعرض إلى تعريفه الكثير من رواد اللغة العربية فابن المعتز يقول عنه : (هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعري وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس

عليها) (2)

لم يفصح ابن المعتز في كلامه إن كان التجانس بين الألفاظ يقتصر على الحروف فقط أم يمتد إلى الدلالة أيضا، في حين نجد الخليل بن أحمد الفراهدي يوضح أمر التجانس عندما يقول : " الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ". (3)

1- الأسس النفسية للأساليب البلاغية العربية ص 15-37

2- كتاب البديع ص 25

3- المرجع نفسه ص 26

فالجناس هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، واللفظان يسميان ركني الجناس، ولا يشترط فيهما تشابه جميع الحروف، بل نستطيع أن نكتفي في التشابه ما يعرف به المجانسة...

وقسم علماء البلاغة الجناس إلى قسمين، جناس تام، وجناس ناقص فالتام هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور: أنواع الحروف، عدد الحروف، ترتيب الحروف، و هيئة الحروف، وله ثلاثة ضروب : إذا حدث التجانس بين اسمين سمي مماثلاً، وإن حدث التجانس بين اسم وفعل سمي مستوفياً، وإن حدث بين كلمة مفردة وأخرى مركبة سمي تركيبياً، ويعد الجناس التام من أكمل أنواع الجناس إبداعاً وأسماءها رتبة أما الجناس الناقص (غير التام) فهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة السابقة الذكر وينقسم إلى أربعة أقسام كبرى : إذا اختلف اللفظان في أنواع الحروف، وإذا اختلف في عدد الحروف، وإذا اختلف في هيئة الحروف الحاصلة من الحركات والسكنات والنقط، وإذا اختلف في ترتيب الحروف . وتدرج تحت كل قسم أنواعاً مختلفة من التجنيسات .

وإن تأملنا الأمثال الشعبية وجدناها تفتقر إلى هذا اللون البديعي من الجناس التام الذي تزخر به النصوص الأدبية في العربية الفصحى ويعود ذلك في نظرنا إلى تنوع الاستعمال اتساع في اللغة العربية أغنى تراثها التعبيري بالمتراذفات والمشارك اللفظي والتضاد والإقتراض ...

وهذا النوع من الجناس يعتبره الأدباء واللغويون أرقى الأنواع وأسماءها مرتبة، وأكثرها صعوبة، فالظفر بلفظتين متفتحتين في جميع الحروف، ومن حيث الشكل والعدد و الهيئة والترتيب، مختلفتين في المعنى ليس سهل المنال ومما يصعب العثور عليهما .

وندره الجنس التام في الأمثال الشعبية يرجع إلى افتقار العامية لهذا النوع من الأساليب هذا بالمقارنة مع الجنس الناقص الذي يتواتر بكميات هائلة في غالبية الأمثال ويسيطر على التراكيب سيطرة كلية حتى لا تكاد تخلو منه جملة .

ومن التجنيسات التامة الخفيفة التي جاءت في الأمثال الشعبية نورد المثال التالي :

(قل كلام خير ولا اسكت خير).

وردت هذه التجنيسة تامة إذ اتفق اللفظان، خير في الفاصلة الأولى و خير في الفاصلة الثانية في جميع الحروف مع النطق، واختلفا في المعنى أو الدلالة فاللفظة في التركيب الأول (خير) بمعنى كل ما من شأنه إدخال الفرح والسرور إلى نفوس الناس، واللفظة في التركيب الثاني (خير) بمعنى أفضل أي سكوتك أفضل من كلامك . ومما يلاحظ على هذه التجنيسة أنها جاءت بدون عنق أو تكلف.

الجناس غير التام:

ثلاثة في الدنيا ابحمرو الوجه وثلاثة في الدنيا ايصفروه اللي ابحمرو الوجه : نواض البكرى و الجلوس مع الناس الكبرى وتزوج البكرى . والثلاثة اللي ايصفروه أكل المسوس ومخالطة المنحوس ودخول السوق (بلا فلوس)

اشتمل التركيب على عدة تجنيسات غير تامة بمختلف أنواعها فقد تجانست لفظتا (البكرى والبكرى) بحيث اتفقت في عدد الحروف وترتيبها ونوعها واختلفتا في الحركات وهو ما يعرف بالجناس المحرف وهذا الاختلاف الحاصل في الحركات والسكنات يأتي في الاسماء

والأفعال على حدّ سواء، أما اللفظة الكبرى فقد اختلفت معهما في الترتيب الحرفي، كما وقع التجانس بين كلمتي (المسوس و المنحوس)
نلاحظ أن الجنس الناقص قد طغي على أسلوب الأمثال الشعبية بشكل مكثف ولم يفته إلا فن السجع لسهولة العثور على الفواصل المتفقة في الروي، وغالبا ما يأتي عفويا مطبوع خاطر، يلذ في الأذن و ينفذ الي القلب وقد يأتي عن عنث و عناء يقلق الذوق الأدبي .

الإيجاز

تمتاز اللغة العربية عن بقية لغات العالم من حيث الدقة في التعبير بحيث تعتبر أغنى لغة في الألفاظ المعبرة عن المعاني المجردة، وانفعالات العواطف، ومن وسائل دقة التعبير في العربية مزيادات الأفعال، فعندما نقول مثلاً تقائلوا أو تقاضوا، تفتانوا، فإن هذه الصيغ المشاركة تعبر باللفظ الواحد عن معانٍ لا يعبر عنها في لغات أخرى إلا بعدة كلمات وهذه الميزة من خصائص العربية وحدها دون غيرها.

فالعرب أقدر من غيرهم في التفنن بلغتهم لأنها لغة شعرية كثيرة الكنايات والإشارات يسهل فيها التعمية والألغاز، واستعمال المجاز وسائر أساليب البديع، فإنها في العربية أرقى مما في سواها. ومما زاد العربية غنى في مفرداتها المترادفات والأضداد التي فاقت في ذلك سائر أمم الأرض.

إن كثرة المترادفات في اللغة العربية تعدد المعاني للفظ الواحد جعل منها لغة واسعة التعبير وسهّل على مستعملها كل أنواع الفنون من تسجيع واقتباس وإيجاز وسائر الأساليب البديعية الأخرى.

ونعتبر الأمثال العربية من الأداب المهمة، لأنها تجري على السنة الناس مجرى الشعر والحكمة، وهي غطت لها تأثيرها البالغ في النفوس ولا نجد فرقا كبير بينها وبين الأمثال العامية لأن مصدرها في اعتقادنا مشترك فهي ثمار اختبار طويل وعقل راجع، وكذا اشتراكهما في "إيجاز

اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه " (1)
ولا تخلوا أمة من الأمم من الأمثال والحكم المتوازنة في الأعقاب فقد
تناقلها الناس وورثتها الأمم من الثورات، وأمثال الهند، والفرس والروم
فضلا عما يروونه عن أسلافهم وحكمائهم . " (2)
والإيجاز كما اتفقت جميع التعريفات النقدية انه جمع معاني كثيرة في
ألفاظ قليلة مع وفائه بالقصد خلافا للتطويل الذي يعني بعض ألفاظه
كله (3).

وهذه الظاهرة من أهم ما تميز به المثل الشعبي فكانت الحاجة إلى
الإيجاز لحفظ التراث العقلي وتسهيل على الأجيال المتعاقبة تناقله سليما.
وكان العرب قديما يمتازون بأمثالهم المبنية على الحوادث الخاصة بهم

1-مجمع الأمثال ج 1 ص 14

2-المثل السائر ج 2 ص 307

3-علم المعاني ص 190-191

لأنها جرت لهم كقولهم : " قطعت جهينة قول كل خطيب " - " والصيف ضيعت اللبن "، " وسبق السيف العدل " أو حكمية كقولهم : الحرب خدعة قبل العقاب، وقد عني العرب بجمع الأمثال وكانت من جملة احتجاج إليه اللغويون أثناء جمعهم اللغة العربية وتحقيق ألفاظها.

وتطور أسلوب الإيجاز حتى صار مطلب بلاغي يتنافس فيه الأدباء ويتفنون في طرقه وأساليبه حتى ودّ بعضهم لو كان الكلام كلّهُ توقيعات مصحوبة في قواليب من الإيجاز -

وقد تعرض إلى تعريف الإيجاز جملة من الأدباء والنقاد فالرمانى يرى إن الإيجاز هو : " تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى " (1) وعند أبى هلال العسكري (395 هـ) " الإيجاز هو قصور البلاغة على الحقيقة وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخلل " (2) بينما ابن سناد الخفاجي، يقيد الإيجاز بوضوح المعنى، حيث نجده يقول " ويجب أن نحد الإيجاز المحمود بأن نقول : هو إيضاح المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ وهذا الحد أصح من حد أبى الحسن الرمانى بأنه العبارة عن المعنى بأقل ما يمكن من اللفظ، وإنما كان حدنا أولى لأننا قد احترزنا بقولنا إيضاح من أن تكون العبارة عن المعنى، وإن كانت موجزة غير

1-النكت في إعجاز القرآن ص76

2-صناعتين ص : 173

موضحة له، حتى يختلف الناس في فهمه فيسبق إلى قوم دون قوم بحسب أفساطهم من الذهن وصحة التصور فان ذلك وان كان يستحق لفظ الإيجاز والاختصار فليس بمحمود، حتى تكون دلالة اللفظ على المعنى دلالة واضحة . " (1)

كما تعرض الجاحظ إلى تحديد مفهوم الإيجاز بقوله " الإيجاز هو جمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة "، فجل التعريفات وان اختلفت الصيغ والتراكيب تصب في مفهوم مشترك هو الإبانة والإفصاح بقليل الألفاظ وكثرة المعاني.

أسلوب الإيجاز من أهم الخصائص الفنية في اللغة العربية بحيث أن العرب ومنذ القديم لم يكونوا يميلون إلى الإطالة والإسهاب، وعدّوا الإيجاز بمثابة البلاغة وحتى في وقتنا الحاضر اصبح الإيجاز والاقتصاد في الكلام من أهم الميزات في التخاطب وتبليغ الرسائل...

والإيجاز عند البلاغيين ضربان:

1- إيجاز قصر، وهو تقليل الألفاظ وتكثير المعاني من غير حذف ويعتبر هذا النوع من الإيجاز أعلى طبقات الإيجاز مكانة وأعوزها إمكانا (2) وهذا الضرب يكثر في الأمثال الشعبية الجزائرية ولناخذ جملة من الأمثال

1-سر الفصاحة ص203

2-الإيضاح ص387

الشعبية التي تقل فيها المفردات وتكثر بها المعاني وتتراحم:

1- الدنيا غرارة

2-الطمع يفسد الطبع

3- الماء يزيل الجدام

4-النار تولد الرماد

اشتملت هذه الأمثال بالرغم من قلة ألفاظها على معان كثيرة متزاحمة تجعل المتأمل والسامع يجول بفكره في رحابها دون أن نجد حداً لموضوعيتها ومراميها بما تتركه من مجالاً واسعة فسيحة للفهم والتفسير. وما ينطبق على هذه الأمثال الشعبية ينطبق على غيرها، والسرف في ذلك أن هذه الأمثال قد جرّدت من الزمان والمكان، دون ارتباطها بحوادث لكن لها ارتباط بتجربة طويلة ورجاحة عقل وحصيلة حياة بكاملها. إن المتأمل لهذه الأمثال الشعبية يستطيع القول أنها شبيهة، وقريبة من الحكمة.

هذا النوع من الإيجاز يعرف بإيجاز القصر الذي يعطي للتعبير وقعا جميلاً ويجعل معناه يبهر السامع ويدفع المسؤول إلى تحريك الدلالات لاستنتاج مدلولات الأداء المتعددة ولا يبرز معالمه الأدبية.

ونجد ابن الأثير يشيد بإيجاز القصر إشارة كبيرة، وتوخى في سلوكه الروعة والجمال وأعجب كثيراً بالكلام الذي يبني عليه، وعدّه من الكلام الشريف وشبهه بالجوهرة النفيسة وعدّه شرطاً أساسياً من شروط البلاغة والفصاحة.

فالإيجاز عنده عنصر خلاق يحسن البيان ويهدّب أصناف الكلام، ويخلص ألفاظه من الشوائب ويظهر الغرض وفحوى القول، فالعبرة

ليست في الألفاظ ولكن في المعاني والأفكار التي تؤديها تلك الألفاظ مما أدى به إلى القول " إنه عجيب الأمر ... شبيه بالسحر، وذاك أنك فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجديك أنطق ما تكون، إذا لم تنطق، وأتم ما تكون مبيّنا، إذا لم تبين " (1)

احتوى هذا النوع من الأمثال على ألفاظ قليلة لكنها تحمل معاني ودلالات تفوق بكثير عدد الألفاظ التي وضعت لها.

الإيجاز بالحذف:

ويتعلق الأمر بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع وجود قرينة تدل على المحذوف ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه (2) وهو بالإضافة إلى ذلك ((باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت من الإفادة أزيد للإفادة، وتجديك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم بيانا إذا لم تبين)) (3).

1- الحيوان - ج3 - ص : 86

2- المثل السائر ص : 194

3- دلائل الإعجاز ص : 170

الشعبية التي تقل فيها المفردات وتكثر بها المعاني وتتراحم:

1- الدنيا غرارة

2- الطمع يفسد الطبع

3- الماء يزيل الجدام

4- النار تولد الرماد

اشتملت هذه الأمثال بالرغم من قلة ألفاظها على معان كثيرة متزاحمة تجعل المتأمل والسامع يجول بفكره في رحابها دون أن نجد حدًا لموضوعيتها ومراميها بما تتركه من مجالاً واسعة فسيحة للفهم والتفسير. وما ينطبق على هذه الأمثال الشعبية ينطبق على غيرها، والسر في ذلك أن هذه الأمثال قد جرّدت من الزمان والمكان، دون ارتباطها بحوادث لكن لها ارتباط بتجربة طويلة ورجاحة عقل وحصيلة حياة بكاملها. إن المتأمل لهذه الأمثال الشعبية يستطيع القول أنها شبيهة، وقريبة من الحكمة.

هذا النوع من الإيجاز يعرف بإيجاز القصر الذي يعطي للتعبير وقعا جميلا ويجعل معناه يبهر السامع ويدفع المسؤول إلى تحريك الدلالات لاستنتاج مدلولات الأداء المتعددة ولا يبرز معالمه الأدبية.

ونجد ابن الأثير يشيد بإيجاز القصر إشارة كبيرة، وتوخى في سلوكه الروعة والجمال وأعجب كثيرا بالكلام الذي يبني عليه، وعدّه من الكلام الشريف وشبهه بالجوهرة النفيسة وعدّه شرطاً أساسياً من شروط البلاغة والفصاحة.

فالإيجاز عنده عنصر خلاق يحسن البيان ويهدّب أصناف الكلام، ويخلص ألفاظه من الشوائب ويظهر الغرض وفحوى القول، فالعبرة

ويرجع الترك إما لضيق المقام أو للإحتراس من العبث، والأصل في الكلام أن يكون فيه ما يدل على المحذوف، وإن لم يوجد ما يدل على المحذوف فإنه من الحديث، ومتى ظهر صار الكلام إلى شيء غث لا يناسب الجمال البلاغي (1)

والإيجاز بالحذف إنما يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر، وتأتي المحذوف في أساليب إيجازية على وجوه مختلفة.

فيما يخص حذف المفردات:

1- حذف الفاعل والاكتفاء في الدلالة عليه بذكر الفعل وهذا الحذف في الأمثال الشعبية نادر جدًا لأن القاعدة النحوية لا تجيز حذف الفاعل على الإطلاق.

لكن من الناحية البلاغية فإنها تجوز ذلك من باب تحسين الأساليب شريطة أن يكون الكلام مفهوماً وملائماً، أي أن الحذف لا يسوغ في كل موضع من الكلام، وإنما يكون في ما دلّ عليه مكان المحذوف.

ومن النقاد من تعرضوا إلى هذه الأضرب وقد راعوا في تحليلهم للصيغ والأساليب المعنى النحوي ويحرصون على إبراز محتوى العبارة وعلاقة الحذف بجمال وروعة الأسلوب ووضوح الدلالة.

كما أن الحذف يكسب الصيغة جمالا وبهاء ودعوا إلى عدم ذكر
المحذوف - فإن ظهر كان الكلام غثا باردا . (1)
لنأخذ مثلا الأمثال التالية:

1- طاحت وصبناها . قد حذفت كلمة من المثال موقعها الإعرابي على
الفاعلية وإذا قدرناها قلنا : طاحت الحاجة وصبناها، والقرينة تاء التأنيث
والهاء المتصلة ب صبناها .

فحذف الفاعل من التراكيب اللغوية نادرا ما يقع ذلك أن القاعدة النحوية
لا تجيز حذف العناصر الأساسية من التركيب إلا من باب تحسين
الأساليب البلاغية . وقد يحذف المفعول به الذي يعتبر من المكونات
الأساسية في التراكيب والاستغناء عنه يحدث خلا بالمعنى ويفقد الجملة
فائدتها .

فمثلا: (انجروقيس) - (اللي ما رقع ما لبس)

السرف في الإيجاز بالنسبة للمثال الأول نجده في حذف كلمة موضعها من
الإعراب على المفعولية، والتقدير انجر اللوح وقيس "ه" وفي المثال
الثاني اللي ما رقع الثوب ما لبس "ه" والإيجاز بحذف المفعول به يكون
متعلقا بالأفعال المتعدية، والتعدي في هذه الأمثال يتم عن طريق القرينة .
ولو أخذنا المثال التالي : (الفرس ما ينوض العجاج) حذفت منه كلمة
يمكن تقديرها (بالماهر) وموضعها من الإعراب على الصفة، ونجد هذا
النوع أيضا في المثال : كل شاة تتعلق من كراعها والتقدير كل شاة
(مسلوخة) تتعلق من كراعها.

1- المرجع نفسه ص : 76

أما المثل الرابع فجاء محذوف حرف النداء والتقدير:
أنا نقولك "يا" سيدي وانت عرف قدرك.

يحذف النداء دون احداث خلل بالمعنى في الأمثال الشعبية ومن الأمثال
الفصيحة كقوله تعالى : " يوسف اعرض عن هذا " الآية (29)
وحذف أداة النداء جائز عند علماء اللغة تقول : زيد - وانت تريد يا زيد،
وتقول : من لا يزال محسنا أفعل كذا، وأنت تريد : يا من - وإنما لم
يجوزوا حذف أداة النداء إذا كان المنادى اسم إشارة - فلا تقول : هذا -
وانت تريد يا هذا - (1)

وقد تحذف الجملة إيجازا في الأمثال الشعبية كقولنا : (الحمامة طارت)
فالجملة المحذوفة في هذا المثل تقدر ب : الحمامة " اللي غواتك "
طارت. فهي واقعة موقع صلة الموصول، وقد تكون غير ذلك مثل :
(اللي خاف اسلم) والتقدير : اللي خاف " فامتثل " سلم . فالجملة دلت
على حال .

وكما تحذف الجملة إيجازا في الاستعمالات البلاغية تحذف شبه الجملة
من الأمثال العامية هي الأخرى، كأن نقول مثلا : (اخدم بالرطل ولا
تتعطل) حيث حذفته منه شبه الجملة وهي تعرف من المعنى ويمكن

1-سورة يوسف : الآية 29

2-اللغة العربية نحوها وصرفها 131/2-132

تقدير ذلك (اخدم بالرطل ولا تتعطل " في الحياة " . وكذلك في المثال
(العنقود حامض) فالتقدير العنقود "من العنب" حامض.

أما في بعض الأمثال الشعبية ذات الاستعمال الواسع والتي ترمز في
أغلب الأحيان إلى استخلاص الدروس والعبر من تصرفات ومعاملات لا
طائل من وراءها كأن نقول مثلا : (الكذب والحلف) ويأتي المثال عندما
 نجد شخصا يتفنن في شتى أنواع المكر والخداع والنفاق ويستدل على
ذلك بالقسم .

والمدرك الفطن لمثل هذه الأفعال يجبه بهذا المثال (الكذب والحلف) لأن
ذلك جاء نتيجة حوار بين شخصين تضمن عدة جمل ولم تظهر بسبب
تحسين الأسلوب البلاغي، وهذا المثال وغيره من الأمثلة المشابهة
تحوي عدة جمل تكون قد حذفت لهذا الغرض إيجازا .

ونستطيع القول هنا أن إيجاز الحذف قد يتم بأكثر من جملة. جميع الأمثلة
التي أوردناها من الخطاب الشعبي العام تدخل ضمن إيجاز الحذف سواء
كان حرفا أو كلمة أو جملة أو أكثر، مع قرينة تعين المحذوف ولا يكون
إلا فيما زاد معناه على لفظه . (1)

الإطناب

هو الإطالة في الكلام لغرض تأكيد وترسيخ فكرة في ذهن السامع وقد يستلزم الإسهاب بالشرح والإيضاح، إما طلبا لتمكين المخاطب من الفهم إن كان غبيا، وإما لتنزيله منزلة قصار العقول إن كان قد تجاوز الحد في المكابرة والعناد.

وقد عرض الجاحظ في كتاب الحيوان للإطناب فقال : " وقد بقيت أبقاك الله - أبواب توجب الإطالة وتحوج إلى الإطناب . وليس بإطالة ما لم يجاوز مقدار الحاجة ووقف عند منتهى البغية(1).

فالإطناب في رأي الجاحظ مرادف للإطالة وهما معا مقابلان للإيجاز، وهما عنده : كل ما جاوز مقدار الحاجة من الكلام ولم يقف عند منتهى البغية .(2)

أما أبو هلال العسكري فقد أشار إلى الإطناب في معرض كلامه عن الحاجة إلى الإيجاز والإطناب فقال " والقول القصد أن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه ولكل واحد منهما موضع فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه . فمن

1-كتاب الحيوان ج6 ص8

2-المرجع نفسه 8/6

أزال لتدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب خطأ . " (1)

فإذا كانت الإطالة عند الجاحظ مرادفة للإطناب فإنها عند أبي هلال مقابلة لها وهو في ذلك يقول : " فالإطناب بلاغة والتطويل عتي لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلا بما يقرب، والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوي على زيادة فائدة . " (2)

أما ابن الأثير في معرض حديثه عن تحديد مفهوم الإطناب كما يراه هو حيث يقول : ((إذا رجعنا إلى الأسماء واشتقاقاتها وجدنا هذا الاسم الإطناب - مناسبا لمسماه - وهو في الأصل مأخوذ من أطنب في الشيء إذا بالغ فيه - ويقال أطنبت الريح إذا اشتدت في هبوبها وأطنب في السير إذا اشتد فيه .

وعلى هذا فإن حملناه على مقتضى مسماه كان معناه : المبالغة في إيراد المعاني . وهذا لا يختص بنوع واحد من أنواع البيان وإنما يوجد فيها جميعا، إذ ما من نوع منها إلا ويمكن المبالغة فيه . وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن يفرد هذا النوع من بينها . ولا يتحدد أفراده إلا بذكر حده الدال على حقيقته .)) (3)

1-كتاب الصناعتين ص : 191

2-المرجع نفسه ص : 191

3-المثل السائر ص : 217

وبعد ذلك نخلص إلى تحديد المفهوم الاصطلاحي للإطناب فيقول:

« الإطناب هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة .» (1)

وهذا الحد عنده هو الذي يميزه عن التطويل إذ التطويل : " هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة " كما يميزه عن التكرير الذي هو : " دلالة اللفظ عن المعنى مكررا . كقولك لمن تستدعيه : أسرع - أسرع فإن المعنى مردد واللفظ واحد" .

فهو عنده أن كل تكرار يأتي لغير فائدة تطويل، وأن كل تكرار يأتي لفائدة فإنه جزء من الإطناب.

ويعرف ابن الأثير كل من الإيجاز والإطناب والتطويل بقوله:

((أن مثال الإيجاز والإطناب، والتطويل مثال مقصد يسلك إليه في ثلاثة طرق : فالإيجاز هو أقرب الطرق الثلاثة إليه، والإطناب والتطويل هما الطريقتان المتساويتان في البعد إليه إلا أن طريق الإطناب تشتمل على منزه من المنازه لا يوجد في طريق التطويل))، مما يستنتج من قوله أن الإطناب عنده مقابل التطويل.

ويبدو من خلال هذا التمثيل ووضوحه أنه متأثر بأبي هلال العسكري فيما ذهب إليه من تعريف للإطناب والتطويل.

أما السكاكي فقد عرف الإطناب بقوله : " الإطناب أداء المقصود بأكثر

من عبارة المتعارف . " والقزويني عرفه بقوله : " الإطناب تأدية أصل
المراد بلفظ زائد عليه لفائدة " (1)

فإن جميع هذه التعريفات التي أوردناها عن الإطناب تنفق في المضمون
وتختلف من حيث اللفظ.

فالإطناب يأتي على أنواع مختلفة لأغراض بلاغية منها الإيضاح بعد
الإبهام - ذكر الخاص بعد العام . ذكر العام بعد الخاص - التكرير -

الاحتراس - الاعتراض - التذييل . (2)

استعمل الإطناب بكثرة في الأمثال الشعبية وهذا أمر طبيعي حيث أن
القائل يعتمد في كتاباته على أساليب بديعية متنوعة قصد الوصول إلى
الأهداف والغايات ولا يمكن إغفال التطور الذي تعرفه الصناعة اللفظية
في هذا العصر حيث أكسبت الأسلوب أكثر مرونة ويسرا باعتماده على
النعمة الموسيقية اعتمادا كبيرا يلذ العقل والشعور والأذن.

فكان من أجل الوصول إلى ذلك لا بد من تطويل الجملة حتى تناسب
الموضوع . بتنوع الأساليب واستخدام المترادفات وإضافة بعض الكلمات
والجمل أو تكرار المعنى الواحد في عبارات مختلفة، وتوليد المعاني
بعضها من بعض.

1-الإيضاح ص : 118

2-علم المعاني ص : 205 - 215

والغرض من الإطناب في الأمثال هو تأكيد وترسيخ الفكرة في الأذهان
قصد الإقناع ولن يتأتى ذلك إلا بتكثير الجمل وتنوعها.

ومن ذلك (ثلاثة في الدنيا يحمرو الوجه وثلاثة في الدنيا يصفروه الثلاثة
اللي يحمرو الوجه انواض البكرى والجلوس مع الناس الكبرى وتزوج
البكرى والثلاثة اللي يصفروه أكل المسوس ومخالطة المنحوس ودخول
السوق بلا فلوس.) مثال : لا تصدق نوار اللوز وصدق المشماش، الشيب
يظلم والصح في التكماش .

فقد اعتمد المثل على لفظة واحدة - " ثلاثة " - سمحت بالامتداد والإطالة
وتبعتها عدة بنى تركيبية ارتبطت بها وتعلقت - كأوصاف احمرار الوجه
واصفراره واستخدم هذا النمط الأسلوبى الذي تراعى فيه تكثير الكلمات
لتأكيد المعنى وترسيخ الفكرة في الأذهان، فالوصف يعتبر وسيلة من
وسائل التوسيع والتوكيد قصد التطويل.

ثم عطف عليها جملة من البنى اشتركت فواصلها جميعا بحرف روى
موحد، ففي البنية الأولى والثانية توافقت الفاصلتان (يحمرو - يصفرو)
أما بقية البنى الأخرى فقد اشتركت ثلاثة منها تقفية ورويا وهي (بكرى
كبرى - بكرى) واشتركت ثلاثة أخرى أيضا في نفس الفاصلة وزنا
ورويا وهي (المسوس - المنحوس - الفلوس).

قال : (الصمت حكمة تخرج منه الحكايم لو ما تصمصيم ولد الحجلة ما
يجي الحنش هايم).

فقد أطال الجملة ليؤكد ما يريد تبليغه حيث استخدم لو الشرطية وهي من
وسائل التنويع في الأسلوب التي تسمح للجملة بالامتداد والإطالة . وهي
بالإضافة تفيد امتناع الشرط خاصة، ولا دلالة لها على امتناع الجواب

ولا على ثبوته، ولكنه إذا كان مساويا للشرط في العموم كما جاء في
المثل، وهذا ما جعل التركيب يمتد ويطول أكثر لأن الكاتب في هذه
الحالة يكون بصدد تكثيف المعاني قبل الوصول إلى مضمون الخطاب
ولو أراد غير ذلك لاكتفى بالتركيب التالي : الصمت حكمة تخرج منه
(الحكايم)

"خفيف الأقدام يشيان ولو كان وجه مرآية، وقليل الأكتاف ينهان ولو
كان جهده عناية." "

يشتمل التركيب في هذا المثل الشعبي على ثنائيتين كل ثنائية توافق
أختها في الفاصلة الأولى (يشيان - يتهان) والثانية (مرآية - عناية) وقد
نجد استخدام وسائل مساعدة على التنويع لتأكيد وترسيخ المعنى وتمكينه
من أذهان السامعين حتى يقتنعوا.

"الطول للشجر والغلظ للبقر والعقل للبشر." "

قد أطال كثيرا في هذا التركيب حيث استخدم وسائل واو العطف لتنويع
وتكثير الجمل فارتبطت ببعضها البعض واتفقت الثنائيات في المماثلة
والروى والتقفية (للشجر - للبقر - للبشر) فكان بإمكانه الاكتفاء بعبارة
(الطول للشجر)

فالغرض من استعمال هذا اللون الذي يعد من الأصناف البلاغية إنما
لتأكيد وترسيخ الفكرة في الأذهان، وقصد التأثير والإقناع ويتأتى ذلك
عن طريق تنويع الجمل وتكثيرها.

"كاين الصبر اللي يجبر وكاين اللي يذبر وكاين اللي يوصل للقبر." "

اعتمد المثل على لفظة واحدة (الصبر) والتي رافقت المعنى العام للمثل
بحيث أن البنى التركيبية الثلاث المكونة للمثل الشعبي تدور كلها حول

مفهوم واحد هو الصبر، فهناك الصبر الذي يريح، والذي يقرح، والذي يؤدي إلى الموت. وهذه الكلمة قد سمحت للتركيب بالامتداد والإطالة كما أن البنى التركيبية التي عطفت على الصبر اشتركت فواصلها جميعا في حرف روي واحد موحد هو (الراء) وهذه ميزة تتفرد بها الأمثال الشعبية ليسهل على السامع استيعابها وتخزينها في ذاكرته للاستشهاد بها عند الضرورة للإقامة الحجة والدليل.

الإقتباس

نقصد بالاقْتباس استلْهام الأثار الأدبية والدينية على اختلافها بما فيها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والأشعار، والأمثال، والأقوال المأثورة والحكم. (1)

هذا الأسلوب قد ظهر بكثرة في مختلف الإبداعات الفكرية والأعمال الأدبية كالمقامات والخطابة والرسائل وغيرها، وقد نجد ذلك يتباين من كاتب لآخر بين الضالة والكثرة ويعود هذا الاختلاف إلى طبيعة هؤلاء وتأثرهم بهذا اللون البديعي وتباين أمزجتهم.

ومن خلال دراستنا للأمثال الشعبية وجدناها تكتظ بالتضمينات والاقْتباسات اكتظاظاً، فقد ضمنت العديد من الآيات القرآنية والأقوال المأثورة، والأمثال والأحاديث، فالآيات القرآنية استخدمت أحياناً كما وردت وأحياناً أخرى بتصريف دون الخروج عن الإطار العام الذي جاءت فيه.

ومما لا شك فيه أن الذين كان لهم الفضل في الأمثال الشعبية لأغراض ما كانوا في غاية الذكاء والفتنة وقوة الذاكرة، واسعي الفكر غزيري الحفظ متقدي الجنان، إضافة إلى ذلك كانوا أعمدة الأدباء في ثقافتهم الأدبية

هذه كلها عوامل جعلتهم بارعين في وضع الآيات القرآنية والأمثال العربية والأقوال المأثورة مواضعها الملائمة، وبكيفية أنيقة، منظمة ومحكمة، فحدث ذلك التلاؤم والتجانس واستقر المعنى لا يقلق، يقع في القلب، ويحسن في السمع، فإن انضاف إلى التلاؤم وحسن البيان وصحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الإعجاز بمن كان جيد الطبع بصيرا بجواهر الكلام.

وكثيرا ما تكون الأمثال الشعبية مقتبسة اقتباسا كليا من الآية أو الحديث بدون تصريف أو تغيير إذا كان المجال مناسباً لإقامة المثل مع مراعاة المحسن البديعي إن أمكن ذلك.

وإن تعذر ولم يستقم ذلك يعدل عن هذه الطريقة فلا تقتبس الآية كما وردت في القرآن وإنما يحدث بها تغييرا طفيفا كاستبدال الألفاظ أو اللجوء إلى التقديم والتأخير أو إدخال أدوات التوكيد دون الإخلال بالمعنى العام للمثل المقتبس.

ومما جاء في الأمثال الشعبية من اقتباسات قرآنية نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

لمن تقرا زبورك يا داود

بقيت دار لقمان على حالها

بين الكاف والنون يكون فيكون

لحاجة في نفس يعقوب

رب غفار ظفار يعمر الجنة ويزيد النار

رب حلل الطلاق وبغض

قد تقتبس الآيات القرآنية حرفيا كما نزلت دون إحداث تغيير إن كان المقام يستدعي ذلك ومن الأمثلة التي حفلت بها الأمثال الشعبية نذكر على

سبيل المثال : " لمن تقرى زبورك يا داود " استعملت هذه الآية الكريمة استمالا شعبيا كما نزلت دون تغيير (لمن تقرأ زبورك يا داود) الآية سورة داود .؟؟؟

يعبر المثل في شكله الأساسي عن حقيقة ركبت في تعبير مختصر سهل يمتاز بالطابع التعليمي من حيث الموضوع، وبالإيجاز من حيث الأسلوب وهناك أيضا وسائل أخرى مساعدة نجدها في تركيب المثل الشعبي كالجناس والتفنية، وهي خاصية أساسية من الخصائص التركيبية اللفظية والمعنوية التي يتميز بها المثل الشعبي .

إن أحسن وسيلة يستعان بها في مثل هذه الحالات لإظهار أهمية الأمر وعظمته هو تضمين الأمثال مثل هذه الآيات القرآنية، وأغلب الأحيان نجد أن هذه الأمثال الشعبية المقتبسة من القرآن الكريم تبتدى بأداة توكيد أو تحقيق أو فعل أمر أو نهي أو غيرها من وسائل التوكيد المختلفة المساعدة على تقوية المعنى .

الاقتباس من الحديث

انطلاقاً من عقيدة الإنسان الراسخة في كيانه، وإيمانه القوي باسلاميته وأصالته المتجدرة في عمق العروبة، وجد الإنسان نفسه أمام تراث إنساني زاخر، فكان طبيعياً أن يتأثر بمحتوياته الثقافية الأدبية منها والعقائديه ويترجمها في أسلوب بسيط يستطيع أن تدركه عامة الناس على اختلاف قدراتهم الفكرية والثقافية، فيحاول تبسيط معاني وأسلوب القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مستعملاً في ذلك أسلوب الاقتباس ليحافظ على المعنى من جهة وتيسير الفهم من جهة أخرى، ومما جاء من اقتباسات الحديث النبوي الشريف وزخرت به الأمثال الشعبية نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

(لا تأمن ولا تستأمن في بلاد الأمان) فالمثل مقتبس من الحديث الشريف (خدوا حذرکم في أمنکم) كما نجد المثل الشعبي أيضاً (الجار وصي عليه النبي) مقتبس من الحديث الشريف (ما زال جبريل يوصني بالجار حتى ظننت أنه سيورتي) والمثل الشعبي (حن ايحن عليك الله) مقتبس من الحديث النبوي الشريف (والراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)

؟؟؟ ينبغي توضيح هذه الأمور.....

الاقتباس من الحكمة

قبل التطرق إلى الاقتباس الحاصل بين الأمثال الشعبية والحكم بصورة عامة لا بأس أن نتعرض إلى الفرق الموجود بين المثل والحكمة لما بينهما من فوارق جوهرية من حيث الدلالة، ولو حدث هناك تقرب في نظر البعض من حيث المفهوم العام للمصطلحين.

اختلف مفهوم الحكمة بين مختلف الشعوب القديمة فهي عند اليونان تعني الفلسفة بينما نجدها عند عرب الجاهلية لم تعرف بهذا المفهوم فالحكمة معناها الوصول إلى جوهر حقيقة الأشياء باستخدام العقل، وقد جاءت الحكمة في القرآن الكريم في عمومها بمعنى العلم الذي يمكن من معرفة الحقائق على ما هي عليه دون غلط ولا اشتباه (1)

وقد ذكرت الحكمة في القرآن الكريم في أكثر من مناسبة حيث قال سبحانه وتعالى في سورة البقرة: (تؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، وما يذكر إلا أولوا الألباب) البقرة 269 . وقال أيضا: (وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير) الأنعام 18 ومعنى الحكمة في الآية) هو تعالى الحكيم الموصوف بكمال الحكمة

1- تفسير التحرير والتنوير ج15 ص 106

-سورة البقرة الآية 269

-سورة الأنعام الآية 18

وبكمال الحكم بين المخلوقات فالحكيم واسع العلم والإطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد، تام القدرة، عزيز الرحمة، فهو الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدر في حكمته مقال، وحكمته نوعان : الحكمة من خلقه،...والحكمة في شرعه وأمره (1)

وتحمل الحكمة في معناها الموعظة الدينية والخلقية وبذلك فهي تدخل في مضمون فلسفة الخير وهذا ما ذهب إليه بنعمان في قوله: وتحمل (الحكمة) في مضمونها معنى الموعظة الخلقية والدينية فهي تمثل فلسفة الخير في مقابل الشر بكل أنواعه فالحكيم لا يمكن أن يكون شريراً أبداً (2)

تعتبر الحكمة عن فكر راق رفيع (ولا تصدر إلا عن أفراد حكماء علماء أو فلاسفة على درجة عالية من استعمال الذهن المتمعن، والتدبر الدقيق والاستنتاج . فالحكمة إذن ذات مصدر فردي، وذات محتوى فكري خلقي رفيع يصل في درجة شموليته وعمقه إلى أن يكون صالحاً لكل زمن ومكان)...؟

أما المثل الشعبي فهو نابع من الشعب مستمد من التجربة البسيطة التي يعيشها الإنسان فمن خلال حياته اليومية العادية وتجاربه المستمرة

1-شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة ص100-101

2-سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجية النفسية ص329

باستمرار الحياة وملاحظاته وما قد يحدث له من حوادث قد يعبر عن ذلك بجمل تتميز بالإيجار والدقة والوضوح فتروق الناس وتسري بينهم وتنتشر انتشارا واسعا وفي أثناء ذلك تتعرض للزيادة والنقصان ومن تم تصير ملكا للشعب يستشهد بها في حديثه ويتخذها منها حجة وبرهانه يقنع بها محدثيه .

وتنتشر الأمثال الشعبية بسرعة بين عامة الناس وبخاصة منهم الطبقة ذات المستوى الثقافي البسيط أو بالأحرى الأميين ويرجع ذلك لسهولة فهمها ووضوحها وأسلوبها المباشر وعن هذه الظاهرة يتحدث الأهواني فيقول: (الأمثال أكثر انتشارا بين الأميين منها بين المتقنين الذين يتقنون القراءة والكتابة، والبيئات التي تعتمد على الثقافة الشفوية تتداول الأمثال وتحرص على حفظها والاستشهاد بها أكثر من البيئات ذات الثقافة المكتوبة لذلك كان سلطان الأمثال في البوادي والقرى أقوى منه في المدن والحوضر .(1)

ينتشر المثل الشعبي ويعيش بين عامة الناس وخاصة الذين لا يعرفون الثقافة المكتوبة فيستغنوا عنها بالثقافة الشفوية التي تلعب فيها الأمثال الشعبية دورا هاما في الخطاب العامي بحيث تعتبر من تقنيات وفنيات الأسلوب العامي، ومهما بلغ من الرقي في شكله ومضمونه فإنه لا يستطيع الوصول إلى مستوى الحكمة العميقة في دلالاتها ومعناها ومبناها.

ومادام المثل الشعبي يعبر عن ضمير الجماعة فإن الإنسان البسيط يحفظه ويستعمله في الحديث مع الناس للاستشهاد والإقناع به، فهو وليد البيئة الأمية التي تغلب عليها الثقافة الشفوية البسيطة التي تنفر من التعقيد والغموض.

ونخلص إلى القول أن الشعب لا يستطيع بوصفه كلاً، أن يخلق شكلاً أدبياً مكتملاً بأي حال من الأحوال، وإنما يعتمد على كل خلق وكل ابتكار واكتشاف على شخصية مفردة، ولا بدّ أن كل مثل نطق به فرداً ما، في زمن معيّن ومكان معيّن، فإذا مسّ هذا المثل حسّ المستمعين له وأثر فيهم فسيؤدي ذلك التأثير والاستحسان حتماً إلى انتشاره بينهم، وكأنه عبارة عن ذات أجنحة وحينئذ يتعرّض المثل للتحوير والتهديب حتى يوضع في صيغة مقبولة من الشعب، فيطلق عليه حينئذ اسم المثل الشعبي (1)

بينما الحكمة لا تعبر إلا عن رأي صاحبها في الحياة وهي لا تنتشر إلا بين طبقة خاصة هي طبقة المتقنين والفرق بين المثل والحكمة تستطيع استخلاصه من قول أحمد بن نعمان: والفرق بين المثل والحكمة هنا هو أن الحكمة فردية وتبقى في غالب الأحيان منسوبة إلى قائلها، بينما المثل يزول قائله ويصبح تراثاً يعبر عن كل أفراد الشعب أو طائفة كبيرة

منه على الأقل، لأن التأشيرة النهائية لبقاء المثل هي الجماعة التي تتبناه ونخلص من هذا القول إلى أن الجملة الحكيمية تجربة فردية لا تمثل الجماعة بقدر ما تمثل قائلها، وهي تظل قائمة بلفظها على مرّ الزمان... أما الجملة المثلية فإنها قد تذكر الرأي ونقيضه في آن واحد داخل نفس الجماعة لأن الرأيين قيلا في زمانين مختلفين ومكانين مختلفين ثم وجد كلّ رأي صدى في فئة اجتماعية معينة، فتبناه التراث الشعبي لهذا المجتمع عبر التاريخ (1).

ومهما اختلف المثل والحكمة في مصدرهما ودرجة انتشارهما فإنهما يتفقان في غايتهم وأهدافهما التعليمية والتربوية والأخلاقية، كما أنهما لا يختلفان في صياغتهما حيث يمثلان مجموعة خبرات مضغوطة في كلمات قليلة مشتركة بين ثقافات مختلفة وشعوب متعددة.

ولا أدل على ذلك أكثر من المثل الشعبي :

(اخدم يا صغري لكبري واخدم يا كبري لقبري)

فالمثل الشعبي مقتبس بكل ما تحمله العبارة من معنى الحكمة العربية :
(اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) كذلك نجد المثل التالي (قل كلام خير ولا اسكوت خير) فهو مقتبس أصلا من الكلام العربي الحكيم : (إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب) ونستطيع أن نخلص إلى أن الاقتباس في الأمثال الشعبية يبقى من

الخصائص الفنية المعنوية في استلهاام الآثار الأدبية والدينية على
اختلاف أنواعها التي تضمن الاستمرارية والبقاء لهذا النوع من
الأساليب الشعبية المنتشرة بين عامة الناس دون الخاصة.

الاقتباس من الشعر

وما دام الشعر العربي يعتبر ديوان علوم العرب وأخبارهم وأيامهم وسيرتهم وسائر معانيهم وشاهد صوابهم وخطأهم يرجعون إليه في الكثير من المناسبات، فقد تم نسج التراكيب الوافية بمقصود الكلام على الصورة الصحيحة التي يقبلها العقل باعتبار ملكة اللسان العربي فإن لكل فن من فنون الكلام أساليب تختص به من إيجاز وإطناب وسجع واقتباس أو حذف وإثبات أو تصريح أو إشارة أو كناية أو استعارة .

واعتبارا لذلك وبعد فساد لغة الشعر بحسب ما خالطها ومازجها من العجمة بحيث صار لأهل الشرق وأمصاره لغة غير لغة أهل المغرب وأمصاره وتخالفهما أيضا لغة أهل الأندلس وأمصاره، ولما كان الأدب شفويا تحفظه الذاكرة قبل الأوراق والشعب الذي لا يملك الكتابة ليعتمد عليها في حفظ آثاره نجد نفسه مضطرا لاستخدام ذاكرته في تخزين آثاره الفكرية والثقافية.

وبهذه الطريقة دون الشعر العربي في الإسلام بعد شيوع الكتابة، ونستطيع من هنا القول أن المثل الشعبي وليد البيئة التي تغلب عليها الثقافة الشفوية ويمكن حصر هذه البيئة في البوادي والأرياف أين تعشش الأمية والسذاجة والبساطة، فإن البدوي يعار عن ضمير الجماعة ويستشهد في حديثه مع الناس بما حفظه من أمثال بيئة الشعبية حتى يستطيع الوصول إلى غايته في التأثير والإقناع . وقد يلجأ من أجل ذلك

إلى الاستشهاد من الأمثال الشعبية المقتبسة من الشعر العربي الفصيح
ومن أمثلة ذلك قولهم :

ما يدخل النار ظالم * حتى يدخلها مائة عالم

يتبادر إلى ذهن المتأمل لهذا المثل الشعبي من أول وهلة أنه شبيه بالبيت
الشعري العربي الذي يخضع لمعايير معينة يعتمدها صانع هذا النصف
من الفن الكلامي، فهو يشتمل على شطرين (أو فاصلتين) انتهى كل
شطر منه على نفس القافية والروي تماما كما هو الشأن في البيت
الشعري الفصيح، ومن هنا نرى أن استعمال هذا النوع من الأساليب في
الأمثال الشعبية كان نتيجة تأثر البيئة البدوية البسيطة التي حافظت على
عاميتها بما هو أصيل ومتجذر في الحياة الثقافية العربية العريقة...

نفس التركيب نجده في المثل التالي:

السلوقي إذا جاح يولي نباح * والسيخ إذا طاح يولي مداح

بحيث يحتوي على شطرين تماما كما هو الشأن بالنسبة للأبيات الشعرية
التي ينظمها فطاحل الشعراء على اختلاف المراحل والعصور، والملفت
للنظر في هذه الأمثال المقتبسة من الشعر العربي أن قافية الشطر الأول
تضارع قافية الشطر الثاني وتوافقها رويًا وتجانسًا في أغلي الأحيان
وكأنها أصبحت ظاهرة تركيبية في مثل هذه الأساليب الشعبية، هذا ما لا
يمكن العثور عليه في الكلام العربي المنظوم.

نفس النوع نستطيع أن نلمسه من خلال الأمثلة الموالية:

- من عندي ومن عندك تتطبع * وإذا كان غير من عندي تتقطع

- اللي حبك حبه ولو كان اباه وصيف * واللي كرهك اكرهه ولو كان اباه شريف

- بكر لحاجتك أقضيها وتصنت للقال * بنتك قبل الصوم اعطيها قبل القيل والقال

ومن أمثلة هذا النوع من التراكيب في الخطاب الشعبي العامي متواتر بكثرة، وهذا يقودنا إلى القول أن واضعي الأمثال الشعبية تأثروا كثيرا بفحول الشعراء ذلك أن الشاعر كان يمثل الثقافة في أرقى مستوياتها الفكري واللغوي فاستطاع بذلك اكتساب احترام وتقدير جماعته أو قبيلته لما كان يتمتع به من سعة الفكر وقدرة الإبداع وصياغة الكلام الموزون والمقفى الذي كان يلهب به مشاعر القبيلة، فتتخذة قدوة، ورمزا لسيادتها وعزتها، هذا ما جعل المثل الشعبي يسلك هذا السبيل ويتأثر بهذا اللون الكلامي في شكله ومضمونه .

الجملة الخبرية في الأساليب البلاغية

انطلاقاً من تعريف السكاكي لعلم المعاني بأنه " تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الإستحسان غيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره " (1) نقف على الصلة القائمة بين علمي النحو والمعاني والتي لا تحتاج إلى إقامة الدليل فهي صلة طبيعية والشركة بينهما هي خدمة المعنى وتأديته فإن كان النظام النحوي يقتضي تنظيم الأبواب النحوية ومعانيها داخل الجملة الواحدة، وقد يتعدى الجملة الواحدة إلى الجمل فيما بينها فيدرس الجملة الإستفهامية وهي جملتان : استفهام و جواب، أو الجملة الشرطية التي قد تكون أيضاً جملتين : شرطاً وجواباً، كما يدرس أيضاً عطف الجمل بعضها على بعض، والجمل الموصولة وغير ذلك مما يعدّ دراسة للجمل لا للمفردات.

فإن علم المعاني يكون الإهتمام فيه بالجمل وما يتصل بها، كالإنشاء والقصر وغيرهما، ويهتم أيضاً بالمفردات فيدرس أحوال الإسناد وأحوال متعلقات الفعل وما إلى ذلك (2)

1-مفتاح العلوم ص70

2-علم المعاني ص29

فالعلاقة بين علم النحو وعلم المعاني هي علاقة تكامل وقد ذهب البعض إلى أنهما علم واحد، يقول الأستاذ مازن المبارك : " إن علم المعاني أساس البلاغة وأقوم علوم اللغة، فينبغي أن نرعاه ونزيد العناية به ونوضح صلته بالنحو لأنهما علمان متكاملان " (1) ولا يقف عند هذا الحد بل يضيف قائلاً : " بل هما علم واحد يصون اللسان من اللحن والخطأ في التركيب . " (2)

فالعلمان متكاملان ولا يمكن اعتبارهما علما واحدا، والآ ليس هناك داع للفصل بينهما وادراجهما تحت قسم واحد .
نظر البلاغيون إلى الجملة العربية نظرة أسلوبية ويتضح ذلك من تقسيماتهم للأساليب العربية من استفهام، وتوكيد، ونفي...وقد قسموا أنواع الأساليب إلى قسمين كبيرين هما : الخبر والإنشاء، وقادهم إلى هذا التقسيم ربطهم بين الكلام ومقتضى الحال، ومقتضى الحال هو مدار علم المعاني يقول القزويني في تعريف علم المعاني : " هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال ". (3)
وضع البلاغيون قانونا عاما للتفريق بين ضربي الخبر والإنشاء هو

1-الموجز في شرح البلاغة ص13

2-اللغة العربية معناها ومبناها ص : 244 - 245

3-الجملة الفعلية البسيطة ص : 124

معيار الصدق والكذب، فالكلام الذي يحتمل مضمونه الصدق والكذب
أسموه خبرا، والكلام الذي لا يحتمل صدقا ولا كذبا أسموه إنشاء فالخير
دال على حصول أمر في الخارج، فإن كان مطابقا له فهو الصدق والآ
فهو الكذب، بخلاف الإنشاء فإنه لا يدل على حصول أمر، بل من
حقيقته، إذا كان طلبيا ألا يكون مطلوبا إلا مع كونه معدوما في حال طلبه
ليتحقق الطلب في حقه (1)

الجملة الخبرية والانشائية تتدرج تحت كل قسم منهما تفرعات . فالجملة
الخبرية تتفرع عنها الجملة المثبتة والجملة المؤكدة والجملة المنفية، أما
الجملة الانشائية فتتدرج تحتها الطلبية والشرطية والافصاحية وهذه تتفرع
منها أنواع أخرى من الجمل.

ونجد كلا القسمين مستعملين بصورة مكثفة في الأمثال الشعبية بأنواعها
المختلفة غير أن الجملة الإنشائية من أمر وطلب ونهي واستفهام ونداء
وتمن أكثر استعمالا من الخبرية.

1- الجملة الخبرية المثبتة :

وهي تقوم أساسا على عملية الاسناد خالية من كل أنواع التوكيد، سواء
كانت هذه المؤكدات أدوات أم أسماء، علما " أن الجملة المثبتة تحتفظ
بصيغة فعل يفعل، بفتح العين في الماضي والمضارع بزمنهما الذي

أعطاه أيهما النظام الصرفي، فيظل فعل ماضيا، ويظل يفعل حالا أو
استقبالا " (1)

ونجد الجملة المثبتة مستعملة بكثرة، سواء الماضوية منها أم المضارعية
ومما جاء منها قولهم : " سبق الحطب قبل ما يخطب " ساب الحرير
حتى داروه بردعة للحمير ."

اقتصرت الجملة على عنصري الاسناد ومتممات، فكانت بسيطة في
تركيبها، خبرية في أسلوبها، وقد استخدم هذه الالفاظ داخل التركيب
بطريقة فنية محكمة روعي فيها التلاؤم والانسجام الصوتي الذي نجده في
صياغة التركيب على الرغم من أنه لإيؤدي كبير معنى، لكن يبقى من
الخصائص البارزة في الأمثال.

وقد ورد المسند في التركيب فعلا ماضيا " سبق " مثبتا بين الصيغة
والدلالة الزمنية، ثلاثيا مجردا مبنيا للمعلوم، مفردا محتلا للرتبة الاولى
في السياق وهو بهذه الرتبة يعتبر المحور الرئيسي الذي تلتفت حوله بقية
العناصر، فقد ارتبط بالمسند الضمني، وامتد إلى المفعول به " الحطب "
عن طريق التعدية المباشرة، اذ هو من الافعال التي تتعدى بنفسها، أما
بقية المتممات فقد زادت التركيب توضيحا واثراء.

وورد المسند إليه مباشرة في الرتبة الثانية بعد المسند في صورة ضمير
مستتر، لم يفصل بينهما فاصل، وهذا ما يتفق مع نظام الجملة الماضوية

المثبتة التي لا يتقدم فيها المسند إليه على المسند، فعلاقة الفعل مع الفاعل علاقة عضوية معنوية فضلا عن العلاقة النحوية.

أما العنصر الثالث من عناصر التركيب في الجملة الماضوية المثبتة هو المفعول به " الحطب "، وقد ورد في الرتبة الثالثة بعد المسند والمسند إليه طبقا لأهميته في تأدية الوظيفة البلاغية، وهذا لا يأتي الا مع الفعل المتعدي، فالعلاقة النحوية تتعقد أساسا على التعديّة المباشرة.

ونجد المتمم يلزم جميع عمليات الاسناد التي تضمنها التركيب، وساد الجار والمجرور أغلب الجمل الماضوية البسيطة أو المركبة أو المتلازمة وحضوره الدائم ليس من باب الحشو " وإنما اقتضته ظروف القول وملابساته، في كل الحالات التي ورد فيها، اذ نجده في كل مرة يقدم للتركيب فائدة اضافية، أو يزيل غموضا أو ابهاما (1)

ومن أمثلة ذلك : (سَاب التريد للعبيد)

(سَال المجرّب لا تسال طبيب دمّ الثعلب في دماغ الذيب)

اعتمد التركيب في هذا المثل على فضلات أو متممات، وهي تعتبر من الوسائل المساعدة على امتداد الجملة لإتمام المعنى، كما تسمح بتحقيق التوافق بين الفواصل، وهي من الخصائص التركيبية الفنية التي لا يمكن اغفالها في الأمثال الشعبية.

وبالإضافة إلى ذلك فهي طريقه خاصة في اتخاذ الوصف أو الحال وسيلة

امتداد التركيب . وتظهر براعة التعبير الشعبي في اختيار الوحدات التركيبية التي تحقق التجانس الموسيقي، فقد جاءت لفظة (مجرّب) في البنية الأولى مطابقة للفظه (طبيب) في البنية الثانية، وكذلك الحال بالنسبة للكلمة (الثعلب) في البنية الثالثة التي جاءت هي الأخرى مطابقة لكلمة (ذيب) في البنية الرابعة، ويكون المثل قد اشم على أربعة فواصل انفقت كل فاصلة مع أختها في الصيغة والتقفية بحيث تحقق بينها التماثل والتجانس . ولو كان الإختار للمتيمات المساعدة بصيغة أخرى لما تحقق ذلك.

وقد اشم التركيب على ركني الاسناد، كبقية التراكيب السابقة، فورد المسند في البنية الأولى فعلا ماضيا (سال) مثبتا بين الصيغة والدلالة الزمانية، مبنيا للمعلوم، مفردا، محتلا الرتبة الأولى، في سياق التركيب، وقد ارتبط الفعل (سال) - المسند - بالمسند إليه وسائر عناصر العملية الاسنادية بواسطة العلاقات النحوية السياقية فجاءت مطابقة من حيث الشخص والعدد والنوع.

أما المسند إليه فقد ورد ضميرا في بنية الفعل وظهور المسند إليه في معظم التراكيب على شكل ضمير في صلب بنية المسند يجعل العلاقة بين المسند والمسند إليه معنوية عضوية، كما يدعم المسند الذي يعتبر النواة التي تلتف حولها بقية العناصر المكونة للتركيب، فالمسند هو العنصر المهيمن على العملية الاسنادية، حيث نجد للمسند (الفعل) دورا مهما في التركيب، وهي خاصية لها أهميتها القصوى تعكس القدرة اللغوية الفائقة والفنيات البلاغية.

أما المتيمات التي تلازم العمليات الاسنادية في جميع التراكيب فهي تعد من متعلقات المسند والمسند إليه، وقد وردت في التركيب الذي نحن

بصدد دراسته على ضروب جار ومجرور، وأحوال، ومفاعيل فجميع
المتتمات التي ضمها التركيب تتبثق من جوهر الاسناد، وليست لصالح
عنصر فقط.

وتوزعت المتتمات في سياق التركيب، وقد احتلت الرتب الاخيرة بعد
المسند والمسند إليه بصفة مطلقة، إلا في حالات نادرة.
وبناء على ما سبق ذكره يمكن القول ان المتمم في الجملة الخبرية يلزم
العمليات الاسنادية.

2- الجملة الخبرية المؤكدة :

فإذا انتاب المخاطب نوع من الشك وجب تأكيد الاثبات، وفي هذه الحال
يستلزم توكيد الامر بواسطة أدوات لازالة الشك واحلال اليقين ليقع ذلك
في نفس السامع أو القارئ موقعا ثابتا.

ومؤكدات الجملة الخبرية عديدة ومتنوعة نذكر منها : (إنّ) التي تؤكد
الجملة الإسنادية المؤلفة مما يسمى بالمبتدأ والخبر، وانما، وما، إلا اللتين
تستعملان للحصر أو القصر، لام الابتداء، وأما الشرطية، وقد السين،
ضمير الفصل الذي يأتي في صدر الجملة مؤكدا ما ورد فيها القسم،

نونا التوكيد، والحروف الزائدة، وأحرف التنبيه " (1).
لكن أدوات توكيد الخبر في الأمثال الشعبية لا تكاد تعرف هذا النوع من
التوكيد الذي هو كائن في اللغة العربية الفصحى، ولا أن تظهر بنفس
الصيغة كما هو الشأن في أساليب اللغة العربية الفصحى.
فان كان الكلام موجها لشخص قد تردد حكم الخبر ومضمونه كان من
الأحسن توكيده بوسيلة تبعد الشك عن نفسه، وتظهر له الأمر وترفع
الشبهة، والتوكيد في العامية يختلف كما سبق الذكر عما هو موجود في
الفصحى فيكون إما قسما أو قرينة ومن ذلك قولهم:
(المال مال الله وانت عساس عليه) بلفظة "مال" الثانية المضافة إلى الله
جعلت التكرار نوعا من التوكيد، فكان الخبر مؤكدا معنويا بقرينة حسيّة
وقد تميز التركيب بالامتداد السياقي الناجم عن تعدد الاسناد الذي
تكرر مرتين حيث ربطت البنية الثانية بالأولى بواسطة الواو التي هي
للعطف استعملت كلمة (مال) التي للتكرار ، وهي في مثل هذا المقام
للتوكيد وقد أكدت مضمون التركيب .
وما يمكن ملاحظته أن المسند ورد في البنية الأولى اسما محتلا صدارة
التركيب وجاء ضميرا في الرتبة الأولى بالنسبة للبنية الثانية، وأما
المطابقة بينه وبين المسند إليه فكانت تامة من حيث العدد والنوع .
وما دام أن المسند يتطلب مسندا إليه فقد جاء هذا الأخير مساويا له في
العدد، محتلا للرتبة الثانية مباشرة بعده، وظهر مرة كلمة مفردة مقرونة
بمضاف وظهر اسما متعلق بجار ومجرور.

فالمسند له دور كبير في تركيب عدد المسند إليه، وكذا تعيين رتبته في سياق التركيب .

ومما لا يدعو مجالا للشك أن المفعول به الذي يعتبر عنصرا أساسيا في الإسناد هو الآخر خاضع بدوره إلى نفوذ المسند ولذلك كان عدده مطابقا تماما لعدد المسند إليه في وظيفتهما الإبلاغية التامة وعدم وجوده يخل بالمعنى، ويجعل المخاطب في ريب من أمره خاصة اذا كان المسند متعديا بنفسه. ومن ذلك : (اربط حمارك مع الحمير يتعلم النهيق وخرجان الطريق)

ويكثر التنويع في أساليب التعبير الشعبي، وذلك بتنويع مؤكدات الخبر لتوضيح المعنى أكثر، وازالة الغموض والابهام عنها، يقول : (والله ويخصك من الصلاة ركعة غيل إلا اديتها على بلاط جهنم)

اشتمل التركيب على أسلوب القسم وجوابه ... والأمثال من هذا النوع هي أخبار تحمل توكيدا بالقسم، بحيث أن المتلقي في مثل هذه الحال يكون منكرا للحكم جاحدا له، لذا ينبغي تضمين الأمثال الشعبية بوسائل التقوية والتوكيد بما يدفع الشك والإنكار عن المتلقي ويدعوه إلى التصديق لذلك جاء المثال السابق مؤكدا بالقسم . وهذا الضرب يسمى إنكاريا وهو نادر في الأمثال الشعبية .

وغالبا ما يخرج أسلوب الخبر كما هو معروف إلى أغراض أخرى تفهم من سياق الأمثال الشعبية ومنها:

-الإسترحام : (اليتيم بيكي وربي يزيدل)

فالخبر جاء في هذا التركيب غرضاً استرحاماً واستعطافاً بحال اليتيم ومعاناته قصد اخبار الغير للعدول عن قرار قد يتخذ ضد اليتيم، وغالباً ما يكون هذا القرار قاسياً.

إظهار الضعف : (الناس بالناس والناس بالله) هذا المثل يقال عندما يستتجد أحد بآخر قصد السعي في قضاء حوائج له، ويتظاهر أمام صاحبه بالضعف والعجز.

الفخر : (بنت القاع والباع والخلخال المربع) ويضرب هذا النوع من الأمثال عند الإفتخار بالحسب والنسب ووفرة المال وكثرتة، والمقصود هو أن الفتاة قد جمعت من الشرف والعزة والمال والنشاط، ما يجعلها محل اهتمام كل العرسان.

إلى غير ذلك من الأغراض التي يمكن أن يخرج إليها الأسلوب الخبري من إرشاد ونصح، وتحسّر.

إن الأمثال الشعبية حافلة بالأساليب البلاغية المتنوعة، وهناك عوامل عديدة قد تؤثر في تنوع هذه الأساليب واستعملها يختلف ويتنوع بحسب الأفراد الذين تفننوا في وضعها انطلاقاً من تجارب اجتماعية تاريخية نفسية ثقافية سيكولوجية بغرض إيصال العبرة بأوضح السبل وأحسنها. كما أن هناك جوانب طريفة في الأمثال الشعبية التي نعتقد أنها لا زالت تتمتع بنجاحتها في مواجهة الدراسة والتحليل الأدبي، فعلى المتصفح أو المتأمل للتراث البلاغي للأمثال الشعبية أن يكتشف المظاهر اللغوية والأدبية المعاصرة بدل من الإقتصار على استخراج أنواع المجاز مما قد يولّد مللاً لدى المتتبع لهذا النوع من التراث الأدبي .

قد نجد في الأمثال الشعبية جوانب كثيرة انتقل التركيب الخبري المثبت إلى التوكيد...

يدرق الشمس بالغربال) ورد المسند في هذا النمط التركيبي فعلا مضارعا دالا على الاستقبال القريب، اسند إلى الفاعل المتصل ببنيته في صورة ضمير مستتر، وجاء يحتل صدارة الكلام، قبل المسند إليه والمفعول والمتمم، وهذه الصورة هي الأكثر استعمالا للجملة المضارعية المثبتة في اللغة العربية (1)

واحتل المسند إليه الرتبة الثانية مباشرة، وهو ضمير متصل ببنية المسند لم يفصل بينهما فاصل، فقد جاء الفاعل ضميرا مستترا في بنية الفعل (يدرق)، والضمير المستتر في العملية الاسنادية يعوض الضمير الدال على الاسم.

ونلاحظ أن المسند إليه جاء في صورة ضمير في بنية الفعل المضارع

1-الجملة الفعلية البسيطة - ص:270.

صادرا عن المتكلم، غير أن الاستعمال العامي بالنسبة للفعل المضارع في صيغة الجمع تحذف منه نون الدالة على الجمع وإن تصدر الكلام هذه الحالة غير مستعملة في الفصحى.

وتكون الجملة الخبرية اما بمسند فعلي أو اسمي، ومن النوع الثاني قولهم (الصبر يدبر ويدخل مولاه للقبر)

اشتمل التركيب على بنية أساسية تفرعت عنها بنيتان اتفقت فاصلة كل منهما مع أختها وزنا ورويا، وهذا الجانب الشكلي في التركيب الشعبي يحرص عليه الحرص الشديد. كما أن الإيجاز في الألفاظ يعطي التركيب قيمة بلاغية أكثر دقة.

3- الجملة الخبرية المنفية:

النفي هو نفي العلاقة التي يتضمنها الاسناد بين ركنيه الاساسيين : المسند والمسند إليه (1)

إذا قلت : ما فعلت، كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول وإذا قلت : ما أنا فعلت، كنت نفيت عنك فعلا يثبت أنه مفعول (2)
فالنفي ينصب أساسا على العنصر المتقدم، سواء كان مسندا أم مسندا إليه

1- اللغة العربية معناها ومبناها ص - 247

2- علم المعاني ص : 58

فاذا تقدم الفعل كان النفي نفياً لوقوعه، وإذا تقدم المسند إليه كان المراد النفي وقوع الفعل منه دون غيره . وقد يتنوع استعمال النفي فيختار المتكلم ما يناسب لازالة ما يساور ذهن المخاطب من شكوك، اما بالنقض او الانكار.

وقد اهتم قدامى النحاة بالأدوات التي تنفي حدوث الفعل أو الاسم نفياً صريحا، " واتجهت عنايتهم في الأغلب إلى معرفة أدوات الاعراب وعملها، دون ان يمتد إلى الأسلوب في ذاته بغض النظر عن تلك الادوات " (1)

بينما نجد النفي في مفهوم المحدثين هو أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وانكار يستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب " (2)

فالكلام أول ما يكون ايجابيا أو اثباتا، ثم يأتي المتكلم بالنفي، والنفي ليس أصلا في الكلام، وانما هو حالة عارضة تحددها مناسبات القول كما يمكن للمتكلم نقضه وانكاره، ان بدا له ذلك.

ويكون النفي بأدوات يختص بعضها بالجملة الاسمية وهي : ليس، ولان ويختص بعضها بالفعل المضارع وهي : لم، لما، لن، ويدخل بعضها

1-الجملة العربية البسيطة ص : 131

2-دلائل الاعجاز ص : 96

على الجملتين الفعلية والاسمية وهي : ما، ان، وتدخل الاداة (لا) على
الجمل والمفردات (1) وهذه الحروف يستعملها النحاة في مختلف أساليبهم
سواء النحوية منها أم البلاغية . كما استخدمت مجمل هذه الأدوات في
بناء الجملة بحيث نجدها في الجمل الفعلية التي اشتملت على فعل ماض
أو التي اشتملت على فعل مضارع، كما نجدها أيضا مع الجملة الاسمية
وهي في كل حالة تفيد النفي في الماضي البعيد أو القريب أو المستقبل
الحاضر أو مضمون الجملة الاسمية، وسنقف من خلال التراكم التي
وظفت في الأمثال الشعبية على هذه الحروف وعن كيفية بناء الجملة بعد
دخولها عليها ومن أمثلة ذلك قوله :

- 1- ما يعمل خير ما يتفق عليه
- 2- ما قامو مع حق ولا تعدو مع باطل
- 3- ما يفيد في البال ترقاع
- 4- تبوحش بسرك

تواترت هذه الأنماط التركيبية في الأمثال الشعبية بنسبة غير قليلة، فغالبا
ما يعتمد النفي باستخدام حرف (ما) الذي يدخل على الفعل المضارع
دون غيره لنفي الزمن الماضي مطلقا، فزمن المضارع بعدهما (يعني
بالحرف الآخر لما) هو زمن الماضي . (2)

1-أساليب النفي في القرآن الكريم - ص : 128

2- في النحو العربي - نقد وتوجيه ص : 246.

وقال بذلك أيضا ابن يعيش : " لم ولما، لقلب معنى المضارع إلى الماضي ونفيه " . (1)

غير أن في الاستعمال العامي لا يراعي هذه الظواهر اللغوية ويسمح بدخول أدوات النفي على الفعل الماضي وذلك بإضافة حرفي (تش) في آخر الفعل ومثل ذلك : (ما شطحتش آلا في عرسك) كما يمكن إدخال حروف النفي على الفعل الماضي دون إضافة أي حرف من ذلك :

(ما يحكلك غيل ظفرك ومايبكيلك غيل شفرك) اشتمل التركيب على بنيتين اشتركتا فاصلتهما تفضية ورويا مما كوّن انسجاما ونغما موسيقيا وتم اعتماد عنصرى الإسناد بنية مجورية في التركيب، ارتبطت بهما مجموعة من المتممات تعلقت بهما علاقة عضوية وهذا الربط من صنف الوصل، أي عطف جملة على جملة لها نفس الوظيفة.

فقد ورد المسند في البنية المحوارية في الرتبة الأولى مباشرة بعد أداة النفي، ومن أبرز سماته انه ورد بصيغة المضارع المبني للمعلوم مجردا اكتفى بمعموله والفعل يكتسب أهمية كبرى في سياق كل عملية اسنادية لأنه يعمل أينما كان موقعه من سياق الكلام، سواء تقدم أو تأخر، ظهر أو قدر " (2)

1-نظام الجملة ص : 423

2-الكتاب ج2 ص: 305

المسند إليه لم يأت مفردا، وإنما تعدد في التركيب بواسطة أدوات العطف التي تتعدد بها عناصر التركيب ببنية المسند في جميع الجمل الأخرى في صورة ضمير الغائب مستترا، ومجيئه على هذه الهيئة يقتضي له بالرتبة الثانية في ترتيب عناصر الكلام مباشرة، قبل الفضلات والتميمات وهذه هي طبيعة الجملة العربية سواء جاءت اسمية أو فعلية، فالنظام فيها يقتضي مراعاة العناصر المكونة لها فان كانت اسمية تقدم الاسم الخبر، وان كانت فعلية تقدم الفعل الفاعل والمفعول به، ولا تخرج عن هذا إلا في حالات...

وما يلاحظ على بعض التراكيب كثرة الفضلات والتميمات وذلك يعود إلى الأهمية الكبرى التي يوليها عامة الناس للجانب الشكلي للتركيب الشعبي، فالمحسن اللفظي عندهم اسبق من كل أنواع التراكيب الأخرى وما أوردناه سابقا كنموذج دليل إلى ما نقصد به كلامنا.

ومن التراكيب المنفية المضمنة لعناصر العملية الاسنادية وما يتعلق بها من متمات نورد المثال التالي:

"ما مات ولا خلى الكفن يتباع"

اشتملت الجملة المنفية على بنيتين فرعيتين فالبنية الأولى احتوت على مسند ومسند إليه ارتبط ارتباطا عضويا بالفعل، أما البنية الثانية فقد توفرت على مسند ومسند إليه ضمير مستتر ومفعول به ومتمم وهذا التركيب تصدر بأداة نفي (ما) وهي من الأدوات التي لها الصدارة. يقول الدكتور تمام حسان: (فأما الأدوات الداخلة على الجمل فترتبها على وجه العموم الصدارة .. ومثال أدوات الجمل النواسخ جميعا،

وأدوات النفي والتأكيد والاستفهام والنهي والتمني والترجي والعرض
والتخصيص والقسم والشرط والتعجب والنداء (1)
وإذا كانت (ما) تفيد نفي الماضي والحال - كما سبق وأن ذكرنا - إلا أننا
نجدها في هذا التركيب تختص بنفي الماضي لا غير، فدخلها على
الجملة الماضوية كان لنفي حدوث الفعل في الزمن الماضي . وقد ظهرت
في نفس التركيب أداة نفي أخرى وهي (لا) التي وردت في البنية الثانية
وهي تستعمل لنفي الماضي كما هو الشأن بالنسبة لهذا المثال، كما تنفي
المضارع والأمر.

ورد المسند في المرتبة الأولى بعد أداة النفي مباشرة تطبقا لقوانين النفي
التي تستلزم ترتيب عناصر الجملة الماضوية المنفية بحيث تحتل الأداة
الصدارة يليها المسند ثم المسند إليه، ولذلك كان النفي نفيًا للعلاقة بين
المسند والمسند إليه، فالنفي منصب أساسا على نفي الفعل الماضي مطلقا.
وقد ورد المسند في كلا البنيتين بصيغة الماضي المجرد المبني للمعلوم
أما العلاقة بينه وبين المسند إليه هي علاقة نحوية ولم تكن تعدية مباشرة
على المفعول به في البنية الأولى و مباشرة في البنية الثانية، وإنما الفعل
(خلى) من الأفعال التي تتعدى بدون واسطة، فهو ليس من صنف الأفعال
التي تكتفي بفاعلها، وإنما من الأفعال التي تحتاج إلى مفعول في التركيب

لتأدية الوظيفة البلاغية على أكمل وجه.

وإذا جئنا إلى المسند إليه وجدناه يحتل الرتبة الثانية مباشرة بعد المسند في كلا البنيتين، وقد ورد ضميراً متصلاً في بنية المسند، فالعلاقة بينهما علاقة عضوية، فضلاً عن العلاقة السياقية التي يقتضيها التركيب. تعد المتممات من العناصر المساعدة في التركيب ولو كانت غير أساسية فيه، فإن المتكلم يجد نفسه مضطراً إليها في كثير من الأحيان لإتمام الفائدة من كلامه، فكثيراً ما تستخدم المتممات بأنواعها المختلفة ويتم توزيعها في سياق التركيب، وقد لا يكفي بعملية إسنادية واحدة دون زيادة لفظية تفضي إلى زيادة معنوية. (1)

الجملة الإنشائية في الأساليب البلاغية الشعبية

وقد يطلق على الجمل الإنشائية (الأساليب الإنشائية) والإنشاء هو الذي لا يحتمل الصدق ولا الكذب لذاته دون النظر لقائله، فإنه لا يدل على حصول أمر، بل من حقيقته، إذا كان طلبياً ألا يكون مطلوباً إلا مع كونه معدوماً في حال طلبه ليتحقق الطلب في حقه (2)

1- شرح المفصل ج 8 ص: 109

2- الفعل زمانه وأبنيته ص : 15

فالمثال : (قسّم البحر يولي سواقي) ابتدئ بفعل أمر، والأمر إنشاء يطلب فيه الاستجابة ويصطلح عليه ما يسمى بالإنشاء الطلبي الذي يطلب فيه تحقيق شيء غير حاصل وقت الطلب، ويكون بالصيغ التالية:
النداء، والاستفهام، والأمر والنهي، والتمني، وغير هذه الأنواع الخمسة إنشاء غير طلبي، كصيغ المدح والذم، والقسم وغيرها . ويمكننا الوقوف على هذه الاستعمالات في الأمثال الشعبية .

1- الجملة الندائية:

النداء كما عرفه علماء اللغة هو طلب إقبال المدعو على الداعي بإحدى أدوات النداء (1) ، وهي : يا، وأيا، وأي، والهمزة، والأدوات الأربع الأولى تستعمل في مد الصوت للشيء البعيد أو للمعرض الذي لا يقبل إلا بالاجتهاد، أو النائم المستثقل (2)

أما الهمزة فهي لنداء صاحب القريب المقبل على المنادى، وقد يستعملون الأدوات الأربع يا، وأيا وهيا، وأي، في مكان الهمزة لتوكيد النداء ولكنهم لا يستعملون الهمزة في نداء البعيد أو المعرض أو النائم . (3)

1- اللغة العربية معناها ومبناها ص : 224 - 225

2- الجملة الفعلية البسيطة - ص : 144

3- الاستفهام بين النحو والبلاغة - ص : 6

"واعلم أن النداء كل اسم مضاف إليه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب " (1).
فاعمل النصب في المنادى - في نظر سيبويه - فعل محذوف تقديره أنادي أو أدعو، فالجملة أصلها أنادي زيدا، وبذلك يدرج بعض النحاة المنادى تحت المفعول به، كما فعل ابن هشام.

وما يلاحظ على عبارة سيبويه " المفرد رفع " يكاد يكتنفها نوع من الغموض في التفرقة بين البناء والإعراب، غير أن الذي أزال ذلك الغموض قوله فيما بعد، هو موضع اسم منصوب، وذلك هو الكلام الذي يقال عن المنادى مبني في محل رفع.

والنداء في نظر المحدثين - يبني على شيئين هما :

1- أداة النداء 2 - المنادى.

ومنهما ينشأ مركب لفظي ليس فيه معنى فعل مقدر كما ذهب إلى ذلك سيبويه، ونحاة البصرة (2) ، ولا إسناد فيه ولا يصح عده في صنف الجمل، ولو كانت غير اسنادية إلا إذا أرادوا بذلك توسيع مفهوم الجملة الندائية والخروج بها إلى معاني غريبة (3)

1- علم المعاني - ص : 125

2- نظام الجملة - ص : 504

3- المرجع نفسه ص : 504

ومهما يكن من اختلاف حول الجملة الندائية من عوامل وتقديرات فإن ذلك لا يغير من طبيعتها في شيء، وتبقى تلك الآراء مجرد اجتهادات فالنداء بقي على الصورة التي عرفه بها سيبويه، ومهما يكن من أمر فإن حرف النداء هو الذي يعمل في المنادى.

وتستعمل أدوات النداء في مواضع تقتضي رفع الصوت ومدته لتتبيه المخاطب، أو المنادى.

هذه وظيفتها في الاستعمال اللغوي، غير أن بعض النحاة يرون أنها تؤدي أهم من أي وظيفة أخرى عندما ربطوها بقضية العامل وقدرها لها فعل : أدعو أو أنادي، فمادام لكل " مجمول عامل يؤثر فيه، وما دامت الأداة ليست من العوامل فلا بد من تقدير ما يؤدي هذه الوظيفة " (1)

وقد وظفت الجملة الندائية في الأمثال العامية وغلب عليها استعمال أداة النداء (يا)، وهذا أمر طبيعي حيث انه حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكما، وقد ينادي بها القريب توكيدا، وقيل أنها مشتركة بين القريب والبعيد على السواء، وقيل بينهما وبين المتوسط، وهي أكثر أحرف النداء استعمالا، وعند الحذف قد لا يقدر سواها. (2)

1-الكتاب ج2 ص : 182

2-دروس في المذاهب النحوية ص : 34

نحو قوله تعالى : " يوسف اعرض عن هذا " ولا ينادي اسم الله - عز وجل - والاسم المستغاث، وأيها وأيتها الآبها ولا المندوب إلا بها أو بالواو .

وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي، من نداء القريب أو البعيد إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام، كالإغراء والتحسر والزجر والاستغاثة والتعجب والندبة والاختصاص.

وقد تمتد الجملة الندائية وتقتصر لكن ظاهرة التجانس الصوتي تبقى طاغية فلم تعد الوظيفة هي الأساس بقدر ما كان التصنع اللفظي هو الدافع ومما جاء في الأمثال الشعبية :

(يا غريب لك الله)

(يا لمزوق من برى آش حالك من داخل)

(آش يخصك يا العريان خاتم آ مولاي)

(مالي شتك يا عبد الوافي ما كليت عشاي وافي ولا شربت ماي صافي)

التركيب في المثال الأخير إنشائي، أما مضمون الخطاب الندائي فاستفهام خرج إلى التقرير فالتساؤل ليس ذا أهمية أكثر من تثبيت المعنى وتأكيد، فقد ورد المنادى بنية ثلاثية (عبد الوافي) و(عشاي وافي) و (ماي صافي) ونلاحظ تشابها واضحا على مستوى البنية الثانية والثالثة (عشاي وافي - وماي صافي) من حيث التجانس اللفظي والوظيفة المشتركة التي يؤديها كل منهما، أما التركيب المتكون من جزء محوري هو الأداة تولد عنها الكثير من التشابهات والتماثلات على مستوى البنى الفرعية إذ نلاحظ وقوع تشابه بين (الوافي، وافي، صافي) وكذلك بين (ماي و عشاي).

ومن الأساليب النداء أيضا : (يا حمار لا عينك تخدعني غير ما يشقاش تهز ودنيك) وقال " يا قوم إن من العناء العظيم استيلاء العقيم والاستشفاء بالسقيم وفوق كل ذي علم عليم " (1)

جاء المنادى في التركيب مضافا إلى ياء المتكلم المتروكة الإظهار، وهي لا تثبت مع النداء كما أن التتوين لا يثبت في المنادى المفرد، وياء الإضافة في الاسم بمنزلة التتوين لأنها بدل من التتوين " لأنه لا يكون كلاما حتى يكون في الاسم كما أن التتوين إذا لم يكن فيه لا يكون كلاما فحذف وترك آخر الاسم جرا ليفصل بين الإضافة وغيرها، واستغنوا بالكسرة على الياء " (2)

والمنادى إذا كان مضافا إلى ياء المتكلم كما هو الشأن في المثال السابق صحيح الآخر فان في ياء المضاف إليه وجوها، نذكر منها:
1- حذف الياء مع بقاء الكسرة دليلا عليها، فنقول : يا حمار

1-دروس في المذاهب النحوية ص : 34

2-التركيب وخصائصها في مقامات الحريري ص : 177

كما جاء في المثل العامي، فلم يخالف الأحكام، والحقيقة : يا حماري
فحذفت الياء لما قد ذكر.

2- بقاء الياء مع بنائها على السكون : يا حماري.

3- بقاء الياء مع بنائها على الفتح : يا حماري

4- بقاء الياء على الفتح ثم قلبها ألفا بعد فتح ما قبلها:

يا حمارا، ويجوز إلحاق هاء السكت بعدها عند الوقف : يا حماراه

وأشهر ما ورد في كلام العرب عن المنادى المضاف إلى ياء المتكلم ما
ذهب إليه صاحب الكتاب في الوجه الأول، حذف الياء مع إبقاء الكسرة
دليلا عليها، وهو أفصحها جميعا، وقد فسر حذف الياء لأنها شبيهة
بالتنوين، فكما أن التنوين يحذف في النداء فكذلك الياء (1) وقد لا تكتفي
الجملة الندائية بمكوناتها المباشرة من أداة ومنادى ومضمون النداء، بل
قد تمتد وتتبع بجمل أخرى . ومن ذلك قوله:

فقلت له : (يا ذا المسك ما نشمك وانا ميت من همك) جاءت الجملة
الندائية متبوعة بجملة منفية وبأخرى خبرية، وهذه طريقة معهودة، فقد
يأتي بجملة خبرية ويعقبها بأخرى طلبية، وقد ورد المنادى اسم إشارة،
وعادة ما يحمل النداء بهذا الاسم نوعا من الاستخفاف والاستهزاء غير
أن هذا التركيب لا يدل فيه إطلاقا على ذلك.

وقد يلجأ أحيانا إلى تأكيد الخطاب الندائي بمجموعة من المؤكدات...

وقوله : (يا ذا الجيل يا ذا الجيل الماجي أكثر منو)

استعملت في هذا التركيب الأداة (يا) الأكثر استعمالا، فالجملة الندائية اشتملت على نداء اسم الإشارة المبهم كما أشار إليه سيبويه " لذلك فأسماء الإشارة تنزل منزلة أي، وتلتقي معه في أنها توصف بالمعرف (ال) مرفوعا، تقول : يا رجل، صار المبهم وما بعده بمنزلة اسم واحد وقال الخليل : إذا قلت : يا هذا، وأنت تريد أن تقف عليه ثم تؤكد باسم يكون عطا عليه، فأنت بالخيار : إن شئت رفعت وان شئت نصبت، وذلك قولك: يا هذا زيد، وان شئت قلت : زيدا " (1)

عندما تستعمل الأساليب الإنشائية ليس القصد غايتها أكثر مما نجده يميل بها إلى المحسنات اللفظية لان الميزة في الأمثال الشعبية كانت تميل إلى الخفة والعدوبة والتصنع في الكثير من الأحيان فكان لا بد من مسايرة هذا النمط من التراكيب، ولذلك فلا تكاد تخلو بنية واحدة من هذا العمل، فقد تورد لفظة في البنية وتتبعها بنفس اللفظة في البنية الثانية مع اختلافهما في هيئة الحركات، فحدث بينهما تجانس وتناغم وتناسق. ويستخدم النداء في بعض الأحيان بدون أداة كقوله : " ابن آدم ما أغراك بما يغرّك، وأضراك بما يضرك، وأهجك بما يطغيك، وأبهجك بما يطريك " ؟

1-التراكيب وخصائصها في مقامات الحريري ص : 178

وهذه الطريقة معروفة عند القدماء وموجودة في القرآن الكريم : " يوسف
عرض عن هذا واستغفر لذنبك انك كنت من الخاطئين " (1)
وأرجع تفسير الحذف هنا " حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب
مفطن للحديث وفيه تقريب وتلطيف لحمله. "

ونفس الاستعمال نجده في العامية و بشكل يفوق بكثير ما هو مستخدم في
الفصحى إن لم نقول أن أداة النداء تكاد تتعدم تماما من الجملة الندائية في
جل الاستعمالات اللفظية أو التركيبية كأن تقول : أحمد أو عمر وأنت
تقصد يا أحمد ويا عمر .

وحذف أداة النداء جائز عند علماء اللغة، تقول : زيد، وأنت تريد : يا
زيد، وتقول : من لا يزال محسنا فاعل كذا، وأنت تريد : يا من، وإنما
لم يجوزوا حذف أداة النداء إذا كان المنادى اسم إشارة، فلا تقول : هذا
وأنت تريد : يا هذا (2)

وقد جوزه الحريري " وحذف (يا) يجوز في النداء كقولهم : " رب
استجب دعائي " (3)

1-سورة يوسف الآية 29

2-الكتاب ج 2 ص : 209

3-دروس في المذاهب النحوية ص : 43 - 44

إن قضية الحذف تكشف عن أمر تنغمي باعتبار النداء من الأساليب الإنشائية يعتمد عن طريقة متميزة عن بقية الأساليب الأخرى في كيفية خروج الكلام . " ألا ترى أنك تذكر بعد (يا) اسما واحدا، كما تذكره بعد الفعل المستقل بفاعله إذا كان متعديا إلى مفعول واحد كضربت زيدا ولقيت قاسما، وليس كذلك حرف الاستفهام وحرف النهي، وإنما تدخلها على الجملة المستقلة، تقول : ما قام زيد، وهل قام أخوك، فلما قويت (يا) في نفسها وأوغلت في شبه الفعل تولت بنفسها العمل " (1)

فالبنى التي تكون منها التركيب غالبا ما تتشابه في مستواها الظاهر، وهذا التشابه يبعث نوعا من الملل في النفوس الأمر الذي قد يدفع إلى تقسيم التركيب إلى ثنائيتين أو أكثر تنتج عنها علاقات تجانس وتآلف.

2- الجملة الاستفهامية:

درس علماء النحو الاستفهام بمعزل عن علم المعاني، فمنهم من عقد له بابا خاصا به سمّاه (باب الاستفهام كما فعل سيوييه في الكتاب، فتحدث عن أدواته وأحواله ومقاصده . وتكلم عنه الفراء والمبرد وغيرهما، ومنهم من وزّع مادة الاستفهام بحسب أدواته كما فعل ابن هشام في المغني . وبذلك جاءت دراستهم للموضوع دراسة نحوية خالصة .

أما البلاغيون فقد نظروا إلى الاستفهام نظرة أسلوبية، والغاية منه طلب العلم بشيء لم يكن معلوما، لا يشعر فيه المستفهم بغموض، وقد يستفهم عن نسبة حاصلة بين المسند والمسند إليه، أو عن قام بالحدث، أو غير ذلك والاستفهام قد يكون مبنيا على يقين أو على شك وظن.

وحقيقة الاستفهام طلب الفهم وهو بهذا المعنى سؤال عن أمر يجهله السائل، إلا أن يبين الاستفهام والسؤال بعض الفروق . (1) ففي لسان العرب : (سألته الشيء وسألته عن الشيء سؤالا ومسألة .. وسألته الشيء بمعنى استعطيته إياه، قال تعالى) : ولا يسألكم أموالكم (2)

1-الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ص : 12

2-سورة محمد الآية 36

وسألته عن الشيء : استخبرته وفي المعجم الوسيط : سأله عن كذا
وبكذا سؤالا وتسألا ومسألة : استخبره عنه . وعلى هذا يكون معنى
السؤال طلب المعرفة، فيكون بمعنى الاستفهام ويكون معناه طلب العطاء
وهو حينئذ السؤال والمسألة

وقيل الاستخبار وهو ما سبق أولا ولم يفهم حق الفهم، فان سألت ثانيا
كان استفهاما، وهذا ما ذهب إليه ابن فارس حين قال:

"وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق قالوا : وذلك أن
أولى الحالين الاستخبار، لأنك تستخبر فتجاب بشيء قريبا فهمته وربما
لم تفهمه، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم، تقول : أفهمني ما قلت
لي " (1)

وقد عرف ابن هشام الاستفهام فقال: (وحقيقته طلب الفهم) وابن الناظم
بقوله : (هو طلب ما في الخارج أن يحصل في الذهن من تصور أو
تصديق موجبي أو منفي) وقال السكاكي : (الاستفهام لطلب حصول في
الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكما بشيء على شيء
أو لا يكون، والأول هو التصديق .. والثاني هو التصور.) وابن الجوزية
يقول فيه : (هو أن يستفهم عن شيء لم يتقدم به علم حتى يحصل له به
علم .) ولا يخرج غيرهم عن هذا التعريف .

وتستخدم في تأدية الوظيفة اللغوية أدوات استفهام وهي على نوعين :

أسماء وحروف، فالحروف : (همزة الوصل) لاغير والأسماء على ضربين أيضا: ظروف وغير ظروف.

فالظروف الزمانية : متى وأيان والظروف المكانية : أين وأنى، وأما غير الظروف فهي : من، وما وأي، كم، كيف .(1)
وقد تستعمل صيغة الاستفهام في غير استعلام، فتخرج إلى أغراض بلاغية كالتقرير والإنكار وغيرهما فيكون الاستفهام معها أدل على المعنى المراد، إضافة إلى ما يطبع به النص من دلالات لفظية وجمالية. ويمكن تقسيم أدوات الاستفهام من حيث المعاني التي تؤديها في الاستفهام إلى ثلاثة أقسام:

1- ما يختص بطلب التصور والتصديق، كالهمزة

2- ما يختص بطلب التصديق : هل

3- ما يختص بطلب التصور فقط، وهو غير الهمزة وهل من أسماء الاستفهام أو الكنايات المذكورة آنفا (2)

ما يختص بالتصور والتصديق، الهمزة، وهي أشهر أدوات الاستفهام، "لأنها وضعت أصلا للدلالة عليه " (3)

يطلب بها التصور ومعناه أن السائل يطلب تعيين وتحديد المسند أو المسند

1- في النحو العربي، نقد وتوجيه - ص : 270

2- الجملة الفعلية البسيطة - ص : 193

3- الكتاب - 99/1

إليه، أو أحد متعلقات الفعل عندما يكون المستفهم شاكيا أو مترددا. (1)
أما التصديق فالمراد به إدراك نسبة تامة بين المسند والمسند إليه، أو عدم وقوعها (2). ما يختص بطلب التصديق، هل، وهي تستعمل لطلب التصديق فقط والتصديق معناه أن السائل يطلب أن تكون الإجابة عما يسأل إثباتا أو نفيا تقول: هل ضربت زيدا؟، فأنت لا تدعي أن الضرب واقع وإنما تسأل عنه، وحاجتك في السؤال أن يجيبك بالإثبات أو النفي، لذلك يجاب عليه بنعم إن يريد الإثبات، وبلا، إن أريد النفي (3).
ما يختص بطلب التصور، ويدخل في هذا القسم جميع أسماء الاستفهام (4). ويطلب بها التصور فقط، ولذلك يكون الجواب معها بتعيين المسؤول عنه والتصور يكون مخالفا للمطلوب وهذه الأسماء هي:
من: اسم استفهام يسأل بها عن العاقل، مبهمة تقع على كل شيء وكذا:
يكنى بها عن العدد وتمييزها واجب النصب، ويغلب استعمالها مكررة بالعطف وهي مبنية على السكون.

1-جواهر البلاغة - ص: 86

2-المرجع نفسه - ص: 86

3-يراجع: نظام الجملة - ص: 480

4-مغني اللبيب - ص: 21

كم : وتأتي على وجهين : استفهامية وخبرية، فالاستفهامية يستفهم بها عن عدد يراد معرفته لها الصدارة، ويتلوها تمييزاً مفرداً منصوباً دائماً وإن فصل بالجار والمجرور والظرف كان حكمها حسب موقعها في الجملة . والخبرية : يخبر بها عن كثرة العدد، تأتي مبهمة تحتاج تمييزاً يميزها يكون نكرة مجروراً بالإضافة إليها.

كيف : كناية عن الحال الشيء

أين : كناية عن المكان

أنى : تأتي بمعنى كيف وبمعنى أين

متى وأيان : كناية عن الزمان (1)

ولهذه الأسماء والكنايات استعمالات أخرى في اللغة العربية لمن أراد أن يقف عليها في الكتب اللغوية والنحوية.

قد يتم الاستفهام في العربية باستخدام الحرفين:

الهمزة وهل، أو باستخدام الكنايات المتضمنة معنى الاستفهام (2)

وللحرف الصدارة في جملة الاستفهام، فهو يقع في أولها ولا يتقدم عليه شيء له علاقة بالجملة التي بعد أداة الاستفهام، فلا يجوز مثلاً أن يقول :
زيد هل ضربت ؟ فان قلت : زيد هل رأيت ؟ جاز لان هل في صدر

1-يراجع نظام الجملة - ص:483 -

2-يراجع - في النحو العربي، نقد وتوجيه - ص : 266 - 274

جملة هي في محل رفع خبر للمبتدأ : زيد، وكذلك بقية أدوات الاستفهام. (1)

والاستفهام لا يكون إلا عند طلب الفهم، ومن هنا كانت الضرورة ملحة إلى جواب تعلق به السائل، فيأتي متأخرا لا يسبقه، فالارتباط بين الاستفهام والجواب قوي، ودعت الدراسات لبعض المحدثين إلى دراسة الاستفهام والجواب إلا بعد الاستفهام، وهما متلازمان تلازما يقتضيه حال الخطاب وبنية واحدة لا تنفصم عراها إلا نحويا . (2)

والجدير بالذكر أنه ليس لكل سؤال جواب، فقد لا يكون الجواب ضرورة حتمية بعد كل استفهام، هذا ما صدقناه في أثناء استقراء المادة المكونة للأمثال الشعبية فمعظم الجمل الاستفهامية التي رصدناها جاءت بدون جواب، هذا يعود - في اعتقادنا إلى أن الأمثال الشعبية استخدمت فيها أدوات الاستفهام في معان أخرى على سبيل المجاز بعدما خرجت عن معانيها الأصلية .

ومن الخصائص المميزة في الأمثال الشعبية أنه كثيرا ما تقترن الجملة الاستفهامية بالجواب، مثل : (أش يخصك يا العريان ؟ خاتم يا مولاي) فالتركيب اشتمل على سؤال وجواب

1-الكتاب - 1/ 99

2-يراجع - في النحو العربي، نقد وتوجيه - ص : 277 - 280

ونستطيع حصر تلك المعاني فيما يلي : النفي والتعجب والتمني والتقريب
والتعظيم والتحقير والاستبطاء والتسوية والتهمك والوعيد والتهويل
والتشويق والأمر والنهي ... (1)

وقد استعملت هذه المعاني في الأمثال الشعبية بكثرة، وتتنوعت أدواتها
لكن بصيغة غير الصيغة المستعملة في العربية الفصحى ومن هذه
الأدوات الاستفهامية : (اشحال) وهي بمعنى كم و (آش) وهي بمعنى
متى، وقد نجد في الكثير من الأمثال كلمة (اشكون) بمعنى من، ومنه:
(اشكون عدوك ؟ صاحب صنعتك) كما تأتي كلمة (باش) وهي تحمل
معنى الاستفهام (بأي شيء) نحو : (باش كان عايش بوشقشاق قبل ما
يجيه الجراد ؟) و (فين) بمعنى أين وقد تسهل العامية همزة القطع أو
تحذف ويتقدمها حرف الفاء أو الواو (وين) وتكسرهما لمناسبة الياء بعدها
مثل (فين ما شفتك شبهتك) وقد تتقدم أداة الاستفهام في العامية حرف
الجر مثل (منين جاي حتى تعرف) أي من أين أنت ؟ وقد تخرج كثيرا
عن معناها الأصلي إلى معان أخرى كما سبقت الإشارة إليه.

ومما جاء في ذلك ما يفيد التوبة: (شحال تعيش يا اللي تابعك الموت)

ما يفيد التحقير (اشكون أباك يا البغل ؟ قال له خالي العود)

ما يفيد النفي (ما عرفت ما نعمل)

ما يفيد التقرير (اشحال ما طال الليل يصبح الحال) وكذلك (آش من

جملة هي في محل رفع خبر للمبتدأ : زيد، وكذلك بقية أدوات الاستفهام. (1)

والاستفهام لا يكون إلا عند طلب الفهم، ومن هنا كانت الضرورة ملحة إلى جواب تعلق به السائل، فيأتي متأخرا لا يسبقه، فالارتباط بين الاستفهام والجواب قوي، ودعت الدراسات لبعض المحدثين إلى دراسة الاستفهام والجواب إلا بعد الاستفهام، وهما متلازمان تلازما يقتضيه حال الخطاب وبنية واحدة لا تنفصم عراها إلا نحويا . (2)

والجدير بالذكر أنه ليس لكل سؤال جواب، فقد لا يكون الجواب ضرورة حتمية بعد كل استفهام، هذا ما صدقناه في أثناء استقراء المادة المكونة للأمثال الشعبية فمعظم الجمل الاستفهامية التي رصدناها جاءت بدون جواب، هذا يعود - في اعتقادنا إلى أن الأمثال الشعبية استخدمت فيها أدوات الاستفهام في معان أخرى على سبيل المجاز بعدما خرجت عن معانيها الأصلية .

ومن الخصائص المميزة في الأمثال الشعبية أنه كثيرا ما تقترن الجملة الاستفهامية بالجواب، مثل : (أش يخصك يا العريان ؟ خاتم يا مولاي) فالتركيب اشتمل على سؤال وجواب

شجرة اللي ما هزهاش الريح)

ما يفيد التعجب : (أش يقول الميت بين يدين غسله)

ما يفيد التهكم : (أش يخصك يا العريان ؟ الخاتم يا مولاي)

ما يفيد الإنكار : (أش دخلك في هذا القلب) حين تتكر عملاقام به
انسان وليس من حقه القيام به.

ما يفيد التوبيخ : (أش عباك تخرب في كعالة السبع بالعود)

تصدرت هذه التراكيب الشعبية أدوات استفهامية، والقاعدة تقتضي ذلك
فالبنية التركيبية في الأمثال الشعبية تسمح للكلام بالامتداد ليتحقق من
خلاله الانسجام في السياق والتناغم اللفظي والإيقاع الموسيقي.

وكثيرا ما نجد الاستفهام يخرج عن معناه الأصلي إلى أغراض بلاغية
متعددة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ومنه (اشحال ما طال الليل يصبح
الحال)

خرج الاستفهام في هذا التركيب إلى التقرير والتأكيد حيث انه حمل
المخاطب على الإقرار بما يعرفه إثباتا وان المقرر به جاء بعد اشحال
الاستفهامية، اشحال ما طال الليل...المثال أراد أن يقرر لدى السامع أن
أرفع ما يتقرب به الإنسان إلى الله عز وجل هو إزالة الهموم عن
أصحابها، وهذه حقيقة ثابتة كان لا بدّ من تأكيدها وتقريرها.

وقد دخلت صيغة الاستفهام اشحال في النمط التركيبي على النفي وهو
أحد الأحكام التي خصت بها الهمزة، قال ابن هشام : " إنها تدخل على

الإثبات كما تقدم، وعلى النفي، نحو : ألم نشرح لك صدرك " (1) وأفادت معنى التصديق عن وقوع نسبة بين المسند والمسند إليه.

فقد ورد المسند في صيغة فعل ماضي مجرد مبني للمعلوم، وتصدر مباشرة التركيب بعد أدلة الاستفهام : اشحال، مع حرف النفي (ما) وقد جاء المسند في هذا النمط فعلا ماضيا متمثلا في كلمة (طال) فكانت العلاقة بين المسند والمسند إليه الليل علاقة عضوية معنوية بلاغية.

فالتركيب العام للجملة الاستفهامية احتوى على بنية فردية اشتملت على فاصلتين تشابهت رويًا فيما بينها (الليل ..الحال).

وكما استخدمت لفظة (اشحال) تستخدم أيضا لفظة(آش)، ومن أمثلة ذلك قولهم : (آش من شجرة اللي ما هزهاش الريح)

اشتمل التركيب على بنية استفهامية واحدة مصدرة (آش) " لطلب الحكم بالثبوت أو الانتفاء، وهما لا يتوجهان إلى الذوات وإنما إلى الصفات " . (2)

ومما يمكن ملاحظته أن البنية بسيطة في تركيبها لاشتمالها على عملية اسنادية، لكن التركيب امتد أكثر وخرج عن معناه الحقيقي إلى التقرير

1-مغني اللبيب - ص : 21

2-التركيب وخصائصه في مقامات الحريري - ص : 210

هذا الامتداد نوع في الأسلوب وحقق غرضاً معنوياً، وهذا من أهداف الأمثال الشعبية.

احتل المسند الرتبة الأولى في سياق التركيب " إذا ما استثنينا أداة الاستفهام التي لها محل الصدارة في كل سياق كلامي، ترد فيه " (1) واحتلال المسند لهذه الرتبة يدل على أنه محل الاستفهام، كما هو الحال في هذه البنية، والمحور الذي تتعدّد حوله جميع العناصر الأخرى فعلاقته بها إما عضوية كتلك التي تجمعها بالمسند إليه، أو نحوية إذا كان من الأفعال المتعدية مباشرة دون اللجوء إلى الحرف أو اقتضى بعضاً من المتممات التي تتعلق به كالظرف والجار والمجرور.

وبما أن المسند جاء مفرداً فمن الطبيعي أن يأتي المسند إليه كذلك، وهذا ما يدل على العلاقة العضوية التي تربط بين المسند والمسند إليه. لم تقتصر التراكيب في الأمثال الشعبية على العناصر الأساسية في عملية الإسناد، وإنما تتضاف إليها متممات تضيف على التركيب وضوحاً معنوياً وعلى الجملة تدقيقاً وتفصيلاً، يقول ريمون طحان : " فهي تكشف شيئاً من الإبهام الذي يكتنف بعض جوانب الجملة " (2) فكل ملفوظ صوتي احتوى عليه التركيب إضافة عن عنصري الإسناد

1- الجملة الفعلية البسيطة ص : 221

2- المرجع نفسه - ص : 71

الأساسيين فهو متمم أدى كل واحد وظيفة لغوية، ونحوية معينة.
والملاحظ أن الرتبة المتأخرة التي يحتلها المتمم تشغل حيزاً ممتداً في
السياق تساعد في اتساع حجم التركيب.

وما يمكن استخلاصه أن المتمم عبارة عن زيادة لفظية تفضي إلى زيادة
معنوية في التركيب، وقد يستغني عنها، ولكن وجودها يعطي العبارة
أكثر وضوحاً، زيادة على الدور الهام الذي تؤديه في بناء الخطاب
اللغوي.

وننتقل إلى دراسة الاستفهام بغير أداة، أي الاستفهام الذي يتم عن طريق
الكنايات المتضمنة لمعناه، وهذا بتقديم إحدى كناياته ووضعها في صدر
الجملة الاستفهامية . والاستفهام في هذه الحالة يرد لطلب التصور
لاغير (1) ، وما دامت للتصور فهي لتبيين المفرد فقط (2) العربي
ومن أمثلة ذلك قولهم : (كيف تريح بلاد بلا بلاد تسعد الأخرى)

اشتمل التركيب على جميع العناصر الأصولية في عملية الإسناد، وأهم
خاصية ميزت هذا النمط هي استخدام بنيتين في وقت واحد وجاءت كل
بنية بسيطة في مكوناتها المباشرة وقد اقتضى ذلك استخدام وظيفة نحوية
واحدة، فترتب عن ذلك تشابه بنيتيهما في القيمة الإبلاغية.

فصدرت الأولى بأداة الاستفهام (كيف) وقد وليها فعل مضارع " وهذه
تفيد إنكار حال الفعل الواقع الذي ما كان يصح حدوثه، وإنكار الحال أريد

1-مغني اللبيب - ص: 21

2-في النحو نقد وتوجيه - ص: 280

به إنكار الفعل على وجه المبالغة " (1)

ودلت (كيف) في هذا الاستعمال على إنكار الحال مع التعجب من الفعل وتوبيخ فاعله . ونجد الأمر يختلف في البنية الثانية (تسعد الأخرى) بحيث نجدها وحدة دالة بسيطة تتحاشى الوصف والنعته .

واهم الخصائص التي اكتسبها التركيب الاسنادي الاستفهامي الذي تم بالكناية بدل الحرف، قد اتصف بازدواجية الوظيفة، إضافة إلى معنى الاستفهام الذي عندما تصدرها فإنها تؤدي وظيفة نحوية أخرى في كل عملية اسنادية كأن يكون لها محل من الإعراب، وكذلك نجد التراكيب الاستفهامية بواسطة الكناية عبارة عن استفهام بلا جواب .

ويمكن تفسير هذه الحالات بأن يلقي السؤال ثم يسترسل في الكلام دون أن ينتظر الرد، خاصة وأن الاستفهام يخرج عن مقتضى ظاهرة إلى أغراض بلاغية متنوعة، وهذه من مميزات أسلوب الأمثال الشعبية وفنياته في بناء هذا النوع من الجمل .

وتستخدم أداة استفهام (أي) التي تختلف عن بقية الكنايات الأخرى، كونها معربة يخضع آخرها لتأثير الحركة الإعرابية في العربية الفصحى لا غير، ونستطيع أن نسوق المثال التالي : " وأيّ حادثة نجمت واستعجمت حتى هاجت لك الأسف على فقد ما سلف ؟ .

1-أساليب الاستفهام في القرآن - ص: 148.

نستطيع تقسيم التركيب إلى ثنائيتين من حيث التآلف والانسجام، فالثنائية الأولى انتهت بفعلين، اتفقا في المقطع الأخير (جمت، جمت) وأما الثانية انتهت البنية الأولى منها باسم والثانية بفعل اشتركا في الحرف الأخير (أسف - سلف) . وهذا التداخل في البنى التركيبية يكشف عن مقدرة لغوية ويبين " أن العمل الأدبي أكثر من أي نص لساني آخر لا يتكوّن من كلمات فقط، وإنما من جمل وتراكيب " (1)

قد تقع (أي) الاستفهامية في صدر التراكيب موضوعة على أنها مبتدأ أو منصوبة على أنها مفعول به، أو مفعول مطلق، إذا وليها مصدر ذكر فعله في التركيب (2) مثل قوله تعالى : "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " (3)

ومن معانيها أنها جاءت لتعظيم ما أضيفت إليه، وإنكار الفعل الواقع بعدها، لأنه ما كان ينبغي ليقع مع توبيخ المتحدث عنه والتعجب من فعله . (4)

ولزمت (أي) صيغة الإفراد والتركيب في التركيب، مهما يكن المضاف

-1- qu ' est ce que le structuralisme - p : 39

2-المرجع السابق - ص : 174

3-سورة الشعراء الآية 227

4-راجع : أساليب الاستفهام في القرآن - : ص161

إليه (1) " وما تدري نفس بأية أرض تموت " (2) فقد جوز الرضي إحقاق التاء بها أريد بها مؤنثا، استفهاما كان أو موصولا (3) تكثر العامية من تسهيل الهمزة سواء كان ذلك في الأسماء أو الأفعال أو الأدوات، وكل ما تقدم بشأن الهمزة في (أي) فهو متروك في العامية ويرى بعض علماء اللغة المختصين في مجال الدراسات الأسنوية وبخاصة المقارنة بين العاميات والفصحى أنه ينبغي أن تعدل العامية عن هذا الحذف حتى تتلافى الأخطاء في الأسماء والأفعال والحروف . (4) لقد وردت جميع عناصر العملية الاسنادية التي تضمنها النمط مفردة، تظهر مرة واحدة في كل عملية وفي جميع الأمثلة الاستفهامية التي ذكرنا، سواء تلك التي بدئت بالحرف أو الكناية، فإن الرتبة في جميع الأمثلة هي بدون منازع لأدوات الاستفهام التي أدت وظيفة المتمم في التراكيب أما المسند فقد جاء في الرتبة بعد المضاف (حادثة)

1-المرجع نفسه ص 161

2-سورة لقمان الآية 34

3-شرح الكافية ج 2 ص : 41

4-المرجع نفسه ص 41

4-التراكيب وخصائصها في مقامات الحريري ص : 187

وقد تطرقت إلى هذا النوع من الاستفهام بأداة (أيّ) المعربة لأنها أولاً
تتعدّم في الاستعمال العامي على الإطلاق، وثانياً لما للعربية من قدرة
لغوية ونحوية وبلاغية في تطويع أدواتها ومفرداتها.

ونشير في الأخير إلى ما لاحظناه عند دراستنا لعناصر الإسناد في الجملة
الاستفهامية، أنها وردت متألّفة منسجمة تربطها علاقات نحوية، حيث
كان المسند (الفعل) هو المحور الرئيسي الذي تتجذب إليه سائر العناصر
فتشكل علاقة نحوية ولغوية لهما فائدتهما البلاغية.

لم تكن دراستي مركزة على نوع خاص من الجمل المستخدمة في الأمثال
الشعبية وإنما كانت عبارة عن دراسة نماذج لمختلف الأنواع الجمالية
قصد الوقوف على الكيفية التي ركبت بها، والوظيفة التي تؤديها، والغاية
التي كانت تهدف إليها من خلال هذه الأمثال ، كي ترتسم في ذهن
القارئ صورة مكتملة على خصائص التركيب المستعمل في الأمثال
الشعبية.

3-جملة القسم -

القسم : أسلوب من الأساليب العربية المؤكدة للكلام وهو يقصد به توكيد الكلام بجعل لفظ الله حكماً، ومقياساً يقاس عليه صدق الحديث أو كذبه، وهو في نظر النحاة وعلماء الكلام أعلى درجات التوكيد، ويؤكد المتحدث مضمون كلامه بواسطة أدوات توكيدية، وغالباً ما يستخدم (ان) ولم التوكيد في أسلوب القسم أو استعمالهما معاً في التركيب نفسه (1)

ويشتمل أسلوب القسم على جملتين : جملة القسم، وجملة جواب القسم.

1- جملة القسم، وتكون إما اسمية أو فعلية:

أ - الاسمية : وهي التي تبتدئ باسم وتأتي على نوعين :

- المبدوءة باسم خاص بالقسم، نحو : أيمن الله - لعمر ك، فالاسم الذي يتصدر جملة القسم في هذه الحالة يعرب مبتدأً وأما خبره فمحذوف وجوبا، تقديره : (قسي)

- المبدوءة باسم غير مختص بالقسم نحو : عهد الله . في هذه الحالة أيضاً يعرب الاسم مبتدأً ويجوز إثبات الخبر أو حذفه.

ب - الجملة الفعلية : وهي التي تبتدئ بفعل نحو : أقسم بالله، أحلف

بالله (2)

1- التراكيب وخصائصها في مقامات الحريري ص 187 - 188

2- مختصر النحو ص 216 - 218

2- جملة جواب القسم : كذلك قد تكون اسمية وفعلية:

أ - اسمية : نحو قوله تعالى : " والقرآن الحكيم، انك لمن المرسلين " (1)

ب - وفعلية : نحو قوله تعالى " وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت " (2)

كما يمكنها أن تأتي شرطية، فإذا تقدم على القسم شرط امتناعي حذف جواب القسم لدلالة جواب الشرط عليه نحو : لو سألته لأجابك والله فجواب القسم هنا محذوف وجوبا ولا يجوز تقديره.

فجملة القسم إذن تتألف من جملتين صغيرتين أو لاهما جملة القسم وثانيتها جملة جواب القسم، نحو : أقسم بالله لأفعلنّ الخير، فجملة أقسم بالله هي جملة القسم وجملة : لأفعلنّ الخير، هي جملة جواب القسم، ومجموع الجملتين هو جملة القسم الكبرى.

ويتنوع القسم بين الطلبي والخبري، وقال بعضهم بالتعجبي (3) وقد تستعمل في القسم أدوات تسمى أدوات القسم وهي : الباء والواو والتاء.

قال الخليل : " إنما تجيء بهذه الحروف لأنك تضيف حلفك إلى المحلوف

1-سورة يس الآية (1)

2-سورة النحل الآية (38)

3-مختصر النحو ص : 217

به، كما تضيف مررت به بالباء إلا أن الفعل يجيء مضمرا في هذا
الباب" (1)

والواو أكثر حروف القسم مجيئا، والباء أقل من الواو والتاء لا تدخل إلا
في واحد، وهو الاسم (الله)، قال تعالى : " وتالله لأكدن أصنامكم " (2)
هذه الحروف ذكرها الحريري بشيء من التفصيل (3)

وإلى جانب هذه الحروف التي ذكرناها الداخلة على كل مقسم به فهناك
حروف أخرى تدخل على المقسم عليه، أي جواب القسم، وهي أربعة :
اللام، وإن، نحو : والله لإنسان فاضل . ونحو : قوله تعالى : " والعصر
إن الإنسان لفي خسر (4)

إما إذا كان جواب القسم منفيًا فإن الحروف التي تدخل عليه هي : ما،
ولا

نحو : والله ما أنا كاذب، ونحو : والله لأقصررت في القيام بواجبي (5)
ويستعمل القسم لإبعاد الشك وتوكيد الكلام، لأن فيه إشعارًا من جانب
المقسم بأن كلامه مؤكد ولا شك فيه.

لكن عندما نعود إلى التراث الشعبي محاولة منا الوقوف على مثل هذه
التراكيب لا نكاد نعثر على تلك الأساليب المتنوعة التي تزخر بها
العربية

1-الكتاب ج 2 ص : 144

2-سورة الأنبياء الآية 57

3-الملحة - ص : 12

4-سورة العصر الآية : 1

5-علم المعاني - ص : 61

في مجال القسم ، فهي نادرة جدًا وتكاد تكون منعدمة، كما أن الأدوات المستعملة في أسلوب القسم تتعدم هي الأخرى باستثناء حرف الواو. ويرجع ذلك في نظرنا إلى أن الأمثال الشعبية جاءت نتيجة قريحة شعبية متجذرة لا تقبل إقامة الحجة أو الدليل.
(والله ما يخصك من الصلاة ركعة)

اشتمل أسلوب القسم على جميع أركانه، أداة القسم وجملة القسم وجملة جواب القسم، وجاء القسم بلفظ الجلالة لدفع الشك، وليلفت الانتباه إلى ما سيأتي بعد القسم من أمر عظيم تتجذب عليه الإسماع، والجواب دالا على ذلك.

قسم التركيب إلى جزئين من حيث الدلالة والمعنى وكل جزء متكون من ثنائيتين من الجمل، وبنية محوارية ارتبطت بها بنيتان فرعيتان .
أما الثنائية الثانية فقد جاءت مخافة للاولى، وجاءت البنية الأولى منفية من بدايتها، مما يدل على أن ما سيأتي بعدها يكون مغايرا لها في المعنى. ولتحقيق التجانس الصوتي والسجع المتوازي فقد يلجأ أحيانا إلى الأسلوب البياني الذي يعتمد عادة على التشبيه قصد الوصول إلى تحقيق له ما يضفي على التركيب العذوبة والسهولة والتذوق.
من ذلك قولهم:

احلف باللي يحي ويقتل ما عندي اخبر.

اكتفى التركيب بصفة من صفات الله وهي الأحياء والأمانة، وقد استعمل واو القسم، وهي الأكثر مجيئا في أسلوب القسم، واسم الموصول وغرضه في ذلك التنويع في الأساليب، وهذه الأدوات من الوسائل التي

تساعد التعبير في الامتداد وتسمح للجمل في التوسع والإطالة ليتحقق الغرض البلاغي.

واتصلت بالموصول صلتان (يحي يقتل)، تطابقتا واختلقتا رويًا . وجاءت جملة جواب القسم مسبوقه بنفي تأخر فيها المسند إليه عن المسند لكونه ظرفا، وهذا التأخير اعتمد لتحقيق التناسق الصوتي والتجانس اللفظي بين بنية القسم وجوابه (يميت - مبيت) . ونجد التركيب نفسه يتكرر في قوله : (واللي حل وحرّم اربا ما قلت زور ولا اعملت اشرور)

لم يظهر لفظ الجلالة في التركيب، إنما نابت عنه إحدى صفاته وهي : التحليل، فالله وحده هو الذي يحل ويحرم، كما نجده يستخدم واو القسم أيضا التي لا تدخل إلا على مظهر ولا تتعلق إلا بمحذوف نحو: " والقرآن الحكيم "، وقد تلتها واو أخرى، لكنها عاطفة وليست للقسم وإلا احتاج كل من المقسم به إلى جواب . وقد استخدم اسم الموصول (اللي) بمعنى "الذي" وهو من الوسائل التي تساعد على امتداد الكلام من ذكر الأوصاف قبل الوصول إلى مضمون الخطاب.

الملاحظ في هذا التركيب استعمال أساليب التوكيد لدفع الشك وإزالة الإنكار من ذهن المخاطب الذي كان في ريب شديد ونكران قوي . فلم يجد سوى أسلوب القسم مخرجا لتقرير الحقيقة، لاغير في ذهن السامع فأكد جوابه بما لا يدع مجالاً للشك ولا يبقى على المتلقي توكيدا آخر ينتظره، وبهذا جاءت مرحلة التصديق المطلق والتكذيب القطعي.

أما جواب القسم فجاء جملة فعلية منفية (بما) ارتبطت بها جملة ثانية بغرض تحقيق الانسجام الصوتي على مستوى الفاصلتين (زور- شرور)

4- جملة الأمر والنهي

أولا : الأمر :

الأصل في الأمر أن يتجه إلى المخاطب على وجه الاستعلاء، والالتزام كأن ينظر الأمر على أنه أرفع منزلة ممن يخاطبه، " والخطاب بلفظة أفعل، فلا يخلو أن يكون لمن دونك أو لمن فوقك أو لنظيرك، فان كان لمن دونك سميته أمرا، وان كان لنظيرك سميته مسألة، وان كان لمن هو أعلى منك سميته طلبا " (1)

فان كان الأمر موجها إلى الله سبحانه سمي سؤالا ودعاء وطلبا، " واعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي وإنما قيل دعاء لأنه استعظم أن يقال أمر ونهي، وذلك قولك : اللهم زيذا فاغفر له ذنبه، وزيدا فاصلح شأنه وعمرا ليجزه الله خيرا " (2)

والدعاء هو الطلب على سبيل الاستغاثة والتضرع والعتو والرحمة باستخدام صيغة الأمر يخاطب بها الأدنى من هو أعلى منزلة وأعظم شأنًا.

فقد نكر الخليل أن لأسلوب الأمر طريقتين هما : فعل الأمر والفعل المضارع المسبوق بلام الأمر، تقول : أضرب زيذا، ولتضرب زيذا ويجوز أن يؤمر الغائب بإدخال لام الأمر على المضارع المسند إلى الغائب، تقول : زيذا ليضربه عمرو (3).

2- الكتاب ج 1 ص 277

1-المقتضب ج 2 ص 135

3-نظام الجملة ص 465

وبما أن الأمر يطلب به الفعل (1) لما لم يقع وما لم يقع لا يكون إلا في المستقبل، وفي ذلك يقول سيبويه : وأما بناء ما لم يقع فانه قولك أمرا : اذهب، واقتل، واضرب (2)

وقد ذهب أبو العباس المبرد إلى نفس ما ذهب إليه سيبويه حيث يقول :

"إنما الأمر من الفعل المستقبل، لأنك تأمره بما لم يقع " (3)

والأمر فعل طلبي لم يقع قبل زمن التكلم، أو التخاطب، وبهذا فان سيبويه قد جعل الأمر دالا على الطلب في المستقبل أصلا ولا يدل على الحال والماضي.

والأمر لا يكون إلا بفعل، وله أربعة صيغ تنوب كل منها مناب الأخرى في طلب أي فعل من الأفعال على وجه الاستعلاء، وهي : فعل الأمر المضارع المقرون بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر.

وقد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي للدلالة على معان أخرى، كالإعلاء والالتماس والتمني والنصح والإرشاد والتعجيز والتهديد والتسوية... (4)

1-ملحة الإعراب ص41

2-الكتاب ج 1 ص 21

3-المقتضب ج 1 ص 221

4-علم المعاني ص83

وبما أن الأمر يطلب به الفعل (1) لما لم يقع وما لم يقع لا يكون إلا في المستقبل، وفي ذلك يقول سيبويه : وأما بناء ما لم يقع فانه قولك أمرا : اذهب، واقتل، واضرب (2)

وقد ذهب أبو العباس المبرد إلى نفس ما ذهب إليه سيبويه حيث يقول :
"إنما الأمر من الفعل المستقبل، لأنك تأمره بما لم يقع " (3)

والأمر فعل طلبي لم يقع قبل زمن التكلم، أو التخاطب، وبهذا فان سيبويه قد جعل الأمر دالا على الطلب في المستقبل أصلا ولا يدل على الحال والماضي.

والأمر لا يكون إلا بفعل، وله أربعة صيغ تنوب كل منها مناب الأخرى في طلب أي فعل من الأفعال على وجه الاستعلاء، وهي : فعل الأمر المضارع المقرون بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر.

وقد يخرج الأمر عن معناه الحقيقي للدلالة على معان أخرى، كالدعاء والالتماس والتمني والنصح والإرشاد والتعجيز والتهديد والتسوية... (4)

1-ملحة الإعراب ص41

2-الكتاب ج 1 ص 21

3-المقتضب ج 1 ص 221

4-علم المعاني ص83

وقد تواترت التراكيب الامرية في الأمثال الشعبية وتتنوعت أسلوبا وساعدت في امتداد الجمل لتحقيق الجناس والتآلف والانسجام بين البنى التركيبية .

(1- اخدم يا صغري لكبري واخدم يا كبري لقبري)

(2- خذها من يد الشبعان إذا جاع وما تخذهاش من يد الجعان إذا اشبع)

(3- كذب اللوز وصدق المشماش وكذب الشيب وصدق التكماش) جاءت

الأمثال الشعبية في هذه الأمثلة مكثفة وغنية بالأفعال الدالة على الأمر ويعود ذلك في اعتقادنا إلى عوامل وأسباب نستطيع تلخيصها فما يلي :
إن الأمثال الشعبية وضعت لحكمة تعليمية كإسداء النصح والإرشاد والتوجيه والغرض طلب الالتماس وحث السامع على الأخذ بالمغزى والعمل بها.

كما أنه يهدف إلى نبذ العادات والسلوكات والأفعال المشينة التي تتنافى وعادات وأخلاقيات المجتمع . ونلاحظ أن الأمثال الشعبية يغلب عليها الأسلوب الخطابى المباشر ويرجع ذلك للأسباب المذكورة سابقا.

وإذا تأملنا تراكيب هذه الأمثال وجدنا أن فعل الأمر قد استعمل استعمالا مفرطا في كل منها، ففي المثال الأول قد استخدم مرتين بحيث اشتمل التركيب على بنيتين تصدر كل بنية فعل أمر (اخدم) وما بعده متعلق به وانفقت فواصل هاتين البنيتين رويًا وقافية مما خلق انسجامًا وتناغمًا موسيقيا داخل التركيب الأمر الذي جعل السامع يتذوقه ويرتاح إليه.

وفعل الأمر (اخدم) أريد به جلب الانتباه لما سيأتي من أمر عظيم يستحق توجيه الاستماع إليه، وقد دل على طلب أمر سيقع مستقبلا.

كما نجد عطف أكثر من فعل أمر في تركيب واحد ومثل هذا ما ذكرناه في المثال الثالث وكذلك:

(ادخلوا يا اهل العمود وخرجوا يا اهل القرمود)

(انكر الكلب ووجد الهراوة)

(اضرب وخلي ما ير الصلح)

(ابني وعلي وروح وخلي)

فالتركيب جاء بسيطاً اشتمل على بنيتين عطفت إحداهما على الأخرى بواسطة (الواو) التي هي (للعطف)، فالأمر وجه للمخاطب حتى يضرب وقد خرج الأمر في هذه الجملة إلى الالتماس لأن الفعل صادر عن النظراء المتساوين قدراً ومكانة.

(اعلم، عفاك الله باللي الصح ينبت والكذب ما يزيد في الرحلة)

استعمل فعل الأمر (اعلم) وما بعده جملة اعتراضية (دعائية) لامحل لها من الإعراب، وقد تأتي لتأكيد وتوكيد الكلام وتحسينه، والجملة الاعتراضية تكون ذات علاقة معنوية بالكلام الذي اعترضت جزأيه وليست معمولة لشيء منه (1). فجملة (عفاك الله) اعترضت بين الفعل (اعلم) وما بعده متعلق به تركيباً يفتقد لصيغ صرفية أو قواعد نحوية.

وجاء مكوّن من بنية محواريّة : اعلم عفاك الله، تفرعت عنها بنيتان
فرعيتان : الأولى (الصّح ينبت) والثانية معطوفة عليها (والكذب ما يزيد
في الرّجلة).

وقد خرج الأمر إلى النصح والإرشاد، فهو يحمل بين طياته معنى
النصيحة والموعظة:

وقد يستخدم اسم فعل الأمر في طلب أي فعل من الأفعال على وجه
الاستعلاء، ومنه قوله:

(بالك يغرك إبليس)

بديء التركيب باسم فعل أمر (بالك) مبني على السكون لا محل له من
الإعراب، أما الفاعل فضمير مستتر وجوبا تقديره (بالك - أنت)، وهو لا
يحمل وزن (فعال) صيغة اسم فعل في العربية، حيث يصاغ على هذه
الهيئة من كل فعل متصرف تام، وسمي باسم الفعل لأنه يدل على معناه
وزمنه وعمله، وهو لا يسمى اسما فقط لأنه لا يدل على معنى في نفسه
غير مقترن بزمن كما لا يسمى فعلا فقط لأنه لا يقبل علامات الفعل وهو
لا يتأثر بالعوامل (2)

جاء التركيب بسيطا لا يشمل أي لون من المحسنات البديعية، وقد خرج
الأمر إلى التهديد حين استعمل الأمر صيغة الأمر في مقام عدم الرضا
منه، تخويفا وتحذيرا للمخاطب، للقيام بفعل أمر به (3) والأمر موجه
لمن لا يصدق القول.

1-التطبيق النحوي ص 56

2-علم المعاني ص 87

واسم فعل أمر إنما يستعمل لجلب به انتباه السامع لأمر قد يكون مقيدا عليه أن يعيه، و يخرج الأمر عن معناه الأصلي إلى النصح والإرشاد وقد تتعدد التراكيب الامرية في الأمثال الشعبية بعطف بنية على أخرى تشتمل كل منها على فعل أمر، مما يساعد التركيب في الامتداد والتنويع ومن ذلك: (كذب اللوز وصدق المشماش وكذب الشيب وصدق التكماش) امتد أسلوب الأمر وطال، عبر فيه بفعل مسبق، اتبع بتكملة حقق من خلالها التجانس المقطعي بين جميع الأفاظ التي أعقبت الأفعال الأمرية.

ثانيا : النهي:

يعتبر النهي من أنواع الأساليب الإنشائية الطلبية، وهو بمعنى الكف والامتناع عن اتيان الفعل على وجه الاستعلاء والالتزام (1) ولا يكون أسلوب النهي إلا بإدخال (لا) الناهية الجازمة وهي مصوغة لطلب الترك، ويختص بدخولها على الفعل المضارع دون سواء وتقتضي جزمه واستقباله، سواء كانت المطلوب منه مخاطبا نحو قوله تعالى : " لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء " (2) أو متكلما نحو : " ولا أرينك ها هنا " (3)

1- علم المعاني ص 90

2- سورة آل عمران الآية 28

3- مغني اللبيب ص 324

والنهي محذو به حدو الأمر في الاستعمال بنفس الشرط المذكور، وقد يخرج هو الآخر عن معناه الحقيقي للدلالة على معان أخرى تستفاد من سياق الكلام، فإن استعمل على سبيل التضرع والعون والعفو والرحمة سمي (دعاء)، كقوله تعالى: " ربنا لا تحمل علينا أصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به " (1) وان صدر عن شخص تساوى مع غيره قدرا ومنزلة، سمي التماسا نحو قوله تعالى: " يا ابن أمي لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي " (2)

وإذا كان موجها إلى ما لا يعقل خرج إلى التمني، وقد يأتي وهو يحمل بين ثناياه معاني النصح والإرشاد أو معاني التحقير والتئيس والتهديد (3)

وقد تنوعت أساليب النهي في الأمثال الشعبية خاصة منها ذات المواضع الوعظية.

(لا تضرب حتى تقرب ولا تصحب حتى تجرب)

اشتمل التركيب على بنيتين فرعيتين بدئت الأولى بأداة نهي يطلب بها الكف عن الفعل، ويكثر دخولها على الفعل المضارع المخاطب، وتكاد تتعدم في المتكلم والغائب، كما لا نجدها على الإطلاق قد تصدرت فعلا ماضيا، وهذا ما ينطبق تماما مع قواعد اللغة العربية الفصحى بحيث أن النهي يقتضي إسداء النصح للمخاطب وليس للمتكلم أو الغائب كما أن القواعد النحوية تقتضي جزم الفعل المضارع، والجزم من الخصائص

1-سورة البقرة الآية 286

2-سورة طه الآية 94

1-علم المعاني ص 91- 95

المميزة في التعبير الشعبي، وعطفت على البنية الأولى بنية ثانية بواسطة واو الربط متنوعة مباشرة بأداة نهى وفعل مضارع (تصحب) وبهذا يمكن القول أن التركيب احتوى على بنيتين كلاهما تكونت من نهى وكونتا معنى مشتركا.

وما يمكن استخلاصه أن النهى محدود به في الاستعمال حدو الأمر، غير أن الصيغة كافية في البنية الأولى لتحقيق النهى، وإن وجدت الصيغة الثانية الدالة على نفس التركيب والقصد، فالنهي هنا يكون القطب الذي تتجذب إليه بقية العناصر التركيبية، وقد ربط البنيتين لكي يحدث تقاربا وتجانسا، فلا يكاد يحس المستمع بأدنى ثقل فالروي الموجود في كل فاصلة أبعد الإحساس بالنفور.

(لا تستعجب لاتعيب لايبليك الله)

اشتمل التركيب على ثلاث بنى فرعية تصدرت كل بنية منها (لا) الناهية تلتها مباشرة عملية إسناد تكونت الأولى والثانية من فعل وفاعل والثالثة من فعل وفاعل وفضلة وقد خرجت جميع هذه البنى إلى النصح والإرشاد.

وغير بعيد عن هذا هناك بنية تختلف من حيث الترتيب البنيوي يقول:
(لا تسرّج حتى تلجم وتعقد عقدة صحيحة ولا تتكلم حتى تخمم ولا تعودك فضيحة)

اشتمل التركيب على عدة بنى تركيبية أساسية تضمنت النهى مع إظهار النتائج المترتبة عنه وكان أسلوب النهى في الأمثال الشعبية اعتمد طريقة الشرط والجزاء في اللغة العربية الفصحى، لارتبط الشرط بالجزاء ارتباطا وثيقا يحول دون استقلال أحدهما عن الآخر، فينزل الشق الأول

منزلة السبب والشق الثاني منزلة المسبب، فيتحقق المسبب إذا تحقق السبب.

فالنهي في هذه الحال مرتبط ارتباطاً قوياً بالشق الثاني لأنه ملزوم والنتيجة لازمة و سواء كان النهي سبباً في وجود ما يترتب عليه أم كان غير سبب، وقد خرج النهي إلى النصح والإرشاد.

أما الروابط فتعتبر من الوسائل المساعدة لخدمة الأغراض البديعية، وهذا ما يحدث بين البنيتين، حيث الأجراس الموسيقية متوفرة بين الفاصلتين (تخم - تتكلم) وبين (صحيحة - وفضيحة)

ومن الأمثال الشعبية التي تتوافق من حيث الفواصل والتنغيم الموسيقي نورد هذه النماذج:

-لا تحضر لطرش لا ترقق لحرش

-لا تأمن لا تستأمن في بلاد الأمان

-لا تتخلى بالموجود ولا تتكلف للمقصود

مجموعة من البنى التركيبية اسنادية، فالبنية الأولى (لاتحضر) فيها نهى اكتفت بعناصرها وارتبطت مباشرة ببنية مماثلة مصدرية هي الأخرى بنهي، إضافة إلى عناصرها المباشرة فالنهي الذي دخل الفعل المضارع (تحضر) يطلب به الكف عن اتيان الفعل من قبل المخاطب، وجاء غير ملزم بالحركة الإعرابية التي يتطلبها المقام في مثل هذه الحال، ولو أن النهي يتستوجب الجزم إن دخل على الفعل المضارع، لكن الجزم هنا هو ميزة من مميزات التعبير الشعبي لا تضبطه قواعد ثابتة.

أما الجملة الثانية من هذه البنى فقد اشتملت على أداة النهي التي تصدرت الفعل المضارع (تأمن) ارتبطت بها بنية ثانية اشتملت على ركني الإسناد ومنتتم تمثل في شبة الجملة مؤكدة بصفة الأمان.

فمن خلال تأملنا لهذه البنى المختلفة في الأمثال الشعبية لاحظنا أن هناك تماثل شبه تام بين الفواصل ذلك أنّ العناية في وضع هذه الأمثال كثيرا ما تتّجه إلى الشكل دون المعنى وأحيانا أخرى إلى المعنى دون الشكل والفكرة دون الصنعة، فتبسّط المعنى لأهمية النصيحة والإرشاد.

الخاتمة

كلنا يعلم المقصود باختلاف اللهجات العربية القديمة فهي تختلف إما من ناحية الأصوات أو الصرف أو النحو، فقد كان العرب يحرفون في بنيات الكلم مع إبدال الحروف والحركات وقد سميت لهجتهم بالعننة والكشكشة والعججة... تلك كلها طرق في الأداء اللغوي نستطيع أن نتعرف عنها في كتب الأقدمين ولم تكن تجري أية واحدة من هذه اللهجات على غير أسس وأصول يراعها المتكلم في صوغ قياسها ومستوى صوابها دون التفكير في تفصيلها أو تركيبها أو في القوانين والسياقات التي تحكمها. كما تدرك الفروق الدقيقة بين اللهجات المعاصرة في العالم العربي في جميع مستوياتها اللغوية، ويمكن أن نفرق بين لهجة وأخرى كلهجة تميم وهذيل ومضر وبين لهجة مصر ولبنان والجزائر فنقول مثلاً لهجة الجزائريين ونحن نقصد بذلك الطريقة التي يتكلم بها هذا الشعب من حيث حركات الجهاز النطقي والعلاقات بين الأصوات من حيث المميزات الصرفية والنحوية في التعبير، ويمتد ذلك إلى المفردات التي ترد في هذا التعبير، وينظر إلى هذا كله باعتباره نظام لغوي عام قد تعارف عليه المجتمع.

فأثناء دراستنا اللهجات العربية سواء كانت قديمة أو حديثة عمدنا إلى دراسة التغير الذي يحدث في تنفيذ النظام اللغوي لكي نصل عن طريق هذا التغيير إلى نظام آخر عرفته اللهجات في مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية. فاللغة باعتبارها مجموعة من الأسس وأصول الصياغة فهي لا تنطق كلهجة ولا يعبر بها المتكلم العادي وإنما الباحث. وإذا اعتبرنا أن اللهجة كلاماً لا تضبطه قواعد وأن الهدف من الكلام هو التعبير عن المعنى المقصود والكامل من جهة، ينبغي أن تكون وجهة اللهجة هي الجملة المفيدة، وقد تكون وظيفة هذه الجملة هي نقل معلومات أو

رغبات أو إحداث موقف اجتماعي ما، أو مجرد استجابة لمثير خارجي أو نفسي، وإن تحققت هذه الأمور كانت الجملة مفيدة إفادة تامة في اللهجة يحسن السكوت عنها. باختلاف اللغة التي تتكون من نظام لغوي متعدد الأجهزة بالحرف من الجهاز الأبجدي والصيغة من الصرفي والباب من الجهاز النحوي.

يرى علم اللسان الحديث أن نشأة اللهجة تأتي نتيجة تحوير في اللغة الأم مما يؤدي إلى قيام نمط جديد في الخطاب اللغوي الخاص يستعمل في ظروف الحياة اليومية... يبقى دون مستوى مرتبة اللغة القومية.

ولا يعدو الاختلاف بين اللغة كنظام عام واللهجة كنظام خاص أن يكون اختلافاً أسلوبياً.

إن انتشار العامية في الأقطار العربية بشكل كبير أدى إلى ظهور دوريات ومؤلفات حاول أصحابها من خلالها تصحيح نطق العوام لألفاظ العربية في مختلف البلدان العربية وردّه إلى نصابه من الصحة إن كان عربي الأصل أو بيان مرادفه إن لم يكن ذلك ليحل محله ويرجع إليه في الاستعمال.

تتشكل العامية اليوم من مفردات فصيحة، ومحرفة، وأعجمية، وأصول أخرى لا تعرف طبيعتها المعجمية، وجميع اللهجات العامية التي تعرفها البلدان العربية تسترك في افتقارها إلى قواعد ثابتة في مستوياتها سواء الصرفية منها أو النحوية أو التركيبية والدلالية.

يعتبر المثل الشعبي أصدق صورة لهجية وأرقاها مرتبة إن كانت للهجة مكانة راقية وقد تشترك فيه جميع الطبقات الاجتماعية على اختلاف أجناسها، وهو الكيان والمخزون الفكري للشعب، والسبيل الأمثل في الإفادة بالغرض وبلوغ القصد ومناسبة المقام.

ولا يختلف المثل الشعبي في معالجة جميع القضايا من سلوكيات إنسانية عن المثل العربي الفصيح في كل أغراضه وأنواعه.

فمن خلال تأثيل المفرداتي، فإن المفردات العامية الواردة في الأمثال الشعبية، من حيث الفصاحة اللفظية، وما اعترأها من اللحن والخطأ في النطق، وما أحدث من تحريفات مختلفة في قواعد العربية وصيغها وهيآت كلماتها، واستنادا إلي المعاجم العربية القديمة، خلصنا إلي أن هذه المفردات التي احتوتها الأمثال الشعبية لا تبتعد كثيرا عن فصاحتها العربية.

ولو وقفنا على تلك التحريفات الطفيفة في ألفاظ العامية وصيغها والتي عرفتها العامة من الناس معرفة بيّنة وعرفت معها كذلك مقاييس اللغة العربية المطردة وتبينت وجوه التصويب والتصحيح بالدقة لأصبحت ألفاظا عربية فصيحة ونطقها عربيا سليما.

أما التأثيل الجملي لهذه الأمثال فهو الآخر لا يكاد يخرج عن طبيعة الأمثال العربية الفصيحة سواء على مستوى البنية أو المعنى، قد يحدث تباين بين الشكل والمضمون في بعض الأحيان أمّا في أحيان أخرى فقد يستوي المثل الشعبي والعربي في جميع المستويات.

من خلال دراسة المستوى النحوي والصرفي لمدونة الأمثال الشعبية استطعنا أن نخلص إلي النتائج التالية:

إن ألفاظ العامية لا تكاد تخلو من المعاني الصرفية وإن اختلفت مع الفصحى في النطق فبالرغم من إسكان لفاء الوزن ولامه في الأفعال والأسماء أو بتغيير حركات الحرف من بين الفتح والكسر والضم والكسر، وكذا حذف الهمز الموجود في المفردات الفصيحة، ومع كل هذه الاختلافات والانحرافات فإن الأوزان المصاغة

في العامية ليست غريبة أو بعيدة عن الأوزان الموجودة في اللغة العربية الفصيحة فاستعمال المميزات التي تنوع مفردات العامية المعروفة والنكرة والمؤنثة والمذكرة أصبحت تعرف بلهجة الأمثال الشعبية تجاري العربية الفصحى في بعض الخصائص وأكثرها.

ومع هذا كله فإن المفردات العامية هي سامية الأصل في لفظها ومعناها وهي بذلك تفتح آفاقا واسعة في تعميق الدراسات للغة العربية في جميع مستوياتها النحوية والصرفية والصوتية والدلالية والمعجمية من خلال اللهجات العامية وإعطاء اللغة العربية البعد الثقافي من خلال الاهتمام بتحسين وترقية مستوى اللهجات العربية.

وبالرغم من الهوة الفاصلة الحاصلة بين اللهجات العربية المعاصرة إلا أنها تسير على نظام اللغة العربية الأم . هذه اللهجات جميعا في مختلف مستوياتها سواء الصوتية منها أو النحوية والصرفية والدلالية بها تجانس واضح يدل دلالة واضحة بأنها لهجات متقاربة تنحدر من لغة واحدة أصلية، وهذا ما قد يحملنا على الاعتقاد بأنها فروع لأصل واحد، فاللغة الأم لا بد أن تترك آثارا واضحة في اللهجات المتفرعة عنها مهما ابتعدت واتخذت لنفسها طريقا خاصا بها. وهي تشكل اليوم خليطا من مفردات فصيحة ومحرفة وأخرى أعجمية وكلمات أخرى لا تعرف طبيعتها المعجمية وتتشترك جميع هذه العاميات بافتقارها إلي قواعد نحوية ثابتة على جميع المستويات اللغوية الصوتية منها والتركيبية والصرفية والدلالية.

الدراسة الجمالية:

إن الفعل في العامية ومن خلال حكم استعماله في المثل الشعبي، لا يخرج في حركته الإعرابية عن ظاهرة الوقف و لا يقبل الحركات الأعرابية كما هو الشأن بالنسبة لأفعال في أزمنتها الثلاث، الماضي، المضارع والأمر – بل يلزم صورة واحدة في كل هذه الأزمنة الثلاث هي الوقف في آخر الكلمة.

كما تتفرد العامية بظاهرة لغوية في جميع الأقطار العربية وعلى وجه الخصوص منطقة المغرب العربي عندما نجد استعمال صيغة الجمع وهي تطلق على صيغة التثنية فينطبق على الجمع ما ينطبق على التثنية وتصبح علامة الجمع هي نفسها علامة التثنية وبهذا الميزة فهي أقرب إلي اللغات الغربية منها إلي اللغة العربية فاللغة الفرنسية مثلا تمتاز فيها صيغة المثني مع الجمع ولا توجد في هذه اللغة صيغة تدل على المثني كما هو الشأن بالنسبة للغة العربية الفصحى .

وهناك ظاهرة لغوية أخرى تتميز بها العامية ذلك أن الفعل عندما يسبق الاسم لا ينصرف وبحكم ارتباطه بالاسم الذي بعده فإنه يحمل العلامة الدالة عليه سواء كانت للتذكير أو التأنيث أو الجمع وهذا ما ترفضه القواعد العربية عندما يتصدر الفعل الجملة بحيث يلزم صورة واحدة هي صيغة المفرد لا غير، إلا في حالة شادة قد ذكرها اللغويون القدماء اصطلاح عليها بما يعرف : ب(لغة أكلوني البراغيث)

من خلال تأملنا ودراستنا للأمثال الشعبية استنتجنا أن استعمال الجملة الاسمية كان الأكثر شيوعا من الجملة الفعلية لما لها من دقة في إيصال الغرض وإصابة الهدف في وصف السلوكيات والحرص والتنبيه على الأغراض المقصودة، هذه الهيمنة الاسمية على أغلب التراكيب أعطت ميزة خاصة للمثل الشعبي، الذي يسبق فيه الفاعل الفعل وهذا عكس ما تتطلبه القواعد العربية المطردة.

أما الجملة الفعلية في التراكيب الشعبية وإن وجدت فيها الأفعال الثلاث الماضية والمضارعة والأمرية غير أن الأفعال الأمرية هي الغالبة في الاستعمال وذلك أن المثل الشعبي من مميزات - التحذير والتنبية والأمر والنهي - وهذه الأغراض لا تكون إلا بصيغة الأمر - أما شبه الجملة فلا تكاد تخرج عما هو سائد في العربية باستثناء الحركات الأعرابية، بحيث أن السيمة البارزة في الأمثال الشعبية (العامية) إسكان أو آخر حروف الكلمة سواء كانت أفعالا أو أسماء.

أما الجملة الشرطية في المثل الشعبية فنجدها تؤدي نفس الوظيفة التركيبية والإفهامية التي تحتوي عليها الجملة الشرطية في العربية الفصحى، وتختلف عنها في الجانب الإعرابي بحيث تتعمد خرق القوانين النحوية المحترمة في العربية، إضافة إلى إهمالها لمعظم أدوات الشرط وهي لا تكاد تنتظم إلا مع الأداة (إذا) وبدرجة أقل (لو).

الأساليب الإنشائية في الأمثال الشعبية -

تتنوع الأساليب الإنشائية في الأمثال الشعبية في أغلب الأحيان بين الأمر والنهي والقسم والنداء والاستفهام - غير أن الملاحظ عن هذه الأساليب أنها تقتصر على أدوات معينة مساعدة على التركيب الإنشائي - وليس كما هو الحال بالنسبة للغة العربية التي تتنوع فيها الأساليب بتنوع أدواتها في بناء تراكيب متنوعة الأغراض مختلفة المعاني. وكثيرا ما يتحول المتمم في عملية الإسناد إلى عنصر محوري تتعلق به بقية العناصر التركيبية وتساهم بذلك في امتداد الأسلوب لغرض تحقيق خصائص لفظية كالجناس، أو السجع، أو معنوية كالإيجاز، والإطناب والاقتراب الخ ...

يكثر استعمال الأمر والنهي في الأمثال الشعبية وهو أمر طبيعي بالمقارنة مع الأساليب الإنشائية الأخرى والغرض منها جلب الانتباه لما بعد الفعل من أمر عظيم. وقد يمتزج أحيانا أسلوب الأمر والنهي ولو أن النهي محذو به حدو الأمر في الاستعمال ويخرج كل منهما إلي أغراض بلاغية مشتركة. ويخرج أسلوب الاستفهام في الأمثال الشعبية إلي التقرير والإنكار، فهو لا يبحث عن الإجابة الصريحة بقدر ما يتفادها وينكرها، وهذه ميزة لازمت التراكيب الشعبية الاستفهامية وذلك يعود إلي إلي أغراض بلاغية لا تحكمها قوانين أو قواعد لغوية.

وإذا عدنا إلي التراكيب الخبرية المستعملة في الأمثال الشعبية وجدناها هي الأخرى تفتقد إلي نفس الأدوات التي تساعد على تحقيق الأغراض اللغوية أو البلاغية، و تقتصر على نمط قليل من هذه الأدوات وبالتالي تجد نفسها منحصرة في نطاق ضيق لا يمكنها من تأدية مهمتها على أوسع نطاق. كما نلمس لغة سهلة يغلب عليها في كثير من الأحيان طابع الصنعة اللفظية.

ومن الخصائص الفنية في الأمثال الشعبية المحسنات اللفظية التي تعتبر البنى الأساسية كونها مبنية على أسس موسيقية تنغيمية مما يساعد على حفظها وترسيخها في الذهان.

من المعلوم أن التراكيب النحوية تحكمها قوانين عامة لكن التراكيب البلاغية فهي ممارسات ومهارات فردية تتبني في جوهرها على خرق واغتصاب تلك القوانين. والإفهام من أهم الأسس الوظيفية في الأسلوب البلاغي وهي الغاية التي تسعى إلي تحقيقها مستويات اللهجات العامية كلها، فالإبانة والوضوح والإيضاح سيمات سيطرت على الأمثال الشعبية. ومن ذلك تأثير الأمثال الشعبية على تحريك طاقات

اللغة بات جليا، وأن اعتمادها في أداء المعنى على الإيحاء وترك التصريح ميزة بلاغية في أسلوب الإيجاز تنافس بها أرقى الأساليب البلاغية في العربية الفصحى فالإيحاء يوسع مجال التأمل والتأويل أمام المتلقي ويجعل الوهم يذهب بفهم النص.

ويأتي الإيجار في الأمثال الشعبية في أعلى المراتب مكانة ويغلب عليه طابع التصنع والتزيين ويكون في جمل قصيرة لا تتعدى اللفظتين أو الثلاث، وقلمًا زادت فبلغت حدّ الخمس . واستخدم إيجاز القصر والحذف وهما يتوافقان تماما في استعمالات العربية الفصحى.

وأما الإطناب فلا يعتبر سيمة في الأمثال الشعبية، ولو أنها لا تكاد تخلو منه في الكثير من الأحيان، ويتأتى ذلك بواسطة وسائل مساعدة على امتداد التركيب كالمعطوفات والمنصوبات فتكون سببا في تحقيق الفواصل المناسبة لإقامة التجانس اللفظي والتناغم الموسيقي بغرض ترسيخ الفكرة أو الحكمة في الأذهان.

كما أن الأمثال الشعبية لا تخلو من التجانس اللفظي بأنواعه المختلفة من تام وغير تام وما يتفرّع عن كل منهما، ولو أن النوع الثاني والمتمثل في التجانس الناقص هو الغالب والمسيطر على أغلب الأمثال الشعبية لسهواته وعدم التكلف في الإتيان به فهو يأتي عن طواعية دون عناء .

كما أن الأساليب في العامية الجزائرية لا تكاد تخلو من فن الاقتباس سواء من الآيات القرآنية أو من الأحاديث النبوية الشريفة أو من الحكم والأقوال المأثورة أو من الأشعار بأنواعها، فتحوّر وتحرفّ عندما تستدعي الضرورة إلي ذلك أو الاحتفاظ بنصه الكامل بنوع من التحريف الصوتي لمناسبة الاستعمال العامي .

وقد حاولت جهد المستطيع أن يكون هذا البحث المتواضع تجسيدا للأفكار التي تناولتها بالبحث متمنيا من الله العلي القدير أن يجعله خالصا لوجهه يجزي به وما توفيقي إلا به عليه توكلت وإليه أنيب.

فهرس الأمثال الشعبية

- أ -

الأمثال

- 1- ابرم والديه
- 2- ابني وعلّي وروح وخلي
- 3- أحظي الصقلة ، أعطي الحلوة للجمل
- 4- اخدم يا التاعس للتاعس
- 5- اخدم يا صغري لكبري واخدم يا كبري لقبر
- 6- اخدم بالرطل ولا تتعطل
- 7- ادخلو يا أهل العمود وخرجوا يا أهل القرمود
- 8- إذا حبك مول الطعام كول بيديك بلا غسيل
- 9- إذا شفت ملك مهدم قل حبوس ولا مات مولاه
- 10- إذا شاب السبع يطمعوا فيه الدياب
- 11- إذا حلفوا فيك الرجال بات نعسان وإذا حلفوا فيك النساء بات سهران
- 12- إذا صاحو رياحك دري
- 13- إذا غلبت عف
- 14- انذكر الكلب ووجد الهراوة
- 15- اربط حمارك مع الحمير يتعلم النهيق وخرجان الطريق -
- 16- اشحال ما طال الليل يصبح الحال
- 17- اشحال تعيس يا اللي تابعك الموت
- 18- أش دخلك في هذا القلب

- 19- آش عباك عباك تخرب في كعالة السبع بالعود
- 20- اشكون عدوك ؟ صاحب صنعتك
- 21- اشكون أباك يا البغل ؟ قال له خالي العود
- 22- آش من شجرة اللي ما هزهاش الريح -
- 23- آش يخصك يا العريان خاتم آ مولاي
- 24- آ يقول الميت بين يدين غساله
- 25- اضحك مع الكلب يهر عليك
- 26- اضرب وخلي مايدير الصلح
- 27- أعطي التريد للعبيد
- 28- اعلم عفاك الله يا اللي الصح ينبت والكذب ما يزيد في الرحلة
- 29- اكرم وكرم واس
- 30- أنا نقولك " يا " سيدي و أنت عرف قدرك
- 31- انجز وقيس
- 32- أوزن الكلام

- ب -

- 1- بات مع الحديد ولا تبات مع الصديد
- 2- باش كان عايش بوشقشاق قبل ما يجيه الجراد
- 3- بالرز انة تتباع الصوف
- 4- البركة في القليل
- 5- بقيت دار لقمان على حالها

- 6- بكر مع النعاج وبيت مع الدجاج
- 7- بكر لحاجتك تقضيها
- 8- البلاد تتدخل بمالها
- 9- بلاك يغرك ابليس
- 10- بنت القاع والباع والخلخال المربع
- 11- بنت عمي مزود همي
- 12- بين الكاف والنون يكون فيكون
- 13- بيت من الرجال ولا بيت من المال

- ت -

- 1- تخبل الغزل
- 2- تلهى في جارك هو ستار عارك
- 3- تتحي الطمع يصفى الحساب

- ث -

1- ثلاثة في الدنيا ابحمرو الوجه وثلاثة في الدنيا ايصفروه اللي ابحمرو الوجه : نواض بكري والجلوس مع الناس الكبرى وتزوج الكبرى والثلاثة اللي يصفروه أكل المسوس ومخالطة المنحوس ودخول السوق بلا فلوس

- ج -

- 1- الجار وصى عليه النبي
- 2- جا يضرب الكرمة اخطى الجنان

3- جاوا الأولاد

4- جمعته تجمّع

- ح -

1- الحاضر أعطوه والغائب انسوه والنايم غطوه

2- حاسبني محاسبة عدوك وكنني ماكله خوك

3- الحبيب وقت الشدة

4- الحرث بالدوام والصابية بالعوام

5- حج وزمزم وجا للبلال متحزم

6- الحديث طويل والقاضي مشغول

7- حديث الوسادة يتلف الدين والشهادة

8- الحر بالغمزة والعبد بالدبزة

9- حن يحن عليك الله

10- الحمامة طارت

- خ -

1- خذها من يد الشبعان إذا جاع وما تخذهاش من يد الجيعان إذا شبع - 361 -

2- خلطها تصفى

خفيف لقدام يمتل لو كان وجه مرأيا

3- الخير عجل به والشر أجّل به

- د -

- 1- الدنيا غرارة
- 2- الدنيا فايطة وتفوت والحي فيها يموت والطامع فيها مشموت
- 3- الدهشة طارت
- 4- الدوام يتقب الزخام

- ر -

- 1- الراحة بالوقية
- 2- رب حل الطلاق وبغض
- 3- رب غفار ظفار يعمر الجنة ويزيد النار

- س -

- 1- ساب التريد للعبيد
- 2- ساب الحرير حتى داروه بردعة للحمير
- 3- سال المجرب لا تسال طبيب دمّ الثعلب في دماغ الذيب
- 4- سبق الحطب قبل ما يخطب

- ش -

- 1- شافوني الناس وشافوك الناس
- 2- شحال تعيش يا اللي تابعك الموت
- 3- الشركة هلكة

- ص -

1-الصابر ينال

2-الصبر يدبر ويوصل مولاه للقبر

3-الصمت حكمة

4-الصمت حكمة تخرج منه الحكايم لو ما تصمصيم ولد الحجلة ما يجي

الحنش هايم

- ض -

1-ضربني وابكى وسبقني واشتكى

- ط -

1-طاحوا قرونو

2-طاحوا قرون الكباش

3-الطمع يفسد الطبع

4-الطول للشجر والغظ للبقر والعقل للبشر

- ع -

1-عبات الباس

2-العرق دساس

3-على خيرك يا روضان نصوم عواشرك

4-العنقود حامض

- غ -

1-غابت السبوعة وقعدت الضبوعة

2- غابوا السبوعة وابقاوا الضبوعة

- ف -

1- الفرس ما ينوض العجاج

2- فلان نوره يصطع

3- في عشنا وينشنا

4- فين ما شفتك شبهتك

- ق -

1- قالت فلانة

2- القدرة بلا بصل كالمرابلا عقل

3- قسم البحر يولي سواقي

4- قل كلام خير ولا اسكت خير

- ك -

1- كاين الصبر اللي يجبر وكاين اللي يذبر وكاين اللي يوصل للقبر.

2- كحميد في زمان الصيف

3- كذب اللوز وصدق المشماش وكذب الشيب وصدق التكماش

4- الكذب والحلف

5- كل منقوص منحوس

6- كيف تربح بلاد بلا بلاد تسعد الاخرى

- ل -

- 1- لا تامن لا تستامن في بلاد الامان
- 2- لا تتخلى بالموجوج ولا تتكاف للمقصود
- 3- لا تحضر لطرش لا ترقق لحرش
- 4- لا تصحب حتى تجرب ولا تضرب حتى تقرب
- 5- لا تستعجب لا تعيب لا يباليك الله
- 6- لا تسرج حتى تلجم وتعقد عقدة صحيحة وتتكلم حتى تخمم ولا تعودلك

فضيحة

- 7- لحاجة في نفس يعقوب
- 8- اللسان الللاح والقلب الدباح
- 9- لمن تقرا زبورك يا داود
- 10- اللي تخدموا طيعو واللي ترهنو بيعو
- 11- اللي خاف اسلم
- 12- اللي داق ما يسمى مشتاق
- 13- اللي ما جابوه الورلى ما يجبوه التوالى
- 14- اللي ما رقع ما لبس
- 15- اللي معنده فلوس كلامو مسوس
- 16- اللي ينوي يشبع عمرو ما يجوع

- م -

1- الماء يزول الجدام

- 2- ما تحوحش بسرك
- 3- المال مال الله وانت عساس عليه
- 4- ما اشطحتش الا في عرسك
- 5- ما قامو مع حق ولا تعدو مع باطل
- 6- ما مات ولا خلى الكفن يتباع
- 7- ما يحكلك غيل ظفرك وما يبكيك غيل شفرك
- 8- ما يعمل خير ما يتفق عليه
- 9- ما يفيد في البال ترقاع
- 10- ما عرفت ما نعمل
- 11- ما للي شتك يا عبد الوافي ما كلت عشاى وافي ولا شربت ماي

صافي

- 12- من احتاجتك يا وجهي خربشوك القطوط
- 13- من ديار الكبرى تخرج العبرى
- 14- من كان يكوي الناس يصبر لقيات راسو
- 15- من غابوا طير المراكب كولي اللحم يا دجاجة
- 16- من عندي ومن عندك تتطبع ولا غير من عندي تتقطع
- 17- مين جاي حتى تعرف

- ن -

1- النار تحب التبن

2- النار تولد الرماد

3- الناس بالناس والناس بالله

4- نبكي ونمشي

5- نعرفوا بعضنا بعض

- ه -

1- الهدرة فضة والصمت ذهب

2- الهدرة للشاريا والمعنى للجاريا

3- الهم بالمعاونة

- و -

1- وراس ولادي

2- واللي حرّم اربا ما قلت زور ولا اعلمت

3- والله ما يخصك من الصلاة ركعة

4- والله ما يخصك من الصلاة ركعة غير الا اديتها على بلاط جهنم

- ي -

1- يا حمار لا عينك تخدعني غير ما يشقاش تهز ودنيك

2- يا ذا الجيل يا ذا الجيل الماجي أكثر منو

3- يا ذا المسك ما نشمك وأنا ميت من همك

4- يا غريب لك الله

5- يا مزوق من برّي آش حالك من داخل

6- يتعلموا العجامة في روس اليتامى

- 7- اليتيم يبكي وربى يزيدل
- 8- يحن الله
- 9- يدرق الشمس بالغربال
- 10- يطل يخدم ويبات كالفاس برّى
- 11- يطيح الفار يتفلق
- 12- يقولها اللسان ويهرب تحت السنان
- 13- يموت النفاق ويبقى الرزاق

26- فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين . (البقرة 194)

27- أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستكم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه زمتى نصر الله ألا إن نصر الله قريب . (البقرة 214)

28- ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم . (البقرة الآية 228)

29- وعلى الوارث مثل ذلك فإن أراد فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن اردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم وإذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير . (البقرة الآية 233)

30- مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . (البقرة 261)

31- ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاه الله . وتثبيتا من أنفسهم . كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير . سورة البقرة الآية 265

32- ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . (البقرة الآية 275)

33- فمثله كصفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا . (البقرة 294)

34-يرونها مثلهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار. (آل عمران 13)

35-إن مثل عيسى عند الله .كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون .
(آل عمران 59)

36-قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحدكم مثل ما أوتيتم أويحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم . (آل عمران 73).

37-مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا. كمثل ربح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون . (آل عمران 117)

38-إن يمسمك قرح فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . (آل عمران 140)

39-أو لما أصابكم مصيبة قد أصبتم مثلها فلم قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم وإن الله على كل شيء قدير . (آل عمران 165)

40-يوصيكم الله فى أولادكم الذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أودين آبائكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيمًا . (النساء 11)

41-إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعًا. (النساء 140)

42-وإن كانوا أخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم . (النساء 176)

43- قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين . (المائدة 31)

44- لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم. (المائدة 36)

45- ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليزوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام. (المائدة 95)

46- وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه . إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون . (الأنعام 38)

47- ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم وأخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون. (الأنعام 93)

48- قالوا لن نؤمن حتى تؤتي مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون. (الأنعام 124)

49- من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون. (الأنعام 160)

50- وإذا تتلى عليكم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين . (الأنفال 31)

51- والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

(يونس 27)

52- أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (يونس 38)

53- فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين (يونس 102)

54- أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . (هود 13)

55- مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون . (هود 24)

56- فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين . (هود 27)

57- لا يجر منكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صلاح وما قوم لوط منكم ببعيد . (هود 89)

58- للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء . ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم .
(النحل 60)

59- فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وانتم لا تعلمون . (النحل 74)

60- ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . (النحل 75)

61- وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ولا يقدر على شيء وهو كل على مولاه
أينما يوجهه لآيات بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط
مستقيم. (النحل 76)

62- وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان
فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. (النحل
112)

63- وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين .
(النحل 126)

64- انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . (الإسراء 48)

65- قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتوا بمثله ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا . (الإسراء 88)

66- ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فآبى أكثر الناس إلا كفورا .
(الإسراء 89)

67- والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فآبى الظالمون
إلا كفورا . (الإسراء 99)

68- ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بقي عليه لينصرنه الله إن الله لعفو
غفور . (الحج 60)

69- أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا
ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب
والمطوب . (الحج 73)

- 70- فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي موسى من قبل قالوا ساحران
تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون . (القصص 48)
- 71- يا ليت لنا مثل ما أتي قارون إنه لذو حظ عظيم . (القصص 79)
- 72- ولا ينبئك مثل خبير . (فاطر 14)
- 73- لمثل هذا فليعمل العاملون . (الصفات 61)
- 74- وقال الذي آمن يا قوم أي أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب . (غافر 30)
- 75- مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد.
(غافر 31)
- 76- من عمل سيئة فلا يجزي الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو
مومن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب . (غافر 40)
- 77- قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه
وويل للمشركين . (فصلت 6)
- 78- فإن أعرضوا فقل أذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود . (فصلت 13)
- 79- فو رب السماء والأرض أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون . (الذاريات 23)
- 80- فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون . (الذاريات 59)
- 81- فأتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مومنون.
(المتحنة 11)
- 82- قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم . (إبراهيم 11)
- قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا . (إبراهيم 10)
- 83- مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح . (إبراهيم 18)
- 84- ومثل كلمة خبيثة كخبرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض . (إبراهيم 269)

- 85- ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة . (إبراهيم 23)
- 86- ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . (إبراهيم 25)
- 87- وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال . (إبراهيم 45)
- 88- فقال المأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين . (المؤمنون 24)
- 89- ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون . (المؤمنون 33)

- 90- ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون . (المؤمنون 34)
- 91- فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون . (المؤمنون 47)
- 92- بل قالوا مثل ما قال الأولون . (المؤمنون 81)
- 93- ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين . (الشعراء 154)
- 94- وما أنت إلا بشر مثلنا ونظنك لمن الكاذبين . (الشعراء 186)
- 95- واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون . (يس 13)
- 96- قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون . (يس 15)

- 97- وخلقناكم من مثله ما يركبون . (يس 42)
- 98- أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم . (يس 81)
- 99- وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون . (الأعراف 169)

100- فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث . ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون .
(الأعراف 176)

101- ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون . (الأعراف 177)
102- إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين . (الأعراف 194)

103- وأضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا . (الكهف 32)
104- لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا .
(الكهف 109)

105- يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين . (النور 17)
106- ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم . (النور 35)
107- ولقد ضربنا للناس في القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . (الزمر 27)
108- ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون . ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . (الزمر 29)
109- ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون . (الزمر 47)
110- ليس كمثل شيء وهو السميع البصير . (الشورى 11)
111- وجزاء سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين .
(الشورى 40)

- 112- وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فأمّن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . (الأحقاف 10)
- 113- فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين . (الطور 34)
- 114- أرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد . (الفجر 8)
- ووهبنا له وأهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب . (ص 43)
- 115- الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينتزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما . (الطلاق 12)
- 116- انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . (الفرقان 9)
- 117- ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأجسن تفسيراً . (الفرقان 33)
- 118- وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا . (الفرقان 39)
- 119- مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . (العنكبوت 41)
- 120- وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعلقها إلا العالمون . (العنكبوت 43)
- 121- وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . (الروم 27)
- 122- ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتم بأية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون . (الروم 58)
- 123- كذلك يضرب الله للناس أمثالهم . (محمد 3)
- 124- دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها . (محمد 10)
- 125- مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من

كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم . (محمد 15)

126- وأن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم . (محمد 38)
كمثل غيث أعجب الكافر نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . (الحديد 20)

127- كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم . (الحشر 15)
128- كمثل الشيطان إذ قال للإنسان أكفر فلما قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين . (الحشر 16)

129- وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون . (الحشر 21)
130- مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله . (الجمعة 5)

131- ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين . (التحريم 10)

132- وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين . (التحريم 11)

133- ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء

وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا نكرى للبشر . (المدثر 31)

134- ذلك مثلهم في التوراة . ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه وفازره فاستغلظ فابتوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما . (الفتح 29)

- 135- على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون . (الواقعة 61)
- 136- وحوور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون . (الواقعة 23)
- 137- وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً . (الإنسان 28)
- 138- يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات
اعملوا آل داوود شكراً وقيل من عبادي الشكور . (سبأ 13)
- 139- يا ابن أمي تأخذ بلحيتي ولا برأسي . (طه 94)
- 140- ربنا لا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا. (البقرة 286)
- 141- والعصر إن الإنسان لفي خسر (العصر 01)
- 142- تالله لأكدن أصنامكم (الأنبياء 57)
- 143- والقرآن الحكيم إنك تمن المرسلين (يس 1)
- 144- وأقسموا جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت (النحل 38)
- 145- وما تدري نفس بأيّة أرض تموت (لقمان 34)
- 146- ولا سألكم أموالكم (محمد 36)
- 147- يوسف اعرض عن هذا واستغفر لذنبك إنك كنت من الخاطئين (يوسف 29)
- 148- إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (يوسف 02)
- 149- فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون (يس 76)
- 150- خلق الإنسان علمه البيان (الرحمن 01)
- 151- إنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين
بلسان عربي مبين (شعراء 195)
- 152- إنما يخشى الله من عباده العلماء (فاطر 68)

- 153- إن الله برئ من المشركين ورسوله (التوبة 03)
154- وإذا ابتلى إبراهيم ربه (البقرة 124)
155- وإن جنحوا للسلم فاجنح لها (الأنفال 61)
156- وآخرون مرجئون الأمر إليه (التوبة 106)
157- قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي (سبأ 50)
158- وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا (الأحلاف 12)
159- بلسان عربي مبين (الشعراء 190)

فهرس الأحاديث النبوية

- 1- إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى.
- 2- إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم.
- 3- من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو سبيل الله.
- 4- إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار.
- 5- المرء مع من أحب.
- 6- لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان.
- 7- القرآن حجة لك أو عليك.
- 8- كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها.
- 9- ما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر.
- 10- إنما يرحم الله من عباده الرحماء.
- 11- إنما الصبر عند الصدمة الأولى.
- 12- من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.
- 13- إن عظم الجزاء مع عظم البلاء.
- 14- ليس الشديد بالصرعة.
- 15- الجنة تحت ظلل السيوف.
- 16- إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة.
- 17- دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.
- 18- الصدق طمأنينة والكذب ريبة.
- 19- رفعت الأقلام وجفت الصحف.

- 20- تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة.
- 21- الكيس من دان نفسه.
- 22- من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.
- 23- سبقك بها عكاشة.
- 24- قل آمنت بالله ثم استقم.
- 25- نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ.
- 26- المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.
- 27- أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز.
- 28- حجبت النار بالشهوات ، وحجبت الجنة بالمكاره.
- 29- يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله.
- 30- الجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله.
- 31- خير الناس من طال عمره وحسن عمله.
- 32- يبعث كل عبد على ما مات عيه.
- 33- لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق.
- 34- في كل كبد رطبة أجر.
- 35- كل معروف صدقة.
- 36- هلك المتتبعون.
- 37- إن الدين يسر ولن يشادّ الدين إلا غلبه.
- 38- إن لجسدك عليك حقا.
- 39- إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة.
- 40- كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى.

- 41- إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ .
- 42- من دل على خير فله مثل أجر فاعله .
- 43- لأن يهدي بك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم .
- 44- الدين النصيحة .
- 45- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .
- 46- أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر .
- 47- الظلم ظلمات يوم القيامة .
- 48- إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .
- 49- اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين حجاب .
- 50- المسلم المسلمون من لسانه ويده .
- 51- المهاجر من هجر ما نهى الله عنه .
- 52- لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما .
- 53- المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .
- 54- من لا يرحم لا يرحم .
- 55- من لا يرحم الناس لا يرحمه الله .
- 56- من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة .
- 57- كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه .
- 58- انصر أخاك ظالما أو مظلوما .
- 59- لا يستر عبد عبدا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة .
- 60- كل أمي معافي إلا المهاجرين .
- 61- الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

- 62- اشفعوا تؤجروا.
- 63- الكلمة الطيبة صدقة.
- 64- الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله.
- 65- بئس الطعام طعام الوليمة.
- 66- استوصوا بالنساء خيرا ، فإن المرأة خلقت من ضلع.
- 67- أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا.
- 68- الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة.
- 69- كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته.
- 70- كفى بالمرء إثما أن يضيع ما يفوت.
- 71- اليد العليا خير من اليد السفلى.
- 72- خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى.
- 73- ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه.
- 74- لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه.
- 75- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره.
- 76- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت.
- 77- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.
- 78- ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا.
- 79- الرجل على دينه خليله ، فلينظر أحدكم من يخال.
- 80- المرء مع من أحب.
- 81- الناس معادن كعادن الذهب والفضة.
- 82- الأرواح جنود مجندة.

- 83- اتقوا النار ولو بشق تمرّة.
- 84- من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل.
- 85- انظروا إلى من هو أسفل منكم و لا تنظروا إلى من هو فوقكم.
- 86- الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.
- 87- كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.
- 88- أزهّد في الدنيا يحبك الله.
- 89- لا تلام على كفاف.
- 90- طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً.
- 91- ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه.
- 92- ليس الغني عن كثرة الغرض ، ولكن الغني غني النفس.
- 93- إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه.
- 94- من يستغف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله.
- 95- ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من يأكل من عمل يديه.
- 96- إن مال أحدكم ما قدم ، ومال وارثه ما أخر.
- 97- ما نقصى مال من صدقة.
- 98- ما زاد الله بعفو إلا عزاً.
- 99- ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عزّ وجلّ.
- 100- ما فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر.
- 101- إنّما الدنيا لأربعة نفر.
- 102- اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.
- 103- كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.

- 104- أكثروا من ذكر هادم اللذات.
- 105- إن الحلال بين ، وإن الحرام بين.
- 106- إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله : ألا وهي القلب.
- 107- البرّ حسن الخلق.
- 108- البرّ ما اطمأنت إليه النفس.
- 109- الإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر.
- 110- دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.
- 111- تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد.
- 112- إن الله جميل يحب الجمال.
- 113- الكبر بطن الحق وغمط الناس.
- 114- إن من خياركم أحسنكم أخلاقا.
- 115- أكمل المؤمنون إيماننا أحسنهم خلقا.
- 116- إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله.
- 117- إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه.
- 118- من يحرم الرفق يحرم الخير كله.
- 119- إن الله كتب الإحسان على كل شيء.
- 120- بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معثرين.
- 121- ليس الشديد بالصرعة.
- 122- إن المقسطين عند الله على منابر من نور.
- 123- الحياء لا يأتي إلا بخير.
- 124- لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى أخاك بوجه طليق.

- 125- إياك وإسبال الأزار فإنها من المخيلة.
- 126- اعملوا فكل ميسر لما خلق له.
- 127- إنما يرحم الله من عباده الرحماء.
- 128- السفر قطعة من العذاب.
- 129- إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف.
- 130- ما أغبرت قدم عبد في سبيل الله فتمسه النار.
- 131- فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم.
- 132- إن العلماء ورثة الأنبياء.
- 133- إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.
- 134- البرّ حسن الخلق.
- 135- الاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس.
- 136- الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة.
- 137- من قتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.
- 138- الحرب خدعة.
- 139- الدعاء هو العبادة.
- 140- لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.
- 141- إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

{ قائمة المراجع }

- 1- أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني - تحقيق محمد رشيد رضا دار المعرفة بيروت. 1972.
- 2- أساليب الاستفهام في القرآن الكريم : عبد الحلیم السيد فودة - دار الشعب القاهرة دت .
- 3- الأسنية العربية : د. ريمون طحّان - دار الكتاب اللبناني ط2 - بيروت 1981
- 4- الأشباه والنظائر في النحو ، تحقيق عبد الإله نبهان وجماعة ، ط3 : مطبوعات المجمع اللغوي دمشق.
- 6- أصول النحو العربي .د. محمد خير الخلواني ط 1979 مط: الشرق حلب.
- 7- الأصول : تمام حسن دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النهضة المصرية العامة للكتاب - القاهرة 1988
- 8- إعراب الجمل وأشباه الجمل - دار الأفاق الجديدة بيروت ط 2 عام 1981.
- 9- الأفعال في القرآن الكريم : د. عبد الحميد مصطفى ط 1986 / 1 :
- 10- الأسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام : د ميشال زكريا المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط 2: بيروت 1983
- 11- الأسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية : ميشال زكريا
- 12 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان. 1983
- 13- أمثال جزائرية : د. عبد الحميد بن هدوقة - طبع على نفقة البنك الوطني للتمية - الجزائر 1988
- 14- الأمثال الشعبية الجزائرية : قادة بوتارن . ترجمة : عبد الرحمان حاج صالح - دار الحضانة.

- 15- الأمثال في القرآن الكريم : د. ابن قيم الجوزية - دار المعرفة - بيروت
1981.
- 16- الأمثال العامة : د. راغب فائقة حسين - القاهرة. 1939
- 17- الأنصاف في مسائل الخلاف : ابن الانباري
- 18تحقيق : عبد الحميد محي الدين ، المكتبة التجارية الكبرى مصر
- 19- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ابن هشام
- 20تحقيق : عبد الحميد محي الدين ، ط 1949: دار السعادة مصر
- 21- الإيضاح في علل النحو : الزجاجي
- 22تحقيق : مازن المبارك ، دار العروبة القاهرة
- 23- الإيضاح العضدي : د. أبي علي الفارسي تح. د / حسن شانلي فرهود
- 24ط : 1 مط : دار التأليف مصر. 1969
- 25- البحث اللغوي عند الهنود : د. أحمد مختار عمر
- 26ط 1972: دار الثقافة ، بيروت
- 27- البحر المحيط : أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي
- 28ط 1/1928: هـ ، مطبعة السعادة - مصر
- 29- البرهان في علم القرآن : د. للزركشي تح. د محمد أبو الفضل إبراهيم
- 30ط 2: دار المعرفة بيروت لبنان.
- 31- البلاغة العربية تأصيل وتجديد : مصطفى الصاوي الجوني منشأة البكري دار
المعارف الإسكندرية 1985
- 32- البيان والتبيين : الجاحظ ،
- 33تحقيق : عبد السلام هارون ط 1950: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

- 34- تحريفات العامية للفصحى في القواعد والبنىات والحروف والحركات : د.
شوقي ضيف دار المعارف - القاهرة
- 35- التطبيق الصرفي : د. عبده الراجحي دار النهضة العربية - بيروت
- 36- التحولات الجديدة للسانيات التاريخية : د. عبد الجليل مرتاض - مطبعة دار
هومة - 2001
- 37- تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ط4 - دار العلم للملايين - بيروت
- 38- التطور النحوي : برجستراسر ، ترجمة : رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي
القاهرة.
- 39- التطور النحوي للغة العربية : د. رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي دار
الرفاعي بالرياض. 1982
- 40- التركيب عند ابن المقفع في مقدمات كليلة ودمنة : المنصف عاشور ديوان
المطبوعات الجامعية الجزائرية 1988
- 41- تأويل مشكل القرآن الكريم : ابن قتيبة ، شرح ونشر: السيد احمد صقر - ط:
1973/2 دار التراث - القاهرة
- 42- الجمل : الزجاجي
- 43ط : تحقيق : الأستاذ ابن أبي شنب مطبعة كلنسيك باريس
- 44- الجملة النحوية نشأتها وتطورها - مكتبة الفلاح الكويت ط : 2 عام 1987
- 45- الجملة العربية دراسة لغوية نحوية : د محمد إبراهيم عبادة - منشأة المعارف
الإسكندرية 1988
- 46- الجامع لأحكام القرآن : القرطبي - دار الكتب المصرية ط 3: القاهرة 1967
- 47- جمهرة الأمثال : أبو هلال العسكري

- 48 تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم دار المعارف بمصر 1964
- 49 جواهر البلاغة : أحمد الهاشمي دار أحياء التراث العربي بيروت
- 50 الحجة في علل القراءات السبع : أبو علي الفارسي
- 51 تحقيق : عبد الحلیم النجار ، علي النجدي ناصف ، د. عبد الفتاح سلبي ، دار الكتاب العربي - القاهرة -
- 52 الحجة في القراءات السبع : ابن خالوية
- 53 تحقيق : د. عبد العال ، ط 1971 : دار الشرق - بيروت
- 54 الحكم والأمثال : حنا الفاخوري - ط 2 دار المعارف - مصر
- 55 الخصائص : ابن جنى
- 56 تحقيق : محمد النجار ، دار الهدى ، بيروت
57. الدراسات اللغوية : د. محمد آل ياسين - منشورات دار مكتبة الحياة ط 1 - بيروت.
- 58 دراسات في اللغة واللهجات والأساليب : يوهان فك ، ترجمة عبد الحلیم النجار ، دار المعارف بمصر ط 2 - 1967.
- 59 دراسات في اللغة : د. إبراهيم السامرائي - مطبعة العاني بغداد
- 60 دراسة اللهجات العربية القديمة : د. داود سلوم
- 61 ط 1 / 1986 : عالم الكتب - بيروت
- 62 دراسات لغوية : القياسات في الفصحى - الدخيل في العامية ، د : شاهين عبد الصبور مؤسسة الرسالة ط 2 : بيروت 1986.
- 63 الدراسات اللغوية عند العرب : د. محمد حسين آل ياسين - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت 1980

64- دروس في اللسانيات التطبيقية : د : صالح بلعيد - دار هممه للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2000

65- دلائل الاعجاز : عبدالقاهر الجرجاني ، دار الكتاب العلمية بيروت 1988

66- زبدة الاتقان في علوم القرآن : محمد بن علوي

ط 1/1981 : دار الانسان - القاهرة -

68- سر صناعة الارعاب (الجزء الاول) : ابن جني

69تحقيق : لجنة من الاساتذة ط 1954 : مط : مصطفى البابي الحلبي (القاهرة)

70- سيبويه : جامع النحو العربي د. فوزي مسعود ط 1986 : الهيئة المصرية للكتاب

71- شذا العرف في فن الصرف : الشيخ محمد الحملوي دار القلم

ط 2 : بيروت لبنان.

73- شذور الذهب : ابن هشام

74تحقيق : عبد الحميد ، مط : السعادة - مصر

75- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : بهاء الدين بن عقيل

76تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 14/1965 : مط : السعادة - مصر

77- شرح شافية ابن الحاجب : الشيخ رضا الدين الاسترآبادي

78تحقيق محمد نور الحسين ، محمد الزقران ، محي الدين عبد الحميد دار الفكر

بيروت 1975.

79- شرح المفصل : ابن يعيش عالم الكتب بيروت لبنان .

80- شرح مقامات الحريري : الشريشي

81نشره وطبعه وصححه محمد عبد المنعم خفاجي - المكتبة الشعبية ط 2 - القاهرة

1979

- 116- كتاب الأمثال : مؤرخ السدوسي
- 117تحقيق د. رمضان عبد التواب - دار النهضة العربية بيروت -1983
- 118- اللسانيات واللغة العربية : د. عبد القادر الفاسي الفهري - منشورات عويدات بيروت - باريس.
- 119- اللغة : فندريس ترجمة : عبد الحميد الدواخلي ومحمد الفصاص 1950120دار المعارف مصر.
- 121- اللغة العربية معناها ومبناها : تمام حسن - دار الثقافة دار البيضاء المغرب - د ت.
- 122- اللغة العربية نحوها وصرفها : علي رضا دار الفكر د ت.
- 123- اللغة بين المعيارية والوصفية : د. تمام حسن الشركة الجديدة دار الثقافة - الدار البيضاء
- 124- اللغة العربية خصائصها وسماتها : د. عبد الغفار حامد هلال - مطبعة الحضارة.
- 125- اللهجات العربية في التراث ، د : أحمد علم الدين الجندي
- 126دار العربية للكتاب تونس. 1978.
- 127- اللهجات العربية في القراءات القرآنية د: عبده الراجحي مكتبة المعارف ط1 : 1999.
- 128- اللهجات العربية نشأة وتطورا ، د : عبد الغفار حامد هلال مكتبة وهبه ط2: القاهرة . 1992
- 129- اللهجات العربية في القراءات القرآنية : د : عبده الراجحي
- 130ط 1969: دار المعارف مصر
- 131- لهجات اليمن قديما وحديثا : د. أحمد شرف الدين - مطبعة الجبلوي.

- 132- ما ينصرف وما لا ينصرف : أبو إسحاق الزجاج
- 133تحقيق : هدى محفوظ ط 1971 :مطابع الأهرام التجارية القاهرة.
- 134- المثل السائر في أدب الكاتب : ابن الأثير - تحقيق أحمد الحوفي بدوي دار النهضة مصر القاهرة 1959
- 135- مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد الميداني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ط 2، : 1959
- 136تحقيق : عبد الحميد ط 1959 / 2 : مطبعة المدني مصر.
- 137- محاضرات في الألسنية العامة : د. دوسور فردينان - ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر - دار النعمان للثقافة - لبنان 1984.
- 138- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها ، محمد الأنطاكي
- 139 ط 3 : دار الشرق العربي بيروت. 1971
- 140- المخصص : د. ابن سيده - مطبعة الأميرية ببولاق - بيروت.
- 141- المدخل إلى علم اللغة : د رمضان عبد التواب***
- 142 / 1985 مطبعة المدني مصر.
- 143- مدخل إلى دراسة الجملة العربية : محمود أحمد نحلة - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت. 1988
- 144- المزهر : للسيوطي
- 145تحقيق جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - دار الجيل - بيروت.
- 146- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي
- 147 ط 1 / 1987 : دار الحديث القاهرة.

- 148- مغني اللبيب في كتب الأغاريب : ابن هشام
- 149تحقيق عبدالحميد مطبعة المدني القاهرة.
- 150- المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر ، د : محمد عيد
- 151دار الثقافة العربية للطباعة القاهرة .
- 152- مصنفات اللحن والتنقيف : د. أحمد محمد قدور - وزارة الثقافة إحياء التراث العربي ط1 - دمشق.
- 153- مفتاح العلوم للسكاكي : دار الكتب العلمية ، بيروت
- 154- المفصل في علم العربية : الزمخشري
- 155ط2: دار الجيل بيروت
- 156- المقدمة : ابن خلدون ، مط : مصطفى محمد - القاهرة
- 157- من أسرار اللغة : د. إبراهيم أنيس
- 158ط3/1966: المطبعة الفنية الحديثة القاهرة.
- 159- المقتصد في شرح الإيضاح : تح . د: كاظم بحر مرجان - منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية.
- 160- المفتضب للمبرد ، تح . د. عبد الخالق عزيمة - مطبعة دار التحرير القاهرة
- 1388 هـ.
- 161- مناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان - دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء المغرب.
- 162- من الساميين آلي العرب : نسيب وهيبة ، دار مكتبة الحياة - بيروت
- 163- من لغات العرب (لغة هذيل) / د. عبد الجواد الطيب الأستاذ بجامعة طرابلس (مجهول المكان والزمان)

- 164- الموجز في شعر دلائل الإعجاز في شرح المعاني د. جعفر دك الباب مطبعة
الجيل - دمشق 1980
- 165- موسوعة الجزائر في الأمثال الشعبية : د. خدوسي رابح - دار الحضارة
الجزائر 1987 .
- 166- النحو الوافي - عباس حسن دار المعارف بمصر - القاهرة. 1974
- 167- النواسخ الفعلية والحرفية دراسة تحليلية مقارنة : د. أحمد سليمان ياقوت -
دار المعارف الإسكندرية. 1984
- 168- النكت في إعجاز القرآن : الرماني ، علي بن عيسى (ت 386هـ) - دار أحياء
التراث العربي - مصر 1965.
- 169- نظرية تشومسكي اللغوية : جون ليونز - ترجمة وتعليق : د. حلمي خليلي -
دار المعرفة الجامعية ط1 - أبو زيد النصاري - بيروت.

الفهرس

الصفحة

1.....	مقدمة:
	<u>الفصل الأول:</u>
7.....	- الجملة عند النحويين القدامى.....
26.....	- الجملة في نظر المحدثين.....
39.....	- التركيب وعلاقته بالإعراب.....
58.....	- الظواهر الإعرابية في اللهجات العربية.....
103.....	- اللهجات العربية القديمة.....
121.....	- العامية العربية في الوطن العربي.....
142.....	- العامية الجزائرية وازدواجية اللسان.....
146.....	- المثل الشعبي وعلاقته بالتراث العربي.....
	<u>الفصل الثاني:</u>
178	الدراسة الجمالية في الأمثال الشعبية.....
189.....	- الجملة البسيطة.....
192.....	- الجملة التركيبية.....
197.....	- الجملة الإسمية.....
209.....	- الجملة الفعلية.....
234.....	- شبه الجملة.....
241.....	- الجملة الشرطية.....

الفصل الثالث:

- 255..... - البلاغة والعلاقة النحوية.....
- الخصائص اللفظية في التركيب الشعبي
- 268..... - السجع في المثل الشعبي.....
- 278..... - الجناس في المثل الشعبي.....
الخصائص المعنوية في التركيب الشعبي
- 282..... - الإيجاز من مميزات المثل الشعبي.....
- 292..... - الاطناب في المثل الشعبي.....
- 299..... - الاقتباس في المثل الشعبي.....
- 312..... الجملة الخبرية في الأساليب البلاغية الشعبية.....
- 314..... - الجملة المثبتة.....
- 318..... - الجملة المؤكدة.....
- 323..... - الجملة المنفية.....
- 329..... الجملة الإنشائية في الأساليب البلاغية الشعبية.....
- 330..... - الجملة الندائية.....
- 339..... - الجملة الاستفهامية.....
- 354..... - جملة القسم.....
- 360..... - جملة الأمر.....
- 365..... - جملة النهي.....

الفصل الثالث:

- 255..... - البلاغة والعلاقة النحوية.....
- الخصائص اللفظية في التركيب الشعبي
- 268..... - السجع في المثل الشعبي.....
- 278..... - الجناس في المثل الشعبي.....
- الخصائص المعنوية في التركيب الشعبي
- 282..... - الإيجاز من مميزات المثل الشعبي.....
- 292..... - الاطناب في المثل الشعبي.....
- 299..... - الاقتباس في المثل الشعبي.....
- 312..... الجملة الخبرية في الأساليب البلاغية الشعبية.....
- 314..... - الجملة المثبتة.....
- 318..... - الجملة المؤكدة.....
- 323..... - الجملة المنفية.....
- 329..... الجملة الإنشائية في الأساليب البلاغية الشعبية.....
- 330..... - الجملة الندائية.....
- 339..... - الجملة الاستفهامية.....
- 354..... - جملة القسم.....
- 360..... - جملة الأمر.....
- 365..... - جملة النهي.....

370.....	الخاتمة.....
.....	ملحق الأمثال الشعبية.....
.....	ملحق الآيات القرآنية.....
.....	ملحق الأحاديث النبوية.....